مريم ١٩-٧-٢٠١٦ ل ٣ السعودية ترقيم عربي

٢٦ رجب ١٤٣٧

زفرات عابرة

الجزء الأول

(الدعوة والعلاقة عبر الأديان)

د. سعيد إسماعيل صالح صيني

١٤٣٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب السماوات والأرض الذي أنعم علينا بنعم عظيمة ومنها العقل والقدرة العالية على إدراك الواقع وتشخيصه والتأمل فيه، والاستنتاج من ظواهره التي تحيط بنا ونعيش بينها، وتؤثر فينا ونؤثر فيها. والصلاة والسلام على أنبياء الله ورسله وخاتمهم أفضل تسليم، ورضي الله عن كل من أحسن اتباعهم إلى يوم الدين.

عندما يستعرض المسلم التراث الإسلامي الضخم عبر القرون يرى ما يثلج صدره ويشعره بالاعتزاز بالجهود التي أسهم بها علماء المسلمين في إنتاج التراث الإسلامي الديني والدنيوي. ويشعر أيضا بالاعتزاز بجهود إخوانهم من مواطني الدول الإسلامية من غير المسلمين الذين تأثروا بهم وأثروا فيهم وشاركوهم في إنتاج الحضارة الإسلامية بمدلولها الواسع.

بيد أن المراجع لهذا التراث الثقافي الضخم يتألم لاقتصار كثير من الأجيال المتتابعة على ترديد الجهود السابقة كما هي، بدلا من تصويبها وإنضاجها. ومن المعلوم أن الجهود البشرية ليست معصومة من الخطأ. ولهذا كانت هناك معالجات تجانب الصواب في قضايا دينية وحضارية عامة ذات أهمية بالغة.

ومن السنن الكونية أن يكون هناك صراع بين الخير والشر، والحق والباطل، والصواب والخطأ، والأنانية وحب الخير للآخرين...

وهذه هي الدفعة الأولى من الزفرات التي يضعها كاتب هذه المحاورات في مجلد، يجمع فيها زفرات حوالي الست سنوات تم نشرها في "مجموعة الدكتور عبد العزيز قاسم". فقد منحت هذه المجموعة الكاتب الفرصة الكافية، من حيث المساحة ومن حيث شمولية الموضوعات وطرق طرحها. وهي سياسة استمدها عميد المجموعة من السياسة الإعلامية اليقظة التي تأخذ بها المملكة، الأكثر إسلامية من بين دول العالم. فهذه السياسة تحسن استثمار وسائل الاتصال لتحقيق المزيد من التطور لهذه البلاد والرخاء لشعبه بطريقتين:

١- فتح المجال، في حدود تعاليم ديننا الحنيف، للتعبير عن المشاعر والآراء المخلصة التي تسهم في تشخيص الواقع، وإن كان بعضه مُرّا.

٢- فتح المجال للمقترحات المخلصة، وإن كان بعضها فجا.

وأخيرا أشكر كل من أسهم في إثارة هذه الزفرات وأعان في التعامل معها بطريقة أرجو أن تكون مؤهلة لإثارة همم الباحثين الجادين والعلماء والمفكرين والمسؤولين المخلصين. وأرجو الله حسن المثوبة لكل من أسهم ويسهم في تصويب أخطائها وإنضاج أفكارها بقراءتها قراءة متأنية وتزويد الكاتب بملاحظاته التفصيلية الموضوعية.

د. سعيد إسماعيل صيني

١٤/ ٥/ ١٤٣٧هـ

المدينة المنورة

sisieny@hotmail.com

الدعوة وأساليبها

للدعوة إلى الخير مبادئ وأساليب ووسائل أرشد رب العالمين ونبيه الكريم إليها في صورة تعليمات أو تطبيقات، ولكن أين من يحرص على فهمها، وتطبيقها، ولاسيما عندما يحتد النقاش؟ فهذه زفرات عابرة في هذه الوسيلة التي يفوق تأثيرها، بين العقلاء، على جميع الأسلحة المدمرة التي يطورها عبدة المال والسيطرة ليسودوا في هذه الحياة الفانية.

ولكن "لا يدخلون جنة المسلمين"

لقد ورد في رسالة أبو محمد من بريطانيا سؤال يدل على عنايته بالدفاع عن دينه، فأورد حادثة سألت فيها مدرسة اللغة السؤال التالي:

قالت: ماذا يقول الإسلام لديكم في غير المسلم؟

أين يذهب يوم القيامة؟ إلى الجنة أم إلى النار؟

كانت الإجابة: إلى النار.

قالت: والشخص الذي لا دين له ويعمل الخير.. ويجتنب الشر.. إلى أين يذهب؟

ويُذكِّر هذا السؤال بحادثة وقعت قبل أكثر من عشرين عاما، عندما ألقى أحد المسلمين محاضرة عن الإسلام، في كنيسة من كنائس الفرق البروتستانتية. وكان المسؤول عن الأنشطة الثقافية في الكنيسة زميلا للمحاضر في الدراسة، وكثيرا ما يتعاونان في أمور الدنيا. وكان متفتح الذهن، يهدف بدعوة المسلم إلى الكنيسة إلى إزالة الوحشة، تعزيزا لجهود التعارف وتنمية روح التعايش السلمي.

فسأل أحد المتعصبين من الحضور، ربما رغبة في إحراج المتحدث: ما هو مصيرنا نحن المسيحيين في رأي الإسلام؟ النار أو الجنة؟

فكانت الإجابة: القضية نسبية. وأعتقد أنها لا تختلف عن إجابة المسيحي المؤمن بالمسيحية بالنسبة لمن لا يؤمن بالمسيحية.

ولعله من حسن حظ المحاضر أن السؤال جاء في النهاية وأوقف مدير الجلسة المحاضرة.

وفي لقاء خاص قال أحدهم معلقا على إجابة المحاضر في نهاية المحاضرة: نحن نعتقد بأن كل الطرق تؤدي إلى الجنة. فعلق المحاضر ونحن المسلمين نعتقد أن كل الطرق الصحيحة تؤدي إلى الجنة.

ولهذا أقترح أن الأنسب في الإجابة على مثل هذا السؤال تجنب القول: "في النار"، ولكن "لا يدخلون جنة المسلمين".

وإذا كانت المعلمة تريد الإحراج فيمكن أن يقابل سؤالها بسؤال: ما رأي الديانة أو الفلسفة التي تنتمي إليها في مصير المسلمين؟

وإذا كانت الإجابة: "أنا لا أعتقد في أي ديانة"، أو "كل حسب عمله في ضوء ديانته".

فهنا يمكن الاستفادة من حياديتها لتعريفها بالإسلام، مثل: إجابتك تثير نقاشا طويلا، وسوف أهديك كتيبا مختصرا لتعرفي شيئا عن ديننا، من باب الثقافة العامة.

وإذا أبدت السائلة استعدادا لقبول الهدية فهذه فرصة، وعلى المسلم أن يتخير كتابا مختصرا يعرف بالإسلام، يتناول المبادئ العامة، ولا يدخل في التفاصيل. وأقترح بحكم التجربة كتاب "تساؤلات جدلية حول الإسلام" المتوفر بالعربية والإنقليزية في الإنترنيت.

ومن المعلومات المقترحة السريعة القول بأننا نحن المسلمين نعتقد بأن الإنسان يتكون من عناصر أربعة رئيسة: الروح، والعقل، والنفس، والجسم. ولكل من هذه العناصر احتياجاتها. والإسلام يلبي احتياجات الروح، ومن احتياجاتها:

الإيمان بوجود خالق يحتاج إليه جميع المخلوقات، وعبادات...إرشادات من هذا الرب الخالق الذي يعرف مصلحة مخلوقاته. والإيمان بأن هذه الدنيا لها تكملة في الحياة الآخرة... وبوجود رسل يذكرون المخلوقات بالتعاليم الفطرية التي تحقق لهم السعادة في الحياتين وبالأخص في الحياة الأبدية، وتجدد لهم بعض التشريعات لتواكب الأساليب والوسائل الحديثة للعش في هذه الدنيا.

هذه فكرة سريعة، ولعلها تكون مفيدة.

سعيد صيني

١٧/ ٢ /١٤٣١هـ

الإجابة المناسبة، في وجهة نظري

أشكر أخي محمد على تعليقه، وكذلك تعليقات أخرى أو إجابات تم اقتراحها بناء على التساؤل الذي طرحه أبو محمد. فالتعليقات والإجابات كانت تدل على اعتزازنا بالحق وحماسنا المطلوب للدفاع عن ديننا العظيم. وهذا شيء يفرح له كل مسلم غيور على دينه.

ولكن هذه المقترحات، في وجهة نظري وتجاربي الميدانية تتجاوز الخطوات الأولى في عملية الدعوة، وتقفز مباشرة إلى مرحلة التعليم، والوعظ، والدفاع بأسلوب الهجوم المضاد، ولم يكن هناك هجوما. وهناك فرق شاسع بين هذه المواقف.

في مرحلة الدعوة يقتصر الدعاة المُحنّكون على تأليف قلب الكافر، أو ترغيبه في الإسلام، أو بتهيئته نفسيا لاستقبال الدعوة التي قد تأتي بصورة تدريجية، وعلى مراحل متعددة، فمثلا:

- يقول نوح عليه السلام لابنه الكافر في موقف محدد ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [هود: ٤٢].

- ويقول مؤمن آل فرعون في موقف محدد ﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾ [غافر:٤١][1].
- ويقتصر محمد عليه الصلاة والسلام في موقف محدد على قول "يَا عَمِّ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ"[2]. أي يقتصر على الترغيب في الإسلام بطريقة مباشرة.
- ويقتصر محمد صلى الله عليه وسلم بمخاطبة صفوان الذي كان لا يزال كافرا بكنيته فيقول "انْزِلْ أَبَا وَهْبٍ"، ثم جاءت مرحلة التودد باستلاف أسلحة منه، ليسد حاجة لمسلمين وليرضي كبرياءه، ثم يطفئ أطماعه بالعطايا السخية...[3] وهنا كان الحرص واضحا على تأليف قلب هذا الكافر المؤثر في قومه والذي كان عدوا لدودا للإسلام.

لهذا يدرك من عايش الدعوة الميدانية أن هناك فروقا كبيرة بين ما يقال في المواقف الدعوية، وما يقال في الدروس للراغبين في التعلم من المسلمين، وبين ما يقال لمجموعة من الحضور جاؤوا لأداء فريضة الجمعة، وربما جاءها بحكم العادة، وليست العبادة.

ولهذا ينبغي في الموقف الذي وصفه أبو محمد أن نضع نصب أعيننا عددا من الاعتبارات، ومن أبرزها على وجه العجلة ما يلي:

١- أن يكون هدفك من الإجابة تجنب التنفير عن الإسلام بإجابة حكيمة توازن بين التعبير عن الحق وتتجنب التنفير من الإسلام. فإما أن تقول كلمة تُرغِّبها في الإسلام أو تُنفرها منه.

٢- أن مثل هذا السؤال فرصة سانحة لإنشاء عملية دعوية، وينبغي أن تكون متدرجة. وبالتأكيد ليست الفرصة فرصة إلقاء درس في مسجد أو مدرسة، أو

(١) وانظر الآيات من ٢٨ - ٤٤.

(٢) الترمذي: تفسير القرآن رقم ٣١٥٦.

(٣) مالك: النكاح ٩٩٧.

خطبة جمعة... إنها فرصة قصيرة عابرة، إما أن تستفيد منها وتستغلها، أو تفوتها - في أحسن الأحوال - دون ترسبات سلبية.

ولعلنا قرأنا ما حصل بسبب الإجابة الصريحة. احتجت المدرسة أو تساءلت وهل هذا مصير المحسنين في الحياة مع أنفسهم والآخرين؟ ومما زاد الطين بلة أن تسببت تلك الإجابة في نقاش (عراك بالأصوات العربية) باللغة العربية بين المسلمين وبطريقة أجبرت المعلمة على إيقافه فورا. وبهذا أعطينا فكرة سيئة عن الإسلام بصفتنا مسلمين. فمعظم البشر، ونحن منهم، يكسلون عن قراءة معتقدات الآخرين وأديانهم، وثقافاتهم، ويقتصرون على ملاحظة سلوك بعضهم لتصنيفهم في القوالب الجاهزة، أي نميل إلى تعميم الأحداث المحدودة أو النادرة، توفيرا للوقت وللجهد...

٣- أن نحسن في تشخيص الموقف والظروف التي يوجه فيها الطرف الآخر سؤاله، فنصوغ الإجابة في ضوئها، بأسلوب يتناسب مع الموقف المحدد، دون الكذب على الله. فالأسلوب نصف الإجابة الصائبة، ولا تقتصر الإجابة الصائبة على المضمون وحده. فالأسلوب لا يقل أهمية عن المضمون في المواقف الخاصة، ومثاله ما أجاب به المحاضر في الكنيسة التي دُعي إليها ضيفا، ليتحدث عن الإسلام، جوابا على سؤال "هل المسيحيون كفارا...؟" فقال القضية نسبية. المسلمون كفار عند المسيحيين والعكس صحيح.

ومثاله لو كنت ضيفا على أحد الأشخاص فذكر رأيا أو أورد خبرا، ثم سألك: هل أنا صادق أم كذاب؟ وأنت متأكد من أن خبره أو رأيه غير صحيح تماما، ومنحك خيارين "صادق" أو "كذاب". فهل تقول له: أنت كذاب؟ وهل توافق الفطرة السليمة على هذه الإجابة في مثل هذا الموقف؟ وهل تجيزها الآداب الإسلامية، فضلا عن الحكمة.

وتذكر قصة بأن الخليفة هارون الرشيد رأى رُأيا فسأل أحد جلسائه عن تعبيرها. فأجاب: هذا يعني يا أمير المؤمنين أن جميع أقاربك الأعزاء سيموتون في حياتك. فامتعض الخليفة لهذا التعبير، وسأل جليسا آخر السؤال نفسه.

فأجاب: هذا يعني يا أمير المؤمنين أنك أطول عمرا من جميع أقاربك الأعزاء عليك.

٤- وحتى في حالة الهجوم المضاد هناك أساليب مختلفة، منها ما يشبه السم القاتل، ومنها ما يشبه "الطراطيع"، ومنهما ما يتدرج بين الطرفين.

ويخطر في الذهن كتابين يفيد في هذا المجال: ١) الحوار النبوي مع المسلمين وغير المسلمين، ويمكن طلبه من مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني. ٢) "كيف نشرك غير المسلمين في نعمة الإسلام"، ويمكن طلبه من مكتب الندوة العالمية للشباب الإسلامي، في الهفوف، أو للحصول على نسخة إلكترونية يمكن الكتابة إلى sisieny@hotmail.com.

سعيد صيني

أخي محمد معذرة إذا تجرأ أخ لك

أخي الكريم محمد معذرة إذا كان تعليقي استثارك إلى هذه الدرجة، ولم أكن أقصد منه إلا المساهمة بما استقرأته من الكتاب والسنة والتجارب الدعوية الميدانية. وهو استقراء غير معصوم من الخطأ. فقد كان التعليق على مجموعة التعليقات والمقترحات التي أثارها سؤال الأخ أبو محمد من بريطانيا. ولم يكن الهدف التعليق على تعقيبك، وحده.

وكأني ألمس من تعليقك الناري أنك فهمت بأن تعليقي كان هجوما مضادا لتعقيبك. فلم تتمالك وأنت الذي تتمتع بحماس الشباب، وسخونة الخطيب المؤثر، (إذا لم يكذبني الظن أنت خطيب جمعة أو متعود على الخطب الساخنة) إلا أن تشن هجوما مضادا.

ولكن معذرة إذا تجرأ أخ لك أكبر سنا، لينبه إلى بعض الملاحظات، وليس كلها، التي وردت في "هجومك المضاد". ومنها:

١- القول "...آفة كل حوار أن تخرج منه بخسارة من تحاور"، وكأني أفهم من كلامك أن من يقتنع بالحق الذي يقوله محاوره خسارة، وليس فوزا وشجاعة.

٢- قلت "فلا تصدق الدكتور سعيد الصيني... فالرجل يتكلم من رأسه .. ينسج من خياله". ولو تأمل أخي الكريم في كتاب الله وسنة نبيه يجد أن هذا الأسلوب في النصح (إذا كان نصحا) يتعارض مع ما فيهما من مبادئ التعامل بين المسلمين الآداب التي تنتسب إلى الإسلام.

٣- قلت "وربي أعلم من سعيد الصيني ومن قال بقوله". لا أعتقد يا أخي الكريم أنه من المناسب أن يقارن المسلم بين اجتهاد المخلوق وعلم الخالق بصفتهما "آراء متساوية"، يتم الترجيح بينهما في الوزن أو المصداقية، كما أن القارئ يفهم من قولك هذا، أن اجتهاداتك البشرية في فهم الكتاب معادلا لعلم الله أو ممثلا له!

ومع اعتذاري الشديد عن تعليقي الذي أوقعك فيما قلته في تعليقك هذا، فإني أرجو أن ما ورد في الملاحظات الثلاث ليس من فهمك لما في الكتاب والسنة، وإنّما هو انتفاضة لما تصوّرت أنه هجوم مضاد من سعيد صيني، فرددت عليه الصاع...

وأنا أعتذر عن تلك الاستثارة، أرجو من أخي أن يفيدني عن النقاط المحددة التالية: حتى يكون لنقاشنا ثمارا يبتعد عن روح التحدي، ولكن هدفه الوصول إلى الحقيقة الراجحة في حالة تعدد الحقائق.

سعيد صيني

٢٦ / ٢/ ١٤٣١هـ

فالعذر منكم فما قصدت أبدا الإساءة

المكرم الفاضل الوالد فضيلة الشيخ الدكتور سعيد الصيني حفظه الله ورعاه:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كنت أعلم أن في الكلام شدة يفرضها المقام، ويفرضها سياق الحال (الخاص بي)، ولذا قدمت الاعتذار على جبهةِ المقال، ومع ذلك تفلت سوء الأدب مني تجاهكم، إذ ناديتكم بغير لقبكم، وبدى من كلامي انتقاص من علمكم، ودلال بما من الله به علي، وما كان لي، فالعذر منكم فما قصدت أبدا الإساءة لشخصكم الكريم.

وودت لو أنك - حفظك الله ورعاك - وهذا سنك وقدرك تتجاوز وتصحح ما ورد في مقالي من أخطاءٍ علمية إن كانت.

ابنكم / محمد

٢٤/ ٢ /١٤٣١هـ

أسرتني شجاعتك التي يندر من يتحلى بها

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

لقد أسرّتني رسالتك لأنك لم تُخيِّب ظني فيك أو ظن الدكتور عبد العزيز قاسم. وأسرَتَني شجاعتك التي يندر من يتحلى بها في زماننا هذا.

وأرجو أن ينور الله بصائرنا بالحق، ويرزقنا الحكمة في القول والعمل في جميع الظروف والمواقف.

سعيد صيني

يدل هذا على حسن خلقك

دكتور سعيد صيني:

والحمد لله أنك أتيت من قريب، بعضهم تعتذر له فيركب رأسه ويتعزز، يدل هذا على حسن خلقك وطيب أصلك. كان العزم على أن لا أتركك حتى ترضى. ما كنت أعلم أن هذا عمرك - أطال الله في عمركم على خير وختم لنا ولكم بخير

وألحقنا بالأحبة محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه رضوان الله عليهم في جنة ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر. من شاب في خدمة الدين نقبل رأسه ونخدمه. لا أن نقف بوجهه نشاكسه!!

نكتة: كان عزمي على أن تكون المداخلة بعنوان (يا ابن أخي) .. تخيل!! كانت هتبقى نكتة المجموعة!!

والدكتور عبد العزيز قاسم والدكتور كمال الصبحي أخوة كرماء أتحاور معهم لأتعلم منهم.

محمد

الابن الكريم لا يزال يحمل شيئا في نفسه

فكتب على لسان شيطانه ما استوجب التعليق التالي:

يقول أخي محمد: "لي شيطان ولك شيطان، وقد وسوس لي شيطاني بهذه الخواطر عن مجموعة قاسم البريدية.

أردت منها المزح وتغير الجو، والسير على درب ضفادع الدريس وعفاريت قاسم، وتقديم رؤية ساخرة من محايد يجلس في المدرجات ويشاهد صراع الإخوة السعوديين، وليس لأحد نقلها خارج المجموعة فقد كتبت مزحاً وتخفيفاً

سعيد الصيني

دخل المدينة على حين غفلة من أهلها، وقد اشتعلت رأسه شيباً، فظن القوم

أن الرجل يقاتل من الصبا. وهل يقاتل بقلمه من الصبا؟!! لا أدري ولا إخالك تدري، بل ولا إخاله يدري.

يمتلك غير قليلٍ من الحقد على الدليل، كأنه والدليل الشرعي أعداء، الدليل في وادٍ وفضيلة الشيخ الدكتور الوالد سعيد الصيني في وادٍ آخر.!!

الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ﴾ [التوبة:١٢٣]، والألى الكرام ركبوا البر الأجرد والبحر الأخضر حتى دانت العرب

وكُسِرَ كسرى وقُصِّر ملك قيصر وسجدوا على أبواب الصين وفرنسا، وهذا يقول لا جهادطلب في الإسلام!! وغره أن سكتت عنه فوارسها فراح يفتري على الدليل يضربه ويصفعه ويسوقه ليشهد له بغير ما عنده!! كأني غداً بالمرتزقة قد لملموا هذه الشخابيط في (التفسير البكيني [نسبة لبكين عاصمة الصين] لآية الله سعيد الصيني) ثم يتلقفة طلبة الماجستير بالشرح والنقد والتطويل والتقصير..

بحبك يا مصر .. بحبك بحبك .... بحبك يا مصر.

شيطان محمد

وأقول: أخي محمد:

أضحك الله سنك بالحق، ولكن ليس بالباطل.

وأعترف بقدرة شيطانك على إخراجي من عزلتي التي كنت فيها.

تقول: ...يمتلك غير قليلٍ من الحقد على الدليل، كأنه والدليل الشرعي أعداء، الدليل في وادٍ وفضيلة الشيخ الدكتور الوالد سعيد الصيني في وادٍ آخر.!! الله يقول: (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة).

أقول: لا ألوم شيطانك على تحريف نصوص القرآن الكريم والتقوُّل على رب العالمين. فهذا ما التزم به إبليس، أبو الشياطين، عندما منحه رب البرية حرية الاختيار. يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف: ١١ - ١٨].

وشكرا لك إذ نبهتني أن الشياطين أيضا لا يحبون القراءة، وإن كانت أدلة من كلام رب العالمين، وقول نبيه الكريم. ولهذا ينتقون النصوص انتقاء، بعد تجريدها من سياقاتها المباشرة وغير المباشرة ليستدلوا بها على ما يريدون. فالمقصر في الصلاة مثلا يحتج بقوله تعال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء:٤٣] وذلك بعد تجريدها من السياق الذي يتبع. وكذلك الذين يقولون بجهاد الطلب يفعلون، إما عن حسن نية، أو ثقة عمياء ببعض المشايخ الذين لم يدعوا العصمة، أو تكاسلا عن قراءة أدلة مخالفيهم، وإن كانت من الكتاب والسنة أو تستند إلى العقل والفطرة، ولكن يقتصرون على قراءة جزء منها، يوجهون إليه النقد. فبعضهم يتذكر أن الله قال في كتابه ﴿وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ﴾ [التوبة:١٢٣] ويتجاهل، تماما، قوله تعالى ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل:١٢٥] ويتجاهل قوله تعالى ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٥٤﴾ [النور:٥٤].... ويقول تعالى لموسى وهارون ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ [طه:٤٤]. يأمر تعالى بهذا ليعلم عباده، مع علمه أن فرعون لن يهتدي...

وأرجو أن يتكرم أخي، أبي هاجر، بالتنبيه على شيطانه، إن كان يدعي فهم العربية، أن يفهم ما يقوله رب العالمين ونبيه الكريم بلسان عربي مبين، بدلا من التقوُّل عليه. وإذا كان لا يفهم العربية الفصيحة والواضحة فليستعن ب "صيني" ليشرح له ما صعب عليه فهمه.

فلعله يفهم الكتاب والسنة فهما كافيا، فيقلع عن تهمة رب العالمين بأنه – تعالى الله عما يصفون - يُشّرع ما يستفيد منه المسلمون إذا كانوا أقوياء، ويوفّر المبرر "الشرعي الإسلامي" لأعداء الإسلام لقهر المسلمين وإذلالهم، إذا كان المسلمون ضعفاء.

مـع أطيـب الأمنيـات، وقـل لـشيطانك: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ...﴾ [القصص:٥٥]. وكل حج جديد والجميع يرفلون في نعم جديدة، ويُعافون من ابتلاءات عديدة.

أخوك في ا.لله

سعيد صيني

هل يجيز الإسلام الكذب في المخاصمة؟

لقد قاومت الرغبة في التعليق على ما أورده الأستاذ صالح، والمنسوب إلى الشيخ علي الخضير، ولكن بعد قراءة التعليقات لم أستطع المقاومة رغم انشغالي بمراجعة بحث لي. فما نبّه إليه الابن ثامر غير مستبعد، ولكن أعتب عليه توجيه تهم لشخصيات بعينها، ولاسيما أن التهمة لا تركبها بتاتا حسب معرفتي. فعندما قرأت القطعة المذكورة، خطر في ذهني احتمالان: ١) إما أنها بالون للتجربة، دفع بها أحد المتحمسين عاطفيا للإسلام إلى المنتدى. ٢) أو أنها دسيسة ضد المتحمسين للإسلام، وذلك لغرابة طريقة الاستدلال ولاستهجانها بالعقل الطبيعي. فقد اختلط فيها الحابل بالنابل، وفيها تقوُّلٌ على النصوص بما لم تقله.

فالحديث الذي ورد في صحيح مسلم، مثلا، يقول بجواز الكذب في حالة:

١- الحرب بين المسلمين والكافرين المصرين على عداوة الإسلام والمسلمين، وليس في محاربة من يشهد أن لا إله إلا الله. فالأصل بين المسلمين التناصح والرغبة المخلصة في هداية من نعتقد ضلاله، وليس محاربته، وتنفيره من الحق. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "بشروا ولا تنفرا").

٢- والإصلاح بين الناس، وليس الإفساد بين الناس بإثارة البغضاء والعداوة بينهم، ومن باب أولى الإفساد بين اخوتنا من المسلمين.

٣- حديث كذب الرجل على امرأته، وحديث المرأة زوجها، ليس لينتصر "العدو" على "العدو"، أو لننتصر على من يختلف معنا في أمور قد لا تكون جوهرية،

ولكن للحفاظ على المودة والرحمة بينهما، وللحفاظ على مصالح الأولاد، والمجتمع...

ولعلي أوافق الدكتور هاني في استبعاده احتمال كون الإسلام يرفض نظرية "الغاية تبرر الوسيلة" التي اشتهر بها ماكيافيلي. وما توصل إليه الريسوني كلام جميل، ولكن وددت لو أنه استخدم القاعدة الفقهية "الضرورات تبيح المحرمات"، بدلا من"أن الغاية المعتبرة شرعا، تسوغ الوسيلة المحظورة في الأصل".

فالغاية إما أن تكون اختيارية يُنشؤها الإنسان لتحقيق رغبات أو طموحات شخصية، أو لتحقيق مصلحة عامة مستقبلية، أو تكون نابعة من حاجة فورية اضطرارية. واستخدام المحظورات لتحقيق الغاية الأولى يندرج تحت نظرية "الغاية تبرر الوسيلة". و يرفضه الإسلام.

أما الغاية التي تفرضها الضرورة هي التي تبيح المحرمات أو المحظورات. والحالة الاضطرارية هي التي تفرض هذه الغاية، التي تضطر الإنسان لتحقيقها إلى استخدام الوسائل المحظورة عنده في الأصل. ومثال ذلك حالة إنقاذ الإنسان حياته، مثل الاستفادة بالخمرة لإزالة الغصة، في حالة عدم وجود غيرها، والدفاع عن النفس، وتأديب العدو المصر على الاعتداء والظلم، في حالة عجز الوسائل غير المحظورة في الأصل.

وأما قول الريسوني بأن إعلاء كلمة الله سببا لإجازة ارتكاب المحظورات، ففيه خلاف. فالله سبحانه وتعالى غني عن رفع كلمته بارتكاب ما جعله من المحظورات. يقول تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس:٩٩].

هذا، والله أعلم بالصواب.

سعيد صيني

١٤٣١/٠٦/٠١هـ

نصرك الله بالمضمون الحق وبالأسلوب الحق

أخي الكريم الشيخ... نصرك الله بالمضمون الحق وبالأسلوب الحق.

سلام الله عليك ورحمته وبركاته

لعلك تعتبر رسالتي الشخصية هذه تدخلا سافرا في شئونك، فأرجو المعذرة. فإنما يدفعني إلى ذلك محبتك في الله لحرصك الشديد على الدفاع عن ديننا العظيم، وعن ما تعتقد أنه الحق.

من خلال عنايتي بأسلوب الإقناع والحوار والمناظرة ظهر لي ما يلي:

١- أن ما يجري بين شخصين بينهما مودة وتناصر هو محاولة كل طرف إقناع الطرف الآخر بما يعتقد أنه الحق.

٢- قد يكون للإقناع أو لمجرد الحوار. ومع هذا فإن الواقع يفرض انتصار أحدهم على الآخر أو الآخرين بحكم طبيعة الرأي الذي يتبناه كل واحد منهم. وقد يكون الانتصار ليس لقوة الأدلة، ولكن للمهارة في الأسلوب.

٣- أما المناظرة فهو للتقريع العلني، ولكن يحتاج إلى مهارة خاصة حتى لا يتحول إلى سباب وشتائم، تجعل صاحب الحق هو الطرف الخاسر، أمام الناس (القراء)، وذلك بدلا من أن يكون هو المنتصر. وبعبارة أخرى، قد يُحوّل الأسلوب المناصرين للمضمون الحق عن مناصرة صاحب الحق، وقد يقفون منه موقف المعاتب له أو الناقد. وقد يصل الأمر إلى الثناء على الطرف الآخر أو التعاطف معه لأسلوبه المؤدب. بل قد يتحول كثير من المترددين بين الموقفين أو الذين يجهلون المضمون الحق إلى تبني الباطل، بدلا من الحق. فتكون خسارة صاحب الحق عظيمة، لأنه أسهم في ضلال بعض الناس، بدلا من هدايتهم أو تثبيتهم على الحق. فالحق لا ينتصر بالصراخ أو السباب، ولكن بالأدلة العقلية الدامغة، والحجج الكاسحة، وبالأسلوب المؤدب الهادئ الذي تنطلق منه الرصاصة بدون صوت مزعج.

ومن النماذج التي يمكن اقتطافها من كتاب الحوار النبوي مع المسلمين وغير المسلمين الذي نشره مركز الملك عبد العزيز للحوار الأمثلة التالية:

في الحوار بين النبي صلى الله عله وسلم مع المناوئين للإسلام يظهر لنا أثر الهدف من مجرى الحوار واضحا. فهدف النبي هو انتصار الإسلام في النهاية، وانتشاره، وليس النصر الفوري المؤقت. فقد جاءه أحد ممثلي أعداء الإسلام. وهو بديل بن ورقاء. وقال:

إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَةِ وَمَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ الْبَيْتِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الْحَرْبُ وَأَضَرَّتْ بِهِمْ فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ فَإِنْ أَظْهَرْ فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ.

- فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ...

فَأَتَاهُ [عروة بن مسعود] فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ،

فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيْ مُحَمَّدُ أَرَأَيْتَ إِنِ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وُجُوهًا وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ. فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْصُصْ بِبَظْرِ اللَّاتِ أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُه؟ فَقَالَ مَنْ ذَا قَالُوا أَبُو بَكْرٍ. قَالَ أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ. وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ وَقَالَ لَهُ أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَيْ قَوْمِ وَاللَّـهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدًا.

فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ،

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّـه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا فُلَانٌ وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ فَابْعَثُوهَا لَهُ فَبُعِثَتْ لَهُ وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ.

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ.

أَمْرِكُمْ قَالَ مَعْمَرٌ قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو

فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَاتِبَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَ اللَّـهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ الله كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ.

فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ.

ثُمَّ قَالَ: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه.

فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّـهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّـهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّه.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللَّـهِ: إِنِّي لَرَسُولُ اللَّـهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّه.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَطُوفَ بِهِ.

فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّـهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَقَالَ سُهَيْلٌ وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا (قَالَ الْمُسْلِمُونَ سُبْحَانَ اللَّـهِ كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا فَبَيْنَمَا هُمْ

كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ)

فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَي.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ قَالَ فَوَ اللَّهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَأَجِزْهُ لِي.

قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ.

قَالَ: بَلَى فَافْعَلْ.

قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ[1].

ونلاحظ في النصين السابقين عددا من التنازلات كانت ضرورية للوصول إلى اتفاقية السلام مع الكافر المعادي المصر على المكابرة وللحصول على فرصة العمرة. فكان التنازل عن افتتاح الاتفاقية ب "بسم الله الرحمن الرحيم"، وعن كتابة "رسول الله"، وعن دخول مكة في العام نفسه، وقبول شرط إعادة الكافر الذي يسلم ويهرب إلى المسلمين وعدم إعادة من يرتد من المسلمين ويهرب إلى قريش.

كان الاحتجاج التالي يستوجب ردا حازما من النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن النبي، عليه الصلاة والسلام، لم يهاجم شخص من اتهمه بالجور، ولكن هاجم صورة افتراضية تنطلق من تهمة الطرف الآخر، حيث قال: "...خِبت وخسرتُ إن لم أعدل".

يقول أَبِو سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا.

أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ.

(١) البخاري: الجزية والموادعة ٢٥٢٩.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ.

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِي الله عَنْه يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا...

الجهاد وعلاقته بالدعوة

أقول لأخي "صرير القلم" إن صرير قلمك كان قويا، ولاسيما أنه يحرك أشجانا ويثير أحزانا في مسارات الدعوة إلى ديننا العظيم أو التعريف به - على الأقل.

ومن أسباب هذا الألم تقصيرنا العظيم في أداء واجب الدعوة، فمثلا كتب قسيس، وليس مجرد مسيحي "يشحذ" مطبوعات إسلامية ليؤدي واجبه كمرشد ديني في أكبر ثاني سجن في كندا، ليعلم اخوتنا وأبناءنا كيف يؤدون حقوق الله ومنها كيف يتوضأون، وليرضي فضول بعض غير المسلمين الذين يريدون التعرف على الإسلام.

فقد ورد في رسالة القسيس المخلص لعمله (وليت إخلاصنا لواجب الدعوة إلى ديننا يصل إلى جزء من مستوى إخلاصه لعمله) في رسالة يطلب المساعدة عام ٢٠٠٦، ويقول فيها:

"...يؤسفني القول أن المجتمع الإسلامي هو المجتمع الوحيد الذي لا يوفر لنا نسخا من الكتابات الدينية بصورة منتظمة. نحن نوزع آلاف النسخ من "الكتاب المقدس" [عند المسيحيين] سنويا بناء على طلب المساجين. ونوفر مئات الدورات المجانية عن طريق المراسلة عن الديانة المسيحية، أما للمسلمين فلا يتوفر لهم أي شئ.

وهذا بالرغم من المحاولات العديدة التي بذلتها ومن الاتصال بمجلس الأئمة المسلمين بدون أي استجابة...

وقد انتهى شهر رمضان، فإنه يخجلني أن أقول بأن أغلبية المساجين من المسلمين لم تكن لديهم نسخ من القرآن ليقرءوا فيها أثناء الشهر.

فنحتاج إلى نسخ من القرآن لهم. ونستقبل كل شهر طلبات عديدة، من المنتمين حتى إلى الديانات الأخرى، على نسخ من القرآن للاطلاع عليها.

... بالنسبة للمعلومات الأساسية عن الإسلام. كثير من النزلاء من ذوي الخلفية الإسلامية لم يؤدوا الصلاة في حياتهم. لهذا نحتاج إلى منشورات تعلمهم كيف يتوضئون".

لا شك أن بعض الجهود الفردية قد بُذلت للمساعدة، ولكن المساعدة المنظمة المنتظمة، لم أسمع عنها شيئا حتى رمضان الماضي، حيث تم تأمين قيمة أربعمائة مصحف مع ترجمته، وأُرسل إلى القسيس الذي يحرص على تعليم اخوتنا وأبنائنا تعاليم ديننا، ويُعرِّف به، بينما نحن نغط في نوم عميق!

ومما يثير الألم أن هناك حاجة ملحة إلى إعادة النظر في فهم كثير من دعاتنا، لمبادئ الدعوة، وأساليبها ووسائلها، وذلك رغم توفر الإخلاص الصادق عند الكثير منهم. فمن المفاهيم السائدة:

١- إما أن تكون نسخة طبق الأصل ممن يتخذ قرار المساعدة أو يوصي بها أو لا مساعدة أو تعاون في مجال الدعوة.

٢- إما أن تكون لك علاقة حميمة وإلا فإنك ستكون تحت رحمة المستشارين. قد لا يلام كثير من أصحاب الإمكانيات المالية أو القرارات التنفيذية لعدم توفر الوقت لديهم لتقويم المقترحات أو أنهم يعترفون بأنه ليس من اختصاصهم، وقد يفوت عليهم استشارة مصادر متعددة، حتى تكون المشورة أكثر نضجا وواقعية. فيضطرون إلى الاعتماد على رأي فردي، قد لا تكون لدي صاحبه تجارب ميدانية أو أن تجاربه محدودة.

٣- ضعف التنسيق بين الأفراد أو الجهات المعنية بمهمة الدعوة، وذلك لأسباب منها: الجهل بأهمية التنسيق، حب السيطرة والظهور، انعدام روح التعاون، اختلاف الاهتمامات. فالبعض يركز على الشكليات (الأساليب والوسائل) أكثر من الأمور الجوهرية (الواجبات والمبادئ)، والبعض يركز على نقاط الاختلاف أكثر من التركيز على نقاط الاتفاق...

ومما يثير الألم أيضا ذلك الغموض في فهم المبادئ الإسلامية التي تأمر بالدعوة بالحكمة. ودعني استعرض نتيجة دراسة لأحد الباحثين في هذا الموضوع، تحت عنوان "الجهاد والدعوة بالحكمة".

الجهاد والدعوة بالحكمة

إن كلمة الجهاد في العربية تعني الرد على فعل يسبقه في الوجود، أي تعني المقاومة. فالجهاد، أي القتال والدفاع عن النفس ومعاقبة المعتدي، ليس إلا نوعا واحدا من أنواع الجهاد في الإسلام. ولا يقتصر جهاد الظالم على اللجوء إلى الحرب ولكن يشمل اللجوء إلى المحاكم وإلى وسائل الإعلام وإلى كل ذي نفوذ منصف.

ويؤكد ابن القيم بأن الجهاد لا يقتصر على جهاد الكافرين بالقتال ولكن الجهاد أنواع ودرجات. ويضيف قائلا "ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعا على جهاد العبد نفسه في ذات الله، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله...) كان جهاد النفس مقدما على جهاد العدو في الخارج وأصلا له. فإنه ما لم يجاهد الإنسان نفسه أولًا لتفعل ما أُمِرت به وتترك ما نُهِيت عنه ويحاربها في الله لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج".

ويشمل الجهاد كل ما يدفع عن الإسلام وأهله ومنه خوض معركة علم الكفاية اللازم لتحرير المسلمين من أغلال الاستعمار الفكري والمادي. وهذا يعني بذل الجهد والوقت والمال بسخاء وبإخلاص لتحصيل العلم والمهارات اللازمة

وتنميتهما وتدريسهما بطريقة صحيحة حتى يتمكن المسلمون من الاعتماد على أنفسهم والحصول على الاستقلال النسبي. وذلك بدلا من ضياع كثير من المصادر الوفيرة التي أنعم الله بها علينا - بدون تعب - في الحصول على مزيد من المتع الدنيوية التي ينتجها غير المسلمين؟

ومن الجهاد أو السلاح الذي غفل عنه المسلمون وأهملوه أو استهانوا به الدعاء الذي حصلت به المعجزات، مثل معجزة تحول النار بردا وسلاما على إبراهيم عليه السلام عندما أراد قومه إحراقه، والثلاثة الذين تمكنوا من تحريك الصخرة التي كانت تسد باب المغارة. ولا عجب، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يرد القضاء إلا الدعاء".

ولكن من يريد استخدام الدعاء سلاحا ماضيا ليزيل الظلم وليحقق النصر بإذن الله لابد أن يوفر شروطه مثل أن يكون مأكله ومشربه وملبسه...حلالا، وأن يتخيّر أوقات استجابة الدعاء مثل السحر، وأثناء السجود وبين الأذان والإقامة، والإلحاح على الله والتذلل إليه...

وخلافا لمفهوم جهاد الطلب الذي يؤكد تهمة أعداء الإسلام انتشار الإسلام بالسيف، فإن حالة السلم هي التي تحقق الخير للبشرية جمعاء، حتى من منظور الإسلام. فصلح الحديبية بشروطه وملابساته كان خيرا للإسلام من حالة الحرب مع قريش، كما يؤكد ذلك جل الذين علقوا على هذا الصلح. ففي السلم يجد الحق فرصة للازدهار والانتشار لا يجدها في الحرب، حيث النفوس متوترة والعداوة مستحكمة بين الأطراف المختلفة والبصائر عن الحق معمية. وقد يتعرض الإسلام والمسلمون لشيء من الاضطهاد في السلم، ولكن أين هذا مما يتعرضون له في حالة الحرب ولاسيما إذا كانوا ضعافا؟

فالعلاقة السلمية هي البيئة الأكثر صلاحا لنمو الدعوة الإسلامية. ومن حقوق الأخوة الإنسانية الموروثة التي أوجبها الإسلام على المسلمين دعوة الآخرين إلى ما فيه سعادتهم في الدارين ولا سيما في الحياة الأبدية. وأوجب عليهم الحرص

على اتباع سنة أنبياء الله ورسله عند أداء هذه المهمة، وذلك بالدعوة بالحسنى وبالحكمة.

وتنطلق هذه الحكمة من لا إكراه في الدين أو على الهدى، إذ يقول تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة:٢٥٦].

ولهذا يحث القرآن الكريم على الدعوة إلى الإسلام بالرفق، في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾ [النحل: ١٢٥، ١٢٦]. ويقول تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦] وإذا كان هذا اللطف والتودد مطلوب مع المجادلين من الكفار، فكيف الأمر بالنسبة لمن نبدأ معه الدعوة؟

كما يأمر الله بالصبر وضبط النفس في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ١١﴾ [المزمل: ١٠، ١١]. ويقول تعالى أيضا: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤﴾ [فُصِّلَت:٣٤]. ومع أن الله يعلم علم اليقين أن فرعون لن يهتدي فإنه يأمر موسى وهارون عليهما السلام باستعمال الرفق لعله يهتدي في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ [طه:٤٤].

ولهذا كان منطلق الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوة الناس هو الشعور المخلص بالإشفاق عليهم وحب الخير لهم. فقد ورد في صحيح مسلم أنه "لما نزلت ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء:٢١٤] قال انطلق نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى رضمة من جبل فعلا أعلاها حجرا ثم نادى يابني عبد مناف، إني

نذير. إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله، فخشي أن يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه". محذرا إياهم العدو".

ورسالة النبي صلى الله عليه وسلم فنصها كما يلي:

بِسْمِ الله الرَّحمانِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله إِلَى هَرقَلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى أما بَعْدُ فَإِنّي أدعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ الله أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيّينَ وَيَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لا نَعْبُدَ إلاَّ الله إِلَى قَوْلِهِ اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ[1].

عند تحليل الرسالة نجدها تعطي هرقل اللقب المتعارف عليه عندهم، وأسلوب لطيف في الدعوة، يتمثل في ترغيبه بأنه إن أسلم سيسلم في الآخرة، وأن الله سيؤتيه أجره مرتين، ثم يحمله مسؤولية شعبه، ثم يبين له طبيعة الدعوة بأسلوب رقيق ومؤدب، وذلك بدلا من "إذا لم تسلموا مصيركم جهنم"... "إذا لم تسلموا نبغضكم ونعاديكم، أو نقاتلكم..."

ومن الحكمة التي أمرنا الله بها في الدعوة، التودد إلى الكافرين وبذل الجهد والمال والوقت لإشراكهم معنا في نعمة الإسلام.

ومن وسائل التودد إليهم مناداتهم بالألقاب المحببة إليهم. فقد أجاز الله تعالى في القاعدة العامة للتعامل مع غير المسلمين الإحسان إلى الكافرين المسلمين، أي البذل لهم ابتداء أو مكافأتهم على حسن تعاملهم بأحسن منها. يقول تعالى ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

ومن المناداة بالألقاب المحببة يخاطب إبراهيم عليه السلام أباه فيقول بكل أدب: {يا أبت}، ويقول نوح عليه السلام لابنه الكافر بكل حنان {يا بني}،

(١) عمدة القاري ج ١٨: ١٤٣ - ١٤٤.

ويقول عيسى عليه السلام لبني إسرائيل يا بني إسرائيل" ويأمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٦٤]. ويخاطب النبي عليه الصلاة والسلام عمه الذين كان محاطا برؤوس الكفر بقوله: "يَا عَمِّ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ"، ويخاطب صفوان بن أمية وهو كافر بكنيته أَبَا وَهْبٍ".

وإذا لم يجد أسماء أو ألقاب محببة إلى من ندعوه إلى الإسلام، فعلى الأقل نناديه بالأسماء المحايدة، ونتجنب ما يثيره على الإسلام. ولعل من الأسماء المحايدة "الآخر" و"غير المسلمين" التي لم يرد تحريمها أو الإنكار عليها في الكتاب أو في السنة، وتندرج في المباح. كما أن كلمة "الكافرين" لم يرد فضل في استعمالها، سواء في الكتاب أو في السنة.

ومن الحكمة التدرج، فكلنا يدرك أن ١٣ عاما من الدعوة كانت تركز على المعتقدات الصحيحة وتركيزها، ثم جاءت التشريعات. وكلنا يعلم أن القرآن الكريم لم ينزل دفعة واحدة، ولكن منجما خلال ٢٣ عاما. وليس تقسيم التعليم إلى حوالي الست عشرة عاما سوى نوع من التدرج...

والحديث في الموضوع يطول، ولكن قد يفيد الاطلاع على ما ورد في كتاب "مدخل إلى الإعلام الإسلامي"، الصادر قبل عشرين عاما، من نماذج لأساليب الإقناع العقلية والعاطفية والعملية التي وردت في القرآن الكريم، وكذلك ما ورد في كتاب "الحوار النبوي مع المسلمين وغير المسلمين" من نماذج حية من الحوار النبوي مع غير المسلمين بأنواعهم، وفي مواقف دعوية مختلفة.

سعيد صيني

الابن خالد كيف نقرأ؟

سؤالك يحتاج إلى صفحات عديدة، لأنه متشعب، لاسيما في زمن ثورة الاتصالات، خاصة في عصر الإنترنيت. ولكن أقول باختصار:

ما الهدف من القراءة؟

إذا كانت للتسلية وللاتعاظ ولترقيق القلب ... فاقرأ المباح ولا تصدق كل ما تقرأ.

إذا كان للتطبيق فخذ الموجود من عالم تحترمه، ثم طبق واجعل تطبيقك في ذمته. وإذا وجدت رأي مخالف له، انظر في أدلة الطرفين من الكتاب والسنة، واستخدم الفطرة السليمة والعقل السليم. واعلم أن شريعة الله تساند الفطرة، ولا تخالف العقل ورجح... واحذر من الرأي الذي يسنده أصحابه بالشتائم والسباب، ولكن لا ترفضه بدون التحقق من صوابه...

وهذا لا يعني أن الرأي الذي يحاول أصحابه تمريره باللطف واللسان الحلو حق لا شك فيه، ولكن أكرم عقلك الذي يفكر ويتمعن أكثر من ذاكرتك وكراسك الذي يسجل ويردد أقوال الآخرين...

إذا كان للبحث لتنمية المعرفة الشرعية فاعتمد على الأدلة النقلية (الكتاب والسنة الموثقة) والأدلة العقلية والفطرة. وتجنب قص ولصق أقوال الفقهاء...، واسترشد بأقوال السابقين وفهمهم واستنتاجاتهم، واستعن بهم، وافترض أنهم مخلصون، ولكن ليسوا معصومين. ولتنمية المعرفة الإنسانية فاعتمد على الدراسات التي تتوفر فيها شروط البحث العلمي....

وإذا استخدمت محرك قوقل، وبحثت تحت اسم "سعيد صيني، ستجد نسخة إلكترونية مجانية من كتاب "قواعد أساسية في البحث العلمي" فقد يفيدك للحصول على بعض الإجابات المفصلة لسؤالك.

والله ولي التوفيق.

سعيد صيني

١٣/ ٣ /١٤٣٣هـ

المبتعث وفرصة الاستثمار للحياة الأبدية

يقول تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥]. وقال نبيه صلى الله عليه وسلم: "بلغوا عني ولو آية"[١] وقال في خطبة الوداع "فليبلغ الحاضر الغائب"[٢]. والنصوص كثيرة في هذا المجال. لهذا لا يشك مسلم أو مسلمة بأن الدعوة فرصة استثمارية للآخرة عظيمة.

وحتى المسلم العادي، يمكنه دعوة من يلتقي به من غير المسلمين ويتعامل معه، وذلك في حدود معرفته. فكل مسلم بلغ سن الرشد لا بد أن يعرف من الإسلام ما ينجيه في الآخرة لو عمل به، وتبرأ به ذمته إن دعا إليه - إن شاء الله. كما يكسب الأجر العظيم الذي أكده رسول رب العالمين في قوله "لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم"[٣].

وهناك أساليب عقلية وعاطفية كثيرة للدعوة، ولكن أقواها قاطبة هو أن يكون الداعية قدوة حسنة في سلوكه. فالناس لا يعرفون درجة تقواه إلا بما ينعكس منها في سلوكه، ولا يعرفون درجة علمه إلا بما ينعكس منها في سلوكه، ولا يعرفون درجة صدقه وأمانته وقيمة ما يدعوا إليه من الهداية الربانية إلا بما ينعكس منها في سلوكه. وقد جعل الله في مقدور كل مسلم ومسلمة أن يدعوا إلى الإسلام أو الحق أو الخير، وذلك بسلوكه الحسن إذا قام بتطبيق ما يعرفه من أمور دينه. فالسلوك ظاهر للناس ومحسوس لا تعادله قوة الكلام في الإقناع وإن كان بليغا[٤].

---

(١) البخاري: أحاديث الأنبياء.

(٢) البخاري الحج.

(٣) البخاري: الجهاد.

(٤) كيف نشرك غير المسلم في نعمة الإسلام، منشورات الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالهفوف.

وكثيرا ما يواجه المسلم مواقف دعوية جاهزة أو شبه جاهزة، فيغفل عنها لأنه منشغل بأمور أخرى، غير مهمة أداء واجب التبليغ، ولأنه غير حريص على إشراك الآخرين في نعمة الإسلام التي من المفروض أنه ينعم بها، وأن لا يحتكرها لنفسه. أما المسلم اليقظ فإنه يحرص على أداء واجب التبلغ، ويعتبر هذه المواقف فرص استثمارية عظيمة.

ولعل أفضل الفرص الدعوية وأيسرها أن يسألك أحد المدعوين (غير المسلم أو المسلم المقصر) عن معلومة حول الإسلام وتعاليمه. فتستفيد من الفرصة إذا كانت لديك معلومات كافية، أو تدله على شخص، أو موقع إسلامي تثق به، أو تزوده بكتاب يفيده في المسألة وعن الإسلام بصورة شاملة، وهي كثيرة ومنها كتاب "تساؤلات جدلية حول الإسلام وتعليقات". وفيما يلي بعض المواقف التي تجاوب معها بعض المسلمين بيقظة، وحاول استثمارها للتعريف بالإسلام أو الدعوة إلى تطبيق تعاليمها. فلعلها تمنحنا فرصة للتأمل في بعض طرق التعامل معها[1].

القصة الأولى:

تحكي هذه القصة آثار اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم في البدء بالثناء صادقا على ما عند الطرف الآخر من إيجابيات.

اشتكت جمعية الطلبة المسلمين في مدينة كولومبيا بولاية ميزوري بالولايات المتحدة إلى أحد أعضاء الجمعية رفض إدارة السجن المركزي للولاية في العاصمة السماح للدعاة بزيارة السجن. وكانت تسمح للجمعية بزيارة المساجين المسلمين لتوعيتهم. فركب هذا الطالب، الذي ارتدى خير ما عنده من ملابس سيارته، إلى العاصمة على بعد حوالي الساعة من مقر الجمعية لمقابلة مدير السجن والتحدث إليه في الموضوع.

---

(١) صيني، التعامل النبوي.

وعندما أُذن له دخل فاستقبله مدير السجن مسندا ظهره إلى كرسيه وواضعا قدميه على مكتبه في وجه الداخل إلى غرفته. ومدّ هذا الطالب يده مصافحا مدير السجن الذي مدّ يده أيضا دون أن يغير من جلسته. فبدأ الداعية بالثناء على جهود المسؤولين في السجون لتوفير بيئة آمنة للمواطنين والمقيمين في أمريكا. وقال له "انتم تقومون بالدور الأكبر وأنتم في الجبهة، ولكنا بصفتنا جمعية دينية إسلامية نعيش في هذه البيئة نريد أيضا أن نسهم في هذه الجهود،كما يسهم فيه اخوتنا المنتمون إلى الجمعيات الدينية الأخرى مثل المسيحية".

وعندما سمع مدير السجن هذه اللهجة التي فيها ثناء على جهوده وزملائه أنزل قدميه عن مكتبه واعتدل في جلسته... ولم يخرج هذا الطالب من الغرفة إلا بعد أن اتفق مع مدير السجن على خطة لهذه الزيارات وضوابطها. وعندما خرج هذا الطالب مغادرا قام هذا المدير بتوديعه إلى سيارته.

القصة الثانية:

وفي هذه القصة استعمل الطالب وسيلة تأليف القلوب بالهدية، إذ كان يجلس خلف ظاولة تعرض بعض الكتب الإسلامية وأشياء أخرى من المصنوعات الشرقية في المركز الطلابي بالجامعة. فاقترب من طاولة العرض طالب أمريكي يبدو حسن الهندام ويلبس ربطة عنق، على غير عادة الأمريكيين الذين يتبسطون في ملابسهم، وأخذ كتابا للمودودي بعنوان "مبادئ الإسلام" بالإنقليزية فقلبّه ثم سأل عن قيمته. فقيل له عشرة دولارات. فوضع الكتاب وأراد أن يغادر. فقال له:

- الطالب المسلم: "هل الكتاب جيد؟"
- أجاب الأمريكي: نعم أعتقد أنه جيد.
- فقال له المسلم: يمكنك قبوله هدية من الجمعية.
- فاستحى الأمريكي وقال: شكرا، ولعلي أشتريه ولم يقبل الهدية بل دفع قيمتها.

والطريف في الموضوع أن هذا الأمريكي جاء إلى المركز الإسلامي في مدينة كاربون ديل بولاية إلينوي بعد حوالي ثلاثة أسابيع ليعلن إسلامه. فوالده كان موسرا

بعثه إلى فرنسا للدراسة وكان يعيش في فرنسا مع بعض المسلمين من المقصرين في واجبهم الديني، ولكنهم كانوا من المتحمسين لدينهم فأخبروه شيئا عن الإسلام. وهذا ما جذب انتباهه إلى الكتاب...

القصة الثالثة:

وهنا يستفيد أحد الدعاة المتجولين من فرصة عارضة للدعوة إلى الإسلام، وكم من فرص نضيعها ويضيعها حملة الشهادات المتخصصة في الدعوة،. هذا، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض نفسه على القبائل وكان يلقى الأذى فلا يزيده ذلك إلا حماسا. ويستفيد هذا الداعية أيضا من وسيلة تأليف القلوب بالمال.

كان الأخ الداعية المتجول خارجا من محطة القطار في مدينة هونق كونق المزدحمة بالسكان فرأى امرأة تبكي بحُرقة فسألها بالإنقليزية مشفقا عليها: هل أستطيع أن أساعدك؟

- أجابت: نعم ولدي ذاك طردني من المنزل. وقالت ساخرة: هل تستطيع أن تعمل لي شيئا؟

فنظر الداعية إلى الجهة التي أشارت إليها فرأى شابا يبيع صحف وبطاقات هاتف ودخان... فقال للمرأة: انتظري وسأحاول.

وذهب الداعية إلى الشاب فاشترى منه أشياء لا يحتاجها وناوله ورقة نقدية ذات قيمة كبيرة، وتنازل له عن الباقي. ثم استدرجه إلى الحديث حتى تمكن من إيقاظ ضميره تجاه والدته. وقد أسعفه الحظ لقلة الزبائن الذين كانوا يقفون عند هذا الشاب في ذلك الوقت. ثم عرض على المرأة التي تعرف شيئا من الإنقليزية مساعدته في زيارة المركز الإسلامي بالمدينة. وفي الطريق أخذ يخبرها أنه مسلم وأنه يعيش سعيدا ورغَّبها في الإسلام. وفي المركز الإسلامي في قلب عاصمة هونق كونق طلب من أحد الاخوة هناك العناية بتلك المرأة وأعطاه شيئا من النقود ليعطيها لها بين وقت وآخر. وعلم فيما بعد أن المرأة قد أسلمت.

القصة الرابعة:

استفاد أحد الدعاة المتجولين من الحلم الذي كان من الصفات البارزة في الرسول صلى الله عليه وسلم فكان سببا في هداية ضال من المسلمين في أسبانيا. طرق هذا الداعية الباب على أحد المسلمين الذين ذهبوا إلى أوربا بحثا عن الثراء وفشلوا، فدفن نفسه بين زجاجات الخمر لينسى همومه.

وعندما طرق الداعي عليه الباب كان الوقت بين صلاة المغرب والعشاء فخرج هذا المسلم في حالة يُرثى لها وصرخ في وجه الداعية: ماذا تريد؟

- قال له الداعية بلطف: نحن نجتمع في المسجد للتفكُّر في الآخرة ونحب أن تشاركنا.
- فزاد غضب هذا المسلم وبصق في وجه الداعية وصرخ: ألهذا تزعجني وتطرق عليّ الباب؟
- فقال الداعية بصوت المشفق على أخيه المسلم وهو يمسح وجهه: الحمد لله أن الذي بصق في وجهي أخ مسلم وليس كافرا.

وما أن سمع هذا المسلم رد فعل الداعية لم يتمالك نفسه فاندفع إلى الداعية واحتضنه مجهشا في البكاء... يقول: سامحني. يا أخي...سامحني ... وطلب مهلة ليتوضأ وذهب مع الداعية ورفيقه.

وكل رمضان جديد وأنتم بخير دنيوي وأخروي أكثر

سعيد صيني

١٤٣١/٠٨/٢٧هـ

لكل مقام مقال في الدعوة

هذا مثل لا يجهله إلا القليل من المثقفين. وفي ضوء التجارب الدعوية الميدانية يدرك الداعية أن هذه القاعدة من أكثر الأشياء التي يحتاج إليها في جهوده الدعوية.

وتزداد الحاجة إليها أكثر كلما تنوعت طبيعة المدعوين، واختلفت بيئاتهم، واختلفت الظروف الزمانية.

ولهذا يضطر الداعية، اليقظ بالظروف المحيطة للموقف الدعوي المحدد، التكيف في الحدود المناسبة معها، ولكن بدون مبالغة أو تجاوز للواقع. فلا يبالغ مثلا في الثناء، ولا يثني على فضائل غير موجودة.

فيبدو لبعض الناس، ومنهم المحبين له، أنه تناقض أو أنه تنازل عن المبادئ. وقد كثر انتقاد أو عتاب بعض كبار دعاتنا في هذا الجانب، فقد وجدت نفسي مضطرا إلى التذكير بالحقائق التالية:

أمر الله سبحانه وتعالى بالرفق كمبدأ عام في دعوة الناس إلى الحق، حيث يقول: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل:١٢٥].

بل أمر موسى وهارون أن يلينا القول لفرعون، وهو يعلم أنه لن يهتدي فهو سيموت ظالما لنفسه بالكفر[1]. يقول تعالى ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤].

أما في حالة إصرار فرعون على الكفر ومعاداة المؤمنين فيستحق ما جاء في قوله تعالى: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنفال:٥٤]. وما ورد في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأعراف:١٠٣]. ويستحق المصير الذي انتهى إليه ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر:٤٦].

---

(١) سورة الأنفال: ٥٤.

فهل نقول بأن هناك تناقضا بين الآيات السابقة واللاحقة؟

طبعا. لا.

ولكن الأوامر الأولى هي المناسبة في المراحل الأولى من الدعوة. أما الأوامر اللاحقة فهي المناسبة مع المصرين على الكفر، والذين لم يقتصروا على رفض الحق، ولكن يعادونه والدعاة إليه.

وقياسا على ذلك، فإن الدعية قد يثني على ضال في كثير من معتقداته وسلوكه، ولكن ينجز هذا الضال أو يشجع عملا جليلا، ينفع الإسلام والمسلمين، وهو ينتظر هذا الثناء. فيبرز الداعية عمله الإيجابي، ويتغافل عن سلبياته وشططه مؤقتا.

وبعبارة أخرى، فإن الداعية قد يكون في موقف يستوجب المجاملة، فيستغلها للتشجيع على العمل الطيب، ولبناء جسر من المودة، قد يفتح باب النصح في المجالات الأخرى أو مستقبلا...

ولكن يثبت الزمن والنصح وتثبت المحاولات الإصلاحية بأن من جامله بالأمس وأثنى على عمله الإيجابي، سادر في غيه، ولا يثمر فيه هذا الأسلوب. فيضطر إلى كشف حقيقته للناس ويعلن عن رأيه في السمات العامة لهذا الشخص الميؤوس من إصلاحه، ويحذر منه.

فهل نقول أن هذا الداعية قد ناقض نفسه، أو أنه متناقض؟

أم نقول "لكل مقام قال"، وكان الداعية يقظا وحكيما، وكان يتبع المنهج الرباني في الدعوة إلى الحق؟

سعيد صيني

٤/ ٤ /١٤٣٢هـ

رسالة القسيس لناشر كندي مسلم

بعث لي الأستاذ محمد عتيق المهتم بالدعوة رسالة قسيس يحرص على تعليم المسلمين أمور دينهم، ونحن نغط في نوم عميق عن واجبنا تجاه ديننا بالتعريف به أو بالدفاع عنه.

اسمي وين مور، وأعمل منسقا للرعاية الروحية والدينية في مركز الإصلاح بالمنطقة الشرقية الوسطى، بكندا. وأنا قسيس مسيحي، من مسؤولياتي توفير الرعاية الدينية للسجناء من المنتمين إلى جميع الأديان. وإدارتنا تعمل على توفير المطبوعات الدينية وتيسير مهمة الدعاة المتخصصين الذين يزورون المساجين في هذا المنشأة الضخمة جدا.

إنها السياسة الحكومية التي تفرض على المجتمعات الدينية المختلفة (المسلمون، والمسيحيين...) توفير المطبوعات الدينية المناسبة لأتباعها.

ويؤسفني القول أن المجتمع الإسلامي هو المجتمع الوحيد الذي لا يوفر لنا نسخا من الكتابات الدينية بصورة منتظمة. نحن نوزع آلاف النسخ من "الكتاب المقدس" [عند المسيحيين] سنويا بناء على طلب المساجين. ونوفر مئات الدورات المجانية عن طريق المراسلة عن الديانة المسيحية، أما للمسلمين فلا يتوفر لهم أي شئ.

وهذا بالرغم من المحاولات العديدة التي بذلتها ومن الاتصال بمجلس الأئمة المسلمين بدون أي استجابة. ولدينا إمام وهو محمد قول، الذي يأتي عندما يستطيع وأحضر لنا عددا محدودا من نسخ القرآن دفع قيمتها من جيبه الخاص رغم ضيق ذات يده حسب معلوماتي عنه.

ولقد انتهى شهر رمضان، فإنه يخجلني أن أقول بأن أغلبية المساجين من المسلمين لم تكن لديهم نسخ من القرآن ليقرءوا فيها أثناء الشهر.

إن المسجد المحلي يدرك تماما الأوضاع عندنا، ولكن خلال ثلاثة أعوام ونصف لم يتمكنوا من تزويدنا إلا بست نسخ من القرآن.

وفيما يلي ما نحتاج:

أولا - بالنسبة للقرآن. لدينا الآن أربعين سجينا مسلما وحوالي الثلث منهم يقرؤون العربية. فنحتاج إلى نسخ من القرآن لهم. ونستقبل كل شهر طلبات عديدة من المنتمين حتى إلى الديانات الأخرى على نسخ من القرآن للاطلاع عليها.

ويمكننا بسهولة الاستفادة من ٢٠٠ نسخة من القرآن باللغة العربية وترجمته بالإنجليزية سنويا. فهذا السجن يستوعب ألف ومائتي نزيل، ويتبدلون بسرعة، أي تأتي أعداد وتغادر أعداد.

ثانيا - بالنسبة للمعلومات الأساسية عن الإسلام. كثير من النزلاء من ذوي الخلفية الإسلامية لم يؤدوا الصلاة في حياتهم. لهذا نحتاج إلى منشورات تعلمهم كيف يتوضئون. فمنذ شهرين تقريبا، أي، منذ إنشاء السجن قبل ثلاث سنوات ونصف زارنا مسلم وتبرع بكرتون فيه كتب ومطويات. وكانت المطويات تتضمن كثيرا من التعاليم الأساسية، مثل: صلاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وقد نفد ما في الكرتون خلال دقائق، وبقي كثير من المسلمين بدون شئ منها. وقد كان الذين حصلوا على بعض المطويات ممتنين جدا.

ويلاحظ أن سياسة الحكومة تمنع توزيع أي مواد تسيء إلى أصحاب الديانات الأخرى.

رابعا - نحتاج إلى أشرطة فيديو حول الإسلام.

خامسا - سجادات صلاة، حيث يتم الآن توفير ملاءات سرير إضافية للصلاة عليها.

وأخيرا إنني والمساجين من المسلمين نقدر أي شيء في مقدوركم مساعدتنا به أو تزويدنا بعنوان أي جهة يمكن أن تساعدنا.

المخلص

القسيس/ وين مور.

٧ / ٨/ ١٤٣٠هـ

ماذا يستفيد المسلمون من سب الأموات؟

أقول مهلا يا اخوتي يا أخواتي الذين لا أشك أنهم يحترمون سنة سيد الأولين والآخرين.

لاحظت في الآونة الأخيرة أن البعض يستسهل كيل الشتائم والسباب لبعض موتى المسلمين. هذا، مع أننا في حاجة إلى مساهمات جادة لحل كثير من مشكلات المسلمين ولرفع مكانة الإسلام والمسلمين في هذا العصر الذي أصبح فيه الإسلام والمسلمون هدفا سهلا لأعدائهم. ومما أسهم في هذا الوضع المزري: تقصير كثير من طلبة العلم الشرعي ودعاته في فهم الأمور الأساسية في دينهم، وفي الدعوة إليه، من جهة، ولانبهار البعض ببريق الثقافات غير الإسلامية ومحاسنها، من جهة أخرى، دون جهد للتعرف على سلبياتها أيضا.

وأرجو أن يسمح من لا أشك في إخلاصهم لدينهم أن أذكر - على عجالة - بما ورد عن رسول رب العالمين فيما يتعلق بسب الأموات:

١- عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّهُمْ قد أَفْضَوْا إلى ما قدموا[١].

٢ - عن عائشة قالت ذُكر عند النبي صلى الله عليه وسلم هالك بسوء، فقال لا تذكروا هلكاكم (موتاكم) إلا بخير[٢].

٣ - عن المغيرة بن شعبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء[٣].

ويقول العسقلاني في تعليقه على باب ما ينهى من سب الأموات، في صحيح البخاري:

وقال مجاهد أن عائشة، رضي الله عنها، قالت ما فعل يزيد الأرجي؟ لعنه الله قالوا: مات. قالت: استغفر الله. قالوا ما هذا؟ فذكرت الحديث. فعن مسروق أن عليا بعث يزيد بن قيس الأرجي في أيام الجمل برسالة فلم ترد عليه جوابا. فبلغها

(١) صحيح البخاري.

(٢) سنن النسائي الكبرى.

(٣) مسند الشهاب.

أنه عاب عليها ذلك، فكانت تلعنه ثم لما بلغها موته نهت عن لعنه وقالت إن رسول الله نهانا عن سب الأموات[١].

والسؤال ماذا يستفيد الإسلام أو المسلمون من سب الأموات؟

نعم، في حالة وجود منتجات فكرية مطبوعة، قد يضل بها الناس، من وجهة نظرنا، نعبر عن وجهة نظرنا تجاهها، بموضوعية وإنصاف بعد القراءة الجادة لها، ولكن ليس بالسب أو اللعن أو العبارات التي لا تفيد الإسلام أو المسلمين بشيء. والملاحظ أن بعضنا يُنصب نفسه وكيلا "للإسلام"، وقاضيا، ويصدر - بسهولة - أحكاما ضد الغائبين، اعتمادا على بعض أقوال خصومهم.

وهذا بالرغم من ورود أحاديث كثيرة تنهى عن اللعن والسب عموما، ومنها:[٢]

١- قوله صلى الله عليه وسلم "لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا"، و"لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة" و"ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان".

٢- النهي ثابت حتى بالنسبة للكافرين، فعندما قيل للرسول صلى الله عليه وسلم ادع على المشركين قال: "إني لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة".

٣- قول رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ.

٤- قول أَنَسٍ خادم النبي: لم يَكُنْ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَاحِشًا ولا لَعَّانًا ولا سَبَّابًا.

فهل بعد هذا يليق بنا أن نجتهد في إيذاء الأحياء من المسلمين بسب أمواتهم من المسلمين؟ وربما كانوا في علم الله هم أفضل منا بكثير. يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم:٣٢] وأختم بقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات:٥٥].

سعيد صيني

(١) فتح الباري ج ٣: ٢٥٨، ٢٦٠.

(٢) مسلم: البر والصلة ؛ البخاري.

شكرا أيها المحتسب من الرياض

أخي الدكتور عبد العزيز قاسم

جزاك الله خيرا على جهودك المباركة. لقد بعثت الأمل وأدخلت السرور في نفسي بخبر كلمة الدكتور زياد الدريس، التي أرجو أن تكون قدوة لخطابنا الإسلامي على الجبهة الخارجية. وكذلك أشكر لك نشرك خبر "محتسب من الرياض" الذي تعامل مع رفاقه بالحكمة والحسنى مع بعض الشباب فحققوا نجاحا في إقناعهم عن التراجع عن سلوكهم الطائش.

وأقول ل"محتسب من الرياض" ورفاقه:

هكذا الدعوة، وليس التراشق بالكلمات التي قد تكون جارحة. قواكم الله ونصركم وسدد جهودكم وبارك فيها، وجعل جميع الجهود المباركة في ميزان حسنات من يقومون بها، يوم العرض عليه، ويوم لا ينفع مال ولا بنون.

إن المسلم ليقف مطأطأ الرأس أمام هذه الجهود المتقنة الكلامية والعملية، التي تحتذي بسنة سيد المرسلين.

إن مثل هذه الأنشطة الدعوية التي تتسم بالشجاعة والحكمة في أرض المعركة الإصلاحية التي تتسلح بالحكمة والحزم هي التي تبعث الأمل في صلاح أمتنا الإسلامية وفي نصرتها.

ومن زاوية أخرى فإن الخبرين، يؤكدان أن الدنيا لا تزال بخير. فهناك العقلاء من غير المسلمين. وهناك الشباب الإسلامي، وإن أخطأ أو يخطئ أحيانا، فإن لديه ضميرا قابل للإيقاظ بالجهود الجريئة والحكيمة.

سعيد صيني

هل الجامعة الإسلامية لتحفيظ المعلومات فحسب؟

التقيت بالصدفة بأحد الذين تخرج أو أخرج من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهو، حسب إفادته، مسؤول حكومي له مكانته في إحدى الدول الإسلامية.

فتحدث عن انطباعاته عن الجامعة، فكان تركيزه على الإدارة ومدير الجامعة أكثر ما لفت انتباهي. وجرى الحديث عن بعض المدراء، مثل فضيلة الدكتور عبد الله الزايد، ومعالي الدكتور محمد العقلا بصفة خاصة، وكيف تم إعفاؤهم من وظائفهم في وقت غير متوقع. فلدى كل منهما خبرات إدارية متنوعة طويلة في شئون الجامعات.

وما كنت لأكتب في الموضوع لولا أن أحد الذين تعاملوا مع الدكتور العقلا وراقبوه عن قرب ألح عليّ، رغم تجربتين له شخصية مع الدكتور العقلا كانت سلبية نسبيا. فدفعني إلى الكتابة ثناؤه على جهوده المميزة لتطوير الجامعة الإسلامية خلال المدة القصيرة التي قضاها في الجامعة، رغم تجربتيه الشخصية معه.

استرجعت بعض المعلومات المختزنة في الذاكرة، والتجارب الشخصية، واصطدت بطريقة عشوائية بعض القصص والانطباعات من طلبة لم أحرص على معرفة من أين جاؤوا أو ما هي تخصصاتهم، ولكن كم سنة أمضوا في الجامعة؟ وذلك للحصول على انطباعات تغطي فترة طويلة، كافية للخروج بتصورات منصفة قدر الإمكان. ومن حسن الحظ أني التقيت بعدد ممن عاصر عددا من هؤلاء المدراء. ومنهم: الدكتور عبد الله الزايد، والدكتور محمد العقلا.

من المعلوم أن الرئيس الباكستاني محمد ضياء الحق حاول ما في وسعه، خلال حكمه، بعث الروح الإسلامية ومساندتها، ولاسيما على المستوى الرسمي. فقد أفاد عدد من الباكستانيين أنه عيّن أحد كبار الدعاة وزيرا للإعلام، فبدأ التلفاز يستهل برامجه بتلاوة القرآن الكريم لأول مرة في تاريخ باكستان.وعمل بجد في المحافظة على علاقات مباشرة قوية مع العالم الإسلامي... ولهذا لم يكن مستغربا من الدكتور عبد الله الزايدأن يزوره ليسلم عليه...

ومن هنا بدأت "القشة التي كسرت ظهر الجمل" كما يقول المثل. فقد ظهرت إشاعات تربط بين الزيارة المفاجئة للرئيس الباكستاني، محمد ضياء الحق، وبين إعفاء الدكتور عبد لله من رئاسة الجامعة الإسلامية.

فسأله أحدهم عن صحة الإشاعة، فذكر أنه كان في زيارة مع وفد من الجامعة إلى باكستان، فأحب أن يسلم على الرجل الذي عمل بجد أثناء رئاسته على صيانة الهوية الإسلامية لبلاده، وبعثها على المستوى الرسمي. وكان موعد احتفال الجامعة الإسلامية بمضي ربع قرن عليها قريبا، فرحّب الدكتور الزايد بحضوره، عبر المترجم، مستبعدا حضوره في مثل هذه المناسبة الصغيرة بالنسبة لمكانة ضياء الحق كرئيس دولة... ولم يخطر في ذهنه بتاتا أنه سيأتي فيقترح على الجهات العليا دعوته...

وقد تفاجأت وزارة الخارجية السعودية والمراسم الملكية بأن يزور الرئيس المخلص المتواضع المدينة المنورة بدون ترتيبات دبلوماسية مسبقة... للمشاركة في احتفال الجامعة الإسلامية.

وأقول لقد كانت "القشة..."، وذلك لأن من يحيط بالتوجهات الفكرية أو التعليمية في الجامعة الإسلامية - وإن كانت إحاطة سطحية - يدرك وجود تيارين في الجامعة:كان أحدهما قويا جدا، يمثل التيار التقليدي الذي يرى أن مهمة الجامعة الإسلامية تقف عند تنمية المعلومات الدينية لدى طلابها وتدريبهم على ممارسة ما يتعلمونه من أمور العبادة بحزم شديد... وكان التيار الآخر ضعيفا يرى أن مهمة هذه الجامعة العالمية لا تقف عند هذا الحد. فقد أنشأت حكومة خادم الحرمين الشريفين هذه الجامعة أصلا لطلاب الدول الإسلامية، الفقيرة معظمها، ولطلاب الأقليات الإسلامية التي تعيش بين أغلبية غير مسلمة، وذلك لنشر الوعي الإسلامي، ونشر الإسلام بالطريقة التي يأمر بها رب العالمين ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]، وكان الدكتور عبد الله الزايد ممن يتبنى هذا التصور.

وبالمناسبة، قد يضاف إلى هذا الواقع، التيار الجارف الذي بدأ يعشعش في هذا الصرح الدعوي العظيم منذ إنشائه، وهو الفهم الخاص لقوله تعالى ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي

ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦]. فهذا الفهم المسيطر يقول بأن الأصل أن نجبر المختبر (العبد المكلف) أثناء فترة الاختبار (الحياة الدنيا) على الإجابات الصحيحة، وإذا أجاب إجابات صحيحة وأراد تغييرها نجبره على البقاء عليها، ونعاقبه، بتهديده أو بتعريضه للموت!

وكان الدكتور عبد الله الزايد واسع الاطلاع وبعيد النظر بصورة ملفتة للانتباه. فهو الذي أنشأ قسما للإعلام في الجامعة الدينية، التي كانت تدرس الإسلام بطريقة تقليدية. ليس هذا فحسب، ولكن كان قد جعل له رفيقا باسم قسم الدعوة تحت مسمى "المعهد العالي للدعوة الإسلامية"، ليقوما بتأهيل الراغبين في الدعوة، مهما اختلفت تخصصاتهم المهنية وشهاداتهم الجامعية. وبعبارة أخرى، يتخصص المعهد في إعداد الداعية بالوسائل التقليدية والحديثة، وإن كان يحمل شهادة جامعية في الطب، والصيدلة، واللغة الإنقليزية و... وكان سببا في إنشاء صنو للمعهد المذكور في المدينة المنورة. وكان من ثمار هذه الانتفاضة لتحديث جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ابتعاث عدد من الطلاب إلى الولايات المتحدة لدراسة الإعلام. ولا أعتقد أن أحدا من الإعلاميين يجهل ثمار أول مبتعثين من جامعة الإمام في مجال الإعلام هما: الدكتور عبد القادر طاش والدكتور أحمد سيف الدين تركستاني. وبصراحة، كان من حسن حظ المرحوم الدكتور عبد الله الزايد رحمه الله وجود الدكتور عبد الله التركي مديرا للجامعة، وذلك لتمتعه بسعة الأفق وبعد النظر. فقد آزره في تنفيذ أفكاره السابقة لزمانها.

وليتأكد القارئ أنها أفكار سابقة لزمانها في بيئتها ينبغي له أن يعلم بأن أحد أعضاء مجلس ... عندما تم عرض مقترح إنشاء أستوديو إذاعي وتلفازي يكلف أكثر من مليون ريال، اعترض قائلا: "ليش تكلفون الجامعة هذا المبلغ؟ استفيدوا من الأستديوهات في شارع الوزير". وكان يشير إلى أستديوهات الصور الشخصية الفوتوقرافية، الموجودة في شارع الوزير بالرياض.

ولهذا لا نستغرب أن يترك الدكتور عبد الله الزايد عمله في الجامعة الإسلامية، حين ما كان من قبل مدير الإدارة العامة بالجامعة الإسلامية، وذلك بسبب عدم تحمله بعض العقليات المنتشرة في الجامعة منذ ذلك الوقت. وعندما عاد إليها بصلاحية مدير لها حاول جهده في تطويرها لتؤدي الدور الذي يراه لها. وكانت من جهوده قراره السماح للتلفزيون السعودي بالدخول إلى الجامعة لتصوير المناسبات الرسمية ذات الأهمية بالنسبة لسمعة البلد الأكثر إسلاميا ولجهوده في خدمة المسلمين، وذلك لمواجهة التُّهم الكاذبة الموجهة إلى البلد. وكنتيجة طبيعية لرؤيته الشاملة لمهمة الجامعة الإسلامية قرر إنشاء كليات، مثل: الإعلام، والطب، والهندسة، والعلوم الإدارية... وذلك بهدف تأهيل خريجي الجامعة الإسلامية لملء مواقعهم المهمة والضرورية في الدول التي ينتمون إليها، جنبا إلى جنب مع مواطنيهم من منتجات البعثات "التبشيرية" المسيحية...

وكان هناك صراع خفي ومكشوف بين التيارين، حتى جاءت تلك "القشة" فأنهت جهود شيخنا - رحمة الله عليه - الطموحة التي تليق برسالة هذه الجامعة.

ومن الواضح أن إبليس لم يضمن أن يكون العاملون في الجامعة الإسلامية من المؤبدين في النار. فهم مسلمون مخلصون لدينهم ولأنفسهم بدرجات متفاوتة. ولهذا اجتهد في خلق هذا الصراع الداخلي لتحطيم الجهود المخلصة المتميزة لمن يريد تطوير هذا الصرح العلمي عظيم الوظيفة في مصارعة الباطل.

وقد تعامل مدراء الجامعة الذين تتابعوا في تولي مسؤوليتها كل بما منحه الله من حكمة وصفات تميّز بها.

وجاء معالي الدكتور محمد العقلا فقلب التربة الراكدة وعمل جاهدا في تحقيق الأحلام التي راودت المرحوم الدكتور عبد الله الزايد، وبمهارة تلفت النظر أنشأ الدكتور العقلا جسرا قويا بينه وبين طلاب الجامعة القادمين من الخارج بخلفيات مختلفة وبثقافات متعددة، ومنها حرية التعبير غير المألوفة في مجتمع الجامعة

الإسلامية. فمعظمهم جاء من دولة إسلامية أو شبه إسلامية أو من دول ذات أغلبية علمانية متطورة، يمثل المسلمون فيها الأقلية.

فقد روى من أثق به أن معالي الدكتور عبد الرحمن السند دعا معالي الدكتور عبد الله المطلق لإلقاء محاضرة في الجامعة. وعند بدء المحاضرة شكر معاليه مدير الجامعة الجديد وأردفه بشكر للمدير السابق، الدكتور محمد العقلا، فضجت القاعة الممتلئة بالطلاب بالتكبير عددا من فماذا فعل الدكتور العقلا إضافة إلى جهوده لبعث أحلام الدكتور عبد الله الزايد من جديد؟ سأروي هنا قصصا مختصرة تعكس إدراك الدكتور العقلا للمهمة العظيمة للجامعة الإسلامية، سواء تجاه هذا الوطن الأكثر إسلامية في العالم (حكومة وشعبا) أو تجاه العقول الغضة التي جاءت لتنهل من العلم الشرعي في مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

كان الدكتور العقلا يُدرك أن التعامل الحكيم والتقدير المناسب لظروف من تركوا أوطانهم وأهليهم للدراسة في المملكة سوف يجعلهم سفراء وممثلين لهذه البلاد بدون استلام مرتبات منها. ولهذا كانت له تلك الشعبية والمحبة. ولهذا بكى بعض الطلبة المبرزين من دول مختلفة عند سماع خبر إعفائه من منصبه؟

إن عدم حدوث الهتاف المدوي عند ورود أسماء آخرين، ومنهم مدير الجامعة الجديد، أمر معلوم. فالطلبة لم يتعرفوا بعد على مديرهم الجديد، ولكنهم جربوا مديرهم السابق أربع سنوات. وأسأل الله أن يجعل معالي الدكتور عبد الرحمن السند خير خلف لخير سلف، يدرك أهمية هذه الجامعة من أبعادها المتعددة.

كان العقلا يتعامل مع الطلاب وكأنهم أبناؤه الذين يحرص على مستقبلهم، ويتسامح مع أخطائهم، ويعمل على تربيتهم وإصلاحهم بالوسائل الحكيمة، بدلا من القسوة. كان يقدر ظروف الطلاب المغتربين، ولاسيما القادمين من خارج المملكة، ويحرص على إعدادهم ليكونوا دعاة للإسلام وسفراء للمملكة بعد التخرج. كان ينظر إلى مهمة الجامعة نظرة تتسم بالشمولية وبُعد النظر. كان يدرك هذه الحقيقة بثقافته الواسعة وبجهوده المخلصة في التعرف على طبيعة وظيفته. فهو يدرك أن

وظيفته لا تتوقف عند توفير التعليم الإسلامي للطلاب الذين قدموا من مختلف أصقاع الأرض، مشبعين بثقافات متنوعة شديدة التنوع. كان الدكتور العقلا بذكائه يدرك أن من مهام هذه الجامعة هي إعداد قيادات إسلامية في مجالات الحياة المختلفة في البلاد التي جاء منها طلاب المنح، كما تصنع الجامعات الغربية المتطورة في العلاقات الدولية، بعيدة النظر.

ومن القصص التي تُروى عن الدكتور العقلا أنه أدخل شبكة الإنترنيت ليستفيد منها الطلبة في تنمية معلوماتهم ومهارة التواصل الاجتماعي... لتسخيرها للدعوة إلى الإسلام ورفع شأنه.

كان يعقد لقاء مفتوحا ومباشرا في كل فصل دراسي، تُتاح فيه الفرصة للطلاب ليقولوا ملاحظاتهم علانية بالميكرفون. فمن المعلوم أن معظم الطلاب يأتون من بيئة ثقافية توفر درجة عالية من النقد للأنظمة وللمسؤولين. ويسهم هذا اللقاء في التعرف على احتياجات الطلبة، ويزيل الحواجز التي قد يصنعها بعض الموظفين المقصرين في حق وطنهم المملكة ودينهم الإسلام. فمن الموظفين من يقول للطالب: "احمد الله. دراسة بالمجان وسكن وأكل وشرب بالمجان..." إذا طلب الطالب حقه في ظل نظام الجامعة، مثل عدم تعطيل معاملته بدون سبب مقبول إنسانيا وتيسير معاملته. والعاقل يدرك أن أقل فائدة تُذكر لمثل هذا اللقاء أنه يمتص غضب الطلاب المتذمرين لأسباب واقعية مقبولة أو مرفوضة نسبيا أو...

وفي إحدى هذه اللقاءات حاول أحد الطلاب الحصول على الميكرفون ليتحدث فلم تحصل له الفرصة فكتب رسالة إلى جوال مدير الجامعة المتوفر لدى الطلاب جميعا يقول فيها: "ما فائدة هذا اللقاء إذا كان الميكرفون لا يُعطى إلا لمن يمدح الجامعة والمسؤولين فيها؟" فطلب مدير الجامعة من مقدم اللقاء قراءة الرسالة علنا. ثم ترجّى كاتب الرسالة أن يعلن عن نفسه ليعطيه الميكرفون ليعبر عن ملاحظاته أو مطالباته، مع ضمان علني بأنه لن يتعرض لأي أذى. وبعد تكرار الترجي أعلن الطالب عن نفسه، ومُنح فرصة الحديث وتقديم ملاحظاته ومطالباته،

فضمن المدير بعضها فورا وأرجأ البعض الآخر للدراسة، واعتذر عن البعض الآخر بأسباب مقنعة. وكان مما وافق عليه فورا السماح للطلاب بالسفر أثناء الإجازات الرسمية غير الصيفية إلى أهاليهم على حسابهم، على أن يعودوا في الوقت المحدد للدراسة.

وقال أحد الطلاب "إن الطلاب لا يقومون إلى صلاة الفجر". فاقترح عليه المدير أن يكون محددا. فمن المستحيل أن يعرف من يصلي ومن لا يصلي من الطلاب في الوحدات السكنية كلها. وقال له إن كنت تعرف طلابا محددين يفعلون ذلك فعليك نصحهم وإذا أصروا فعليك التبليغ عنهم، من باب الأمر بالمعروف. واقترح عليه أن يقبل وظيفة مراقب بمكافأة على الوحدة السكنية التي يسكنها، بشرط أن يقبل هو قرار الفصل من الجامعة إن تغيب أكثر من أسبوع عن المحاضرات. فرفض الطالب العرض...

وطلب أحد الطلاب من غينيا فرصة تأجيل الدراسة لأنه كان مريضا ليذهب إلى بلده للمعالجة. وكان النظام يقضي في هذه الحالة بطي قيد الطالب وإعادة جميع وثائقه إليه وكأنه مفصول، مع وعد شفوي بتيسير معاملة إعادة قبوله، وذلك بدلا من منحه رخصة تأجيل فقط. فذهب معاليه إلى الطالب بنفسه في سكن الجامعة بجواز سفره، ليطمئنه بأن رجوعه إلى الجامعة مضمون، بعد شفائه. كما منحه ألف ريال، وزوده برقم جواله ليتصل به متى احتاج إلى خدمة ضرورية. وصادف أن الطالب انتقل إلى رحمة الله بعد مدة يسيرة من عودته إلى وطنه. فتأمل، ما سيكون شعور أهله وذويه وأبناء قبيلته تجاه هذه المعاملة الإنسانية التي عامل بها مدير الجامعة الإسلامية ابنهم.

قام بتعديل النظام القديم الذي يجعل التسجيل في ثمان مواد دراسية إلزاما إلى خمس مواد فقط في الفصل الدراسي الواحد. ويعلم الله بأي طريقة كان الطلاب يدرسون المواد الثمانية، ولاسيما إذا كانت لغتهم الأم ليست العربية، وأي جهد كانوا يبذلون لحفظ المقررات عن ظهر قلب لأداء الامتحان فيها.

وضبطت الجامعة طالبا في حوزته بعض الصور...، ولكن والده كان رئيس جمعية إسلامية ذات تأثير كبير في بلاد الطالب. وكان ولاء والده كبيرا للمملكة وللجامعة الإسلامية، الذي كان قد تخرج منها، منذ زمن. فقرر بعض المسؤولين فصله فورا من الجامعة. وهنا جاءت النظرة الحكيمة التي تتسم بالوفاء للمحسنين إلى المملكة وبُعد النظر في تصور النتائج التي تترتب على مثل هذه العقوبة لشاب في مقتبل عمره وعلى والده الرجل الصالح الداعية المسموعة كلمته عند القيادات السياسية في بلد الطالب. فقرر الدكتور العقلا، متمثلا بسياسة سمو أمير وزير الداخلية، المدرسة الإصلاحية التي فاقت مدارس الغرب في التعامل مع "الإرهاب"، وقرر عقابا بديلا، تمثل في: حرمانه من السفر في الإجازة الصيفية، وتكليفه بحفظ بعض المتون... وتصوّر كيف كانت النتيجة الطبيعية لهذه الحكمة في التعامل...

وكان يسمح للطلاب بطبخ ما يريدون في مساكن الجامعة المجهزة بمطبخين في كل دور، وذلك اعترافا منه بعاداتهم ومأكولاتهم التي ألفوها في بلادهم، ومساندة لهم في توفير مكافآتهم التي منها يساعد بعض الطلاب أسرهم في بلادهم.

وخلاصة القول: إن دور الجامعة الإسلامية لا يقف عند تنمية المعلومات الدينية بالطريقة التقليدية والتدريب على المحافظة على أداء الصلوات في المسجد بحزم شديد. ومن زاوية أخرى، فإن أصحاب القرارات النهائية معذورون لتشابك العوامل التي تؤثر في قراراتهم... وأسأل الله أن لا يحرمهم من القرارات الصائبة، والمستشارين من ذوي الكفاءة العالية، ولاسيما في الأمور الخطيرة التي تؤثر سلبا أو إيجابا على عزة الإسلام والمسلمين وعزة هذا الوطن الأكثر إسلامية.

سعيد صيني

١٠/ ٤/ ١٤٣٥هـ

العلم والمسجد أيهما أعظم أجرا؟

إن من يزر الدول "الإسلامية" الكثيرة في العالم لا يملك إلا أن يحمد الله على النعم التي يعيش فيها معظم المواطنين في أرض المملكة. ومن هذه النعم أن ولاية الأمر فيها لألي العزم والحزم، وكما يقول الأمير سعود الفصل، وزير الخارجية "نحن لا نحب الحرب، ولكنا مستعدون له". فقد أنعم الله علينا بإخوة لنا وأبناء لا يبخلون بأرواحهم في سبيل الحق والوطن الأكثر إسلامية بين دول العالم. ومن النعم أن الدولة توفر المدارس والمقررات التي تهيأ المواطن ليسعد في الحياة المؤقتة والأبدية، مع ضرورة مراجعة بعض جزيئات المناهج الدينية.

وأقول ذلك لأن عددا من المهتمين بالدعوة، ومكافحة الإرهاب يقولون: "إن بعض الدورات التي تقيمها بعض الجهات الرسمية تقدم أحيانا معلومات "إسلامية" خاطئة، يلتقطها بعض الشباب المتحمس. وقد يضخمها فتحوله إلى مسلم متطرف في التعامل مع غير المسلمين، ومع الجهات الرسمية التي تتعامل مع هذه الفئة من المواطنين بطريقة تتسق مع التعاليم الإسلامية أو يجيزه الفهم الصحيح لنصوص الكتاب والسنة.

وهذه الحقيقة تؤكد أن محاربة التطرف والإرهاب الفكري لا تقتصر على العلاج بعد وقوعه، ولكن هناك ضرورة للعلاج الوقائي، ومنها تصحيح المفاهيم الإسلامية. ولا أقول توسيطها. فالإسلام دين وسط في الأصل، إذا أحسنا فهم الكتاب والسنة.

وكما أن الإعداد لنصرة الحق واجب بالوسائل المحسوسة، مثل صرف معونات ضخمة لبعض الحكومات، أملا في تعاونها لنصرة الحق...، فإنه يتحتّم علينا أن نجتهد للحصول على نصرة رب السماوات والأرض، وذلك بنصرة دينه. فوعده حق؛ ليس كوعد بعض المخلوقات... فمن له الملك والعزة يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ [محمد:٧].

من وسائل نصرة الله، وهو الغني

مما لاشك فيه أن من أشكال نصرة الله مساندة جهود نشر الفهم الصحيح للإسلام، ولاسيما جهود الفقراء المخلصين من المسلمين. لقد واتتني الفرصة للتعرف على نماذج لجهود دعوية مخلصة، في مناطق تبعد آلاف الكيلومترات عن بعضها، تجبر المسلم، ابن المملكة على الخجل من تقصيره وتقصير كثير من أبناء وطنه وبناته.

من تلك النماذج، مسلم يفتح بيته بمعونة زوجته وأولاده لاستقبال ٤٣ طفلة، و٣٠ طفلا ليتعلموا القرآن ويحفظوه، وليتلقوا التربية الإسلامية، من قبل صلاة المغرب إلى ما بعد صلاة العشاء. وتأمل في حكمة هذه الأسرة المسلمة في اختيارها هذا الوقت لنشاطها. لقد اختارت هذا الوقت لتوفر الفرصة لتدريب ضيوفها على تطبيق التعاليم الإسلامية، التي يتلقونها بأداء صلاة المغرب والعشاء جماعة...

وهل تعرفون ما مصدر دخل "دار أولي الألباب" المسجلة لدى وزارة الشئون الإسلامية؟ إن الأسرة تصرف على هذه الدار من مرتب وظيفة رب الأسرة لدى الحكومة، الذي لا يتجاوز الألف ريال؛ ومن بيع بعض الأطعمة المطبوخة في منزلها على باب الجامع الكبير في المدينة، في أوقات الفراغ!

ونموذج آخر، إندونيسي يفتح وأسرته مدرسة تحفيظ قرآن داخلية، بمساندة أحد أبناء مكة المكرمة: ولادة ونشأة، لم يحصل على الجنسية السعودية... وتؤوي هذه الأسرة حوالي سبعين من بنات المسلمين وعشر من أبناء المسلمين، في مبنى متواضع. وتتقاضى لقاء توفيرها السكن والطعام وفرصة تحفيظ القرآن، والحصول على الابتدائية النظامية، لمن يرغب، رسما رمزيا يتراوح بين ٣٣ - ١٠٠ ريال. ويسكن مدير المدرسة وزوجته الأولى في غرفة لا تتجاوز مساحتها بعض غرف

السائقين في المملكة والتي تفوقها من حيث الخدمات والمظهر. وليس لها باب يُغلق، ولكن ستارة من قماش سميك.

والأمثلة على ذلك كثيرة... فماذا أقول؟

إن العين لتدمع والقلب ليدمي من تقصير ملايين المسلمين الذين أنعم الله عليهم بأطنان وأطنان من الخيرات. لا أملك إلا أن أشكو إلى الله على تقصيرنا في أداء حقوق نعمه العظيمة التي لا نعدها ولا نحصيها.

وقد يقول قائل اتصل بالمؤسسات الخيرية المعتمدة. وأقول شكرا على المساهمة بالمشورة - على الأقل. والحقيقة، مع ما لهذه المؤسسات الخيرية الكبيرة من مساهمات جيدة، فإنها لم تسلم من عدوى البيروقراطية - كما أخبرني بعض الثقات. فهي لا تخلوا من الروتين القاتل والتوجهات الشخصية المتنوعة لبعض المأثرين فيها. وليس في توفير بعض المعونات - كما يخطر في ذهنك - ولكن لقبول بعض الالتزامات النقدية محددة الأغراض، (نشر كتاب وتوزيعه)، وسهولة استلام كتب مجانية للتوزيع. وقد تكتب مرارا، وتتابع الموضوع - حسب المتيسر من الفرص- أشهرا عديدة، مع مسؤولين متعددين، فلا تحظى، حتى بالإجابة، فضلا عن الاستجابة. وكما يقول المثل "طناش ياعم"...

ومعذرة على إقحامكم في الهموم الشخصية، ودعني أعود إلى موضوعنا الذي سمعت عنه كثيرا. وهو إصرار المحسنين على تخصيص تبرعاتهم لبناء المساجد، وذلك بدلا من تشجيع العلم، أو الإصرار على إنشاء مشروع ينفرد به، بدلا من إتمام أو تطوير مشروع قائم ناجح.

والسؤال: هل بناء المساجد أفضل من بناء دور العلم وتنمية العلم الضروري للأمة الإسلامية؟ وهل العمل الذي ينفرد المسلم بإنشائه أعظم أجرا وثوابا ونفعا للمسلمين أم العمل الجماعي المتكامل؟ وهل إنشاء العمل الخيري الجديد، دائما، أعظم أجرا من إتمام وتطوير عمل قائم ناجح؟

بناء مسجد أم مساندة التعليم؟

لاشك أن بناء المساجد لها أجر عظيم. لقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتا في الجنة" [(١)]. نعم الأصل لمن يبني مسجدا أو مُصلى لوجه الله أن له أجر عظيم، والأصل أن يبنيه في موقع يحتاج إليه المسلمون. أما إذا بناه للسهولة وللرخص وليكون جوار بيته، مع عدم وجود الحاجة الضرورية فالأمر يختلف. ومن صلي في مئات المساجد، بل في عشراتها فقط، في العالم الإسلامي، يجد أن المساجد لا تقترب من الامتلاء إلا في صلاة الجمعة. أما في الصلوات الخمس فهي تشكو إلى ربها قلة المصلين.

فهناك خطأ شائع في فهم الحديث النبوي المذكور بين كثير من المحسنين، إذ فهموا أن الحديث يقول بأن أفضل الأعمال الخيرية هو بناء المساجد. والنص لا يقول ذلك بتاتا، وإلا تعارض مع أحاديث صحيحة وصريحة. ومن هذه الأحاديث: قوله عليه الصلاة والسلام: "ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله ، قال ذكر الله"[(٢)].

ومما يدل عليه هذا الحديث أن من بذل جهده ولم يجد ما يتصدق به يستطيع أن ينافس الأغنياء القادرين. ولكل مجتهد فيما رزقه الله، بالحلال، فرصته في المنافسة وعليه واجباته. فقد اقتضت حكمة الله منح المعدمين فرصة المسابقة، وفرض واجبات على من أنعم الله عليهم بإمكانيات أكبر، ومنحهم فرصة للمنافسة أكبر. ولكن الحكمة الإلهية، اقتضت، أيضا، أن يساوى درهم الفقير الباذل جهده دينار الغني بالوراثة أو بالكسب. فالقضية نسبية، وليست مطلق الكمية، مادام المتنافسان قد بذلا قصارى جهدهما.

---

(١) الصحيحين وغيرهما.

(٢) رواية أبي الدرداء، صحيح الترمذي، الرقم: ٣٣٧٧، وخلاصة تحقيق الألباني أنه صحيح.

كما أن الحديث لا يقارن بين فضل بناء المسجد وجهود نشر العلم (إقامة مؤسسات نشر العلم النافع)، سواء أكانت علم فرض عين أو فرض كفاية. فهذا الفهم أو المعتقد الشائع يضيف إلى الحديث ما ليس فيه، وهو تقوُّل على نبيه الكريم بما لم يقله.

فالمؤسسات التعليمية الإسلامية، وإن اقتصرت على تشجيع حسن تلاوة القرآن الكريم وحفظه، فهي أعظم فائدة للإسلام وللمسلمين. وهذا مع أن بعض خريجيها قد لا يجدون لقمة عيشهأما إذا أضافت توفير فرصة تعلم المواد الشرعية الأساسية ففائدتها أعظم. وتكون الفائدة أعظم إذا وفرت فرصة الحصول على الشهادات النظامية.

فبيوت العلم هذه، سواء أكانت داخلية أو لا توفر السكن والطعام، فوائدها عظيمة، في تنمية معلومات أفراد المجتمع المسلم ليعرفوا دينهم، وإن قصّر بعضهم في أداء واجباتهم أحيانا. فرب العالمين يثني على منتجاتها فيقول: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١] ويقول جل جلاله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨] عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَر:٩].

ومن أين يأتي العلماء بدون حلقات المسجد التعليمية، وبدون المؤسسات التعليمية؟

ويثني النبي صلى الله عليه وسلم على طالب العلم فيقول: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا جَلَسَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْ بِهِمُ الْمَلائِكَةُ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الآخِرَةِ". وفي رواية أخرى: من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، و إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات و من في الأرض، حتى الحيتان في الماء،

وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، و إن العلماء ورثة الأنبياء. إن الأنبياء لم يورثوا دينارا و لا درهما. إنما ورثوا العلم؛ فمن أخذه أخذ بحظ وافر"[1].

وأين يتعلم هؤلاء من طلبة العلم؟ إلا في حلقات الدرس في المساجد؟ أو في المؤسسات التعليمية التي تنمي العلم الضروري وعلم الكفاية؟

لا يشك المتأمل اليقظ أن الاستثمار في توفير حلقات العلم أو المؤسسات التعليمية أو مساندة طلبة العلم المخلصين فائدته أكبر وأجره أعظم. ويمكن إدراك هذه الحقيقة بالعقل. فمثلا لو تخرج عشرة طلاب في دفعة واحدة سيعلمون، مائة طالب - على أقل تقدير. وهؤلاء سيعلمون الآلاف... فينتشر العلم في مواقع واسعة ونائية، قد تكون في حاجة ماسة جداً. كما أنه يستحيل أن تنقطع سلسلة التعليم عبر الزمان أو المكان. فالفائدة تتضاعف بصورة مستمرة، ويتضاعف الثواب بصورة لا يتخيلها المتبرع أو المتوسط فيها. وهذا في مقابل المسجد الذي لا يتحرك من مكانه ؛ إما جاءه المصلون أو هجروه...

وبعبارة أخرى، فإن العلم يبحث عن العملاء والزبائن ويلاحقهم، في كل مكان وزمان. وأما المساجد فهي ثابتة في أماكنها، تنتظر العملاء والزبائن. وقد لا يسأل عنها أحد في كثير من الصلوات أو لا يأتيها إلا قلة قليلة.

لقد بدا وضاحا مما سبق أن مساندة التعليم أكثر أجرا من بناء المساجد، ولكن هل الأكثر نفعا للمسلمين وللإسلام وأوفر أجرا العمل الفردي الذي يهديه لنفسه أو لذويه من الأموات؟ أم العمل الجماعي؟

إن من يقول بأن العمل الفردي أنفع وأعظم كسبا يغفل عن القاعدة الاستثمارية التي تقول بأن الجهود الجماعية أعظم إنتاجا –في الغالب- وأكثر كسبا، لجميع المتعاونين فيه. كما يغفل عن الحقيقة التي تؤكد أن فرصة الوقاية من الرياء

(١) مسلم؛ صححه الألبانى فى صحيح ابن ماجه.

والسمعة، اللتان تفسدان العمل الصالح، أكبر في العمل الجماعي. ولهذا يبدو واضحا أن العمل الجماعي أفضل من العمل الفردي، إلا أن تتوفر للفرد إمكانيات ضخمة، تُمكِّنه من إنجاز عمل متكامل، يحقق المطالب الحاضرة والمستقبلية.

ويظهر العمل الجماعي التعاوني في صور متعددة، منها إصلاح عمل قديم تعرّض لعوامل الزمن، أو بتطوير منشأة موجودة لتفي بالمتطلبات الحاضرة والمستقبلية، وليس شرطا أن يكون فطبيعة الاستثمارات، سواء أكانت دنيوية أو أخروية تُدرُّ ربحا أعظم كلما عظم رأس المال، مع توفر الإدارة الجيدة، والتعاون الجماعي. وهي تختلف عن بناء منزل جديد يريده الإنسان لنفسه مستقلا، يتمتع به في الدنيا الفانية. يضاف إلى ذلك أن المساهمة في المشروع الموجود الناجح أكثر ضمانا للنجاح والكسب. وأما الجديد فنجاحه في ظهر الغيب؛ ويقع بين احتمالين.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن مراعاة توفير مصادر تغطي تكاليف التشغيل المستقبلية عند تصميم المشروع، وإن صغر المشروع، أمر ضروري كضرورة إنشاء المسجد أو المبنى التعليمي. ومن خلال المشاهدة لمساجد ومراكز إسلامية في بلاد عديدة، وصلت إلى قناعة بأن احتياجات المساجد في الدول التي لا تسند فيها الحكومة هذه المنشآت بدرجة كافية، تختلف عن احتياجات المساجد في البلاد ذات الأغلبية المسلمة. فمثلا قد يكون تأمين سكن للإمام والمؤذن ميزة في البلاد الإسلامية المرفهة. أما في بلاد الأغلبية غير المسلمة فيحتاج الأمر، إلى ما هو أكثر أهمية، مثل: المكتبة، وغرفة الإدارة واستقبال المحتاجين إلى الاستشارة أو إلى التعرف على الإسلام... وربما قاعة للاحتفال بالمناسبات الدينية؛ وبعض المشاريع الاستثمارية لتأمين تكاليف تشغيل المسجد أو المؤسسة التعليمية، مثل فواتير الماء والكهرباء...

ومن المعلوم أن أي مؤسسة تعليمية، ولاسيما الداخلية، تعتبر المسجد جزءا أساسا في المؤسسة. وقارن بين مسجد يداوم فيه العشرات أو المئات على

الصلوات الخمس، ومنها الفجر، ومسجد في حي من الأحياء لا يزيد عدد المصلين فيه عن الصف الواحد أو الصفين.

الأعمال الخيرة الإسلامية وتهمة الإرهاب:

وأخيرا يشاع بأن المحسنين يضطرون إلى استخدام أساليب ملتوية لتوصيل تبرعاتهم إلى المؤسسات الحكومية والتعليمية الخاصة المسجلة لدي حكوماتها، وذلك تفاديا لتهمة دعم "الإرهاب". ومما يزيد الأمر صعوبة أن بعض الحكومات "الإسلامية" المحتاجة إلى الغرب تضيق الخناق على المسلمين، وتفسح المجال واسعا للتبرعات التي تصل إلى المؤسسات الدعوية غير الإسلامية...

والسؤال الموجه إلى أصحاب القرار: أليس من الضروري استشارة المؤسسات الدعوية الشعبية والدعاة المثقفين النشطين لوضع ضوابط تحد من تسرب الملايين إلى الذين تستغفلهم أجهزة المخابرات المعادية، ولا تخنق جهود المتبرعين والمتوسطين في الأعمال الخيرية؟

فغياب اللوائح الواضحة، وسيطرة الفهم المتعدد للتحذيرات من مساندة الإرهابيين كانت سببا في إغلاق دور لأيتام المسلمين في دول فقيرة. وتسهم في حرمان المؤسسات التعليمية الإسلامية من المساندة التي لا تساوي إلا نسبة ضئيلة مقارنة بمساندات الجهود المنافسة والمعادية للإسلام والمسلمين. كما تسهم في عرقلة الجهود الرامية إلى تحصين المسلمين، وتصحيح مفاهيمهم عن المبادئ الإسلامية الصحيحة في العلاقة بين المختلفين في الدين. ويقول عدد من الدعاة "إن غياب الجهود الإسلامية الصحيحة وتقصير من يتبعون كتاب الله وسنة رسوله، يمنح أهل الباطل فرصة طيبة لنشر معتقداتهم الفاسدة.

وأسأل الله الرحمن العظيم أن لا يحرم أصحاب القرار المخلصين، لدينه الحق وللحق القرار الصائب دائما وأبدا؛ وأن يحفظهم من شرور أنفسهم وشرور مخلوقاته. وأذكر نفسي والمسلمين والمسلمات أن لا يهملوا واجب نصرة

المخلصين من أصحاب القرار والاستشارة بالدعاء في ساعات الاستجابة. فهم أحوج إلى هذه النصرة من الجعجعة والتصفيق، وإن كانت هذه مفيدة أيضا.

د. سعيد صيني

١٤٣٦/٦/١٧هـ

أسباب الفكر "الإرهابي"

من خلال قراءتي لكثير من المقالات التي تدور حول أسباب الفكر "الإرهابي" بين بعض القيادات الإعلامية، التي نعول عليها في نشر الحق ودحض الباطل، ألاحظ تراشقا بالتهم، بدلا من التعاون على التشخيص الجيد للواقع المر.

فهل المسألة مناقشة واقعية، تهدف إلى الوصول إلى بعض الأسباب الجذرية للفكر "الإرهابي" (الإرعابي) ومعالجتها؟ أم المسألة تراشق بسهام التطرف؟ فقد يكون التطرف تمسحا بالثقافة اللادينية وتمجيدا لبريق الحضارة العلمانية، وغفلة أو جهلا بالمعتقدات الدينية التي ننتمي إليها؟ وقد يكون التطرف إعتقادا بأن بعض علمائنا معصومون ويمثلون الكتاب والسنة، ويحتكرون فهمهما، وإن خالف بعض آرائهم النادرة، العقل والفطرة، في قضايا مصيرية. وأما المخالفون لهؤلاء العلماء فيستحقون الرشق بالحجارة، إن أمكن!

فمن المعلوم أن شبابنا المتحمسون... الذين تصطادهم الجماعات المنحرفة، فيضحون بأرواحهم لقتل المسلمين باسم الإسلام، لا يولدون أشرارا. ولكن فكرهم الضال هو نتيجة عوامل عديدة، منها: نوع المعلومات الدينية والثقافية التي يتلقونها، وأوضاعهم النفسية، مثل شعورهم بالفشل في الحياة أو شعورهم بالظلم والإحباط بسبب بعض القرارات التي تتخذها بعض الأجهزة الحكومية، فتضرهم وذويهم ومن يتعاطفون معهم. ولا يختلف الأمر أكان الظلم بسبب الغفلة البريئة، أو الجهل المصحوب بتجاهل النصيحة والتنبيه.

فقد صادف أن أخذ أحدهم عددا من النسخ في زيارته إلى إندونيسيا من كتاب "العشر الأخير"، وأعطى كمية منه لإمام مسجد. فجاءه إمام المسجد محتجا، في اليوم التالي، قائلا: هل يرضيك أن يخرج المصلون الشباب المتحمسون من المسجد ليقاتلوا بعض أقاربهم وجيرانهم من غير المسلمين؟ فهناك أسر هي خليط من الديانات، ومنها أسرة –نبذل جهدا في إسلامها - أسلم الابن فيها والابنة تتردد بين الإسلام والبقاء على دين والدها المسيحي... والأم بوذية.

قال له صاحب الهدية: ما سبب سؤالك هذا؟

قال: ورد في كتابك قول النبي صلى الله عليه وسلم "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله". وترجمته الحرفية بالإندونيسية...

فتألم صاحب الهدية، لأن يرد هذا النص، دون غيره، في الكتاب الدعوي المفيد جدا، والذي يتم توزيعه بالملايين وبلغات عديدة، وبدون التنبيه إلى سياقه الخاص. لقد ورد هذا القول النبوي لحقن دم شخص أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله، ثم تراجع، عندما علم أنه يشهد أن لا إله إلا الله. فمع أنه كان كافرا شديد العداوة للمسلمين، فإن شبهة أنه أصبح مسلما، بقوله لا إله إلا الله، كانت كافية لحقن دمه.

وهي غفلة، لا أشك في براءتها. فوراء الكتاب جهود مخلصة لنشر الثقافة الإسلامية التي يحتاجها المسلمون الجدد، أو من لم تتوفر لهم الفرصة للحصول على الضروري منها. وهي جهود مشكورة، وتسد ثغرة كبيرة.

وفي المقابل، ومما هو جدير بالإشارة، في هذا المقام، أن جهودنا قاصرة في توعية بعض اخوتنا المواطنين بالحسنى في مجال المعتقدات المنحرفة عن الحق. وهي قاصرة في تحصين المسلمين في الدول التي تغزوها بعض الدول المعادية للإسلام، بدون وعي، وتعادي المملكة بوعي. فهذه الدول المعادية تنشط، منذ سنين، في نشر معتقداتها المنحرفة عن الإسلام بجهود دعوية سلمية في أمان، وتشتري بعض المسلمين من ذوي الضمائر الميتة فتسخرهم لتحقيق أهدافها... فتكسب إلى صفها الشعوب الإسلامية التي تجهل حقيقة معتقداتها.

وأما الذين يمثلون الحق فيغطون في نوم عميق، ولا يصحون إلا وقد أحاط الأعداء بهم من كل جانب... ومن المؤلم أن بعض الأصوات قد بُحّت، وبعض الجهود الفردية المحدودة قد غمرت بسبب كثافة الجهود الرسمية للعدو، وبسب عزوف من يمثلون الحق عن المبادرة بالجهود السلمية اللازمة الحثيثة بعيدة الهدف.

ويحدث كل هذا في غمرة النشوة بتحقيق بعض الأهداف الأقل أهمية، وفي غمرة الانشغال بالشئون اليومية العلاجية، بدلا من الاهتمام بالجهود الوقائية المبكرة.

وأسأل الله أن لا يحرم أصحاب القرار المخلصين لهذا الدين ولهذه البلاد ومستشاريهم من القرارات الصائبة والآراء الصائبة، في الوقت المناسب.

سعيد صيني

٢٨ شوال ١٤٣٦ هـ

هل من المنطق تعطيل السلاح المجاني لدينا؟

وإلقاء اللوم على الآخرين؟

في هذا العصر الذي اختلط فيه الحابل بالنابل، والأخبار المصنوعة لأغراض خبيثة والمكذوبة، أو المحرفة، تنتشر ظاهرة بين المسلمين كانتشار النار في الهشيم. وهي ظاهرة تبرئة النفس من القصور، وإن كان بطريقة غير مقصودة، وإلقاء اللوم على الآخرين، سواء أكانوا أصحاب قرار أو "حكومات" أو "الدول العربية" أو "الدول الإسلامية" أو "الدول الاستعمارية". ومن زاوية أخرى، نضع كل ثقلنا على البشر لضمان الأمن والسلامة من الفتن من حولنا، وذلك بدلا من التقرب، أولا، إلى رب السماوات والأرض والاعتماد عليه.

الدعاء سلاح ماض لمن يؤهل نفسه لاستخدامه:

لو كنا مسلمين حقا ونعرف بعض الحقائق الربانية، أو نكلف أنفسنا التدبر فيها أو... لأدركنا أننا كأفراد مقصرون جدا. ومع هذا نبدد جهودنا وأعمارنا في نقد

الآخرين، وذلك بدلا من التقرب إلى الله والاستعانة به مباشرة. فبدلا من نصرة المظلوم بما يتوفر لدينا من عتاد (الدعاء) نجتهد في كسب الآثام والعقوبات العظيمة التي يستحقها من يغتاب المسلمين ويبهتهم.

أقول هذا لأن النبي صلى الله عليه وسلم يضع بين يدي فقيرنا قبل غنينا، وضعيفنا قبل قوينا، أخطر الأسلحة ضد الظالمين، ولكننا نتجاهله أو نغفل عن استخدامه ومساندة المظلومين به. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يرد القضاء إلا الدعاء". ويقول عليه الصلاة والسلام: "اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب". ويقول صلى الله عليه وسلم "هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم؟"[١] طبعا الضعفاء المتواضعون لله والمؤدون لحقوقه، وليس الذين يجمعون مع "ضعف الحال" التقصير في حقوق الله والبطر بنعمة الله،... ومثاله الذين لا يقيمون الصلاة ولا يصومون، ويشحذون ويلقون بأكياس رز صدقة الفطر عند الزبالة... لأنه يعجز عن بيعها ليحصل على النقود التي يشتري بها "بكت" الدخان، أو شريحة الجوال أو...

إن نبي رب العالمين بهذه الحقائق يضع بين أيدينا معادلات ووسائل مجانية تحقق النصر. لا أظن أن المسلم الحق يشك في صدق هذه القوانين الطبيعية التي يخبرنا بها نبي رب العالمين. وحتى لو قال المسلم المتفلسف الذي يعرف شيئا من العلم الديني أن القول "لا يرد القضاء إلا الدعاء" ليس صحيحا عند جميع المحدثين، ولكن صححه البعض وحسنه آخرون، فماذا يقول في الدعاء الذي حصلت به المعجزات؟ ومثاله معجزة تحول النار بردا وسلاما على إبراهيم، عليه السلام بسبب الدعاء، عندما أراد قومه إحراقه. ومثاله قصة الثلاثة الذين تمكنوا من تحريك الصخرة التي كانت تسد باب المغارة باللجوء إلى الله[٢]. لقد وردت قصة

(١) الترمذي ج ٤: ٤٤٨؛ شرح مشكل الاثار ج ٨: ٧٨؛ البخاري ج ٢: ٥٤٤، ج ٣: ١٠٦١.

(٢) سورة الأنبياء: ٦٩؛ البخاري: الإجارة.

إبـراهيم عليـه الـسلام فـي القـرآن الكـريم ووردت قـصة الثلاثـة فـي الأحاديـث الـصحيحة. وهـي كلهـا تأكـد قولـه صـلى الله عليـه وسـلم: "لا يـرد القـضاء إلا الدعاء".

فالـدعاء نـوع مـن الجهـاد أو الـسلاح الـذي غفـل عنـه المـسلمون وأهملـوه أو استهانوا بـه. إن الـدعاء المخلـص الملحـاح وسـيلة لتحقيـق المـآرب، وإن تـأخرت الاستجابة. يقـول نبـي الهـدى "يستجاب لأحـدكم مـا لـم يعجـل يقـول دعـوت فلـم يستجب لي"[1].

ومن يرد استخدام الدعاء سلاحا ماضيا، ليزيل الظلـم وليحقق النصر، بإذن الله، لابـد أن يـوفر شـروطها، مثـل أن يكـون مأكلـه ومـشربه وملبسه...حـلال، وأن يتخير أوقات استجابة الدعاء مثل السحر، وأثناء السجود وبين الأذان والإقامة، والإلحاح على الله والتذلل إليـه... ولعـل أفـضل الـدعاء أن يـسأل الله كـف شـر الظـالمين عـن المظلومين، وذلك بهدايتهم إلى الحق والعدل، أو بأخذهم أخذ عزيز مقتدر، إذا لـم يكن لهم نصيب في الهداية في علم الله.

وأقـول لـيس مـن المنطـق أن نعطـل الـسلاح الربـاني المجـاني، ونقتـصر علـى الأسـلحة البـشرية. وذلـك لأن الاعتمـاد علـى رب العـالمين بـأداء حقوقـه والتقـرب إليـه بالنوافـل أضـمن للنـصر مـن التقـرب والتـذلل أو بـذل عـرق جبيننـا لـصانعي أسـلحة الـدمار مـن البـشر، وكثيـر مـنهم معـادون للإسـلام وللمـسلمين المخلـصين لدينهم؟

نعم، يقول رب العزة ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال: ٦٠، ٦١]. ولكن أيهما منطقي أكثر؟

---

(١) البخاري ج ٥: ٢٣٣٥.

- الاعتماد على خالق الكون كله، والاستفادة من السلاح المجاني المتوفر لدينا أولا؟

- أو الاعتقاد بأن السلاح البشري هو سبب النصر ونعتمد عليه بالكلية؟

أرجو من كل مسلم صادق ومسلمة صادقة أن يسأل أو تسأل نفسها إلى أي درجة اجتهدت أو اجتهد في التسلح بالأسلحة الربانية المتيسرة لكل واحد منا (الرجال والنساء والأطفال)؟ وهل استخدمها أو استخدمتها في رفع الظلم عن المظلومين وفي دفع الذل عن المسلمين؟

وبعبارة أخرى، هل فكرنا، فضلا عن، هل قمنا ليلة من الليالي، في ثلثه الأخير، لأداء ركعتين نبتهل فيها وبعدها إلى من له ملك السماوات والأرض أن ينصر الحق وينصر المظلومين..؟ وأقول ليلة واحدة وليس جميع الليالي التي تقصف فيها إسرائيل أطفال المسلمين ونساءهم و... يقول النبي صلى الله عليه وسلم "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له"[1].

نعم، كثير منا وربما أغلبنا إذا طفح الكيل بما نراه من ظلم الظالمين وخنوع الأكثرية ننشط في انتقاد الآخرين وفي محاكمتهم غيابيا... بحماس شديد، بين أنفسنا. أما أن نجتهد لاستقطاب المؤازرة من الآخرين (غير المسلمين) فجهودنا كأفراد أو مؤسسات أو منظمات - في الجملة - شبه معدومة، إلا من بيانات شجب وبعض الجهود الفردية وجهود وسائل الإعلام القليلة الناطقة بلغات أجنبية.

أليس الأفضل لمن ليس لديهم من الأمر شيء (ليسوا أصحاب قرار) أن ينصروا المظلومين باستخدام السلاح الرباني المتوفر لديهم؟ بدلا من الولوغ في أعراض المسلمين ومحاكمتهم غيابيا، معتمدين على معلومات مدسوسة أو مُحرّفة عن الحقيقة، بقصد أو بغير قصد؟

---

(١) البخاري ج ١: ٣٨٤.

هل بذلنا الجهد في كسب رضاء رب العالمين بأداء واجباته وفروضه، وبطاعته فيما أمر، والانتهاء عما نهى، ليكون دعاؤنا مستجابا؟ هل حرصنا على تجنب مصادر الدخل المحرمة، أو التي نحصل عليها بخديعة الآخرين، أو باستغلالهم والتسلط عليهم؟

هل تجاوز دعاؤنا للمظلوم خطب الجمع والتأمين وراء الخطيب؟ هل نتذكر المظلومين في صلواتنا، وفي دعائنا عندما ندعو لأنفسنا ولأحبتنا بالزيادة في الخير..؟

إني أطرح هذه التساؤلات خاصة على الذين يعتبرون أنفسهم أكثر المسلمين إخلاصا للضعفاء، ويعبرون عن ذلك بحماس ملحوظ، إذ ينصِّبون أنفسهم قضاة يصبون جام غضبهم وانتقاداتهم على الآخرين (أصحاب القرار، والحكومات، والدول العربية و...).

ما الفرق بين من نعتقد أنهم يسطون على المناصب التنفيذية بدون حق وبين الذين يسطون على المناصب القضائية بدون حق، ويقاضون الآخرين غيابيا، معتمدين على بعض المعلومات الخاطئة المضخمة بالعواطف الجامحة؟

وأما أن يكون المسلم في أرض المعركة فالقضية مختلفة، إذ عليه أن يقف مع من يعتقد أن الحق معه، بعد استشارة أطراف متعارضة وتأمل واستخارة.

أي القرارين أضمن للسلامة من الفتن:

هناك سؤالان كبيران يقضان مضجعي، ويلحان في الذهن، وأقف حائرا أمامهما. وأستأذن أعضاء المجموعة في طرحها، فلعل أحدا يساعدني في الحصول على إجابات منطقية ومقنعة عليهما، وهما:

أولا - يقول تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة:٢٥٦]. ويقول: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن

تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

والسؤال في ضوء هاتيتن الآيتين فقط: أي الفهمين لهذه الآيات هي التي تثير التطرف الفكري الذي يعادي الضالين، وإن لم يؤذوا المسلمين، وإن مدوا لهم يد العون من باب الأخوة في الإنسانية؟

- الفهم الذي يقول الواجب إجبار الطالب أثناء الامتحان، في قاعة الامتحان، على كتابة الإجابات الصحيحة للأسئلة المطروحة عليه..؟
- أم الفهم الذي يقول نترك له الخيار ليُحاسَب بعد تسليم ورقة الإجابة، ونتعامل معه، في فترة الاختبار، بمثل ما يتعامل معنا أو أفضل لنجذبه إلى الإسلام؟

ثانيا - يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد:٧].

والسؤال في ضوء الآية المذكورة يقول:

- هل الذي يضمن لنا الحفظ من الفتن ومن اعتداءات الآخرين الاعتماد على خالق الكون والتقرب إليه بمنح مليارات الدولارات إلى المؤسسات الدعوية الموثوق بها لنشر الإسلام وأداء واجب الدعوة إليه، والدفاع عنه بالحكمة؟
- أم التقرب إلى حكومات تناصر إسرائيل ضد من يدافع عن حقها بصراحة وبطريقة غير مباشرة؟

وأؤكد أني لا أوجه تساؤلاتي هذه إلى الفئة التي أظنها وقعت ضحايا عبادة الدرهم، وعبادة الجاه، وعبادة الشهرة، وعبادة النفس وعزتها من المسلمين، مدركين ذلك أو غير مدركين.

وأسأل الله أن يقينا ما وقعوا فيه، وأسأل لهم الهداية والأوبة إلى الحق والصواب. كما أسأل الله أن يقي المسلمين شرورهم، - على أقل تقدير - فيقفوا

موقف الحياد من الحق، بدلا من محاربته باسم "الإسلام" وباسم "الحق" وباسم "المصلحة العامة اللادينية".

وأبتهل إلى الله أن ينوِّر بصائرنا لما فيه الحق والصواب دائما وأبدا، ولاسيما بصائر علمائنا وولاة أمرنا. آمين.

سعيد صيني

٩ شوال ١٤٣٥هـ

التعامل عبر الأديان

بيني وبينكم. فهذا سر، أرجو أن تنشروه على أوسع نطاق، وبشتى الوسائل، وفي كل المناسبات. وهذا السر هو أني كنت أريد تسمية هذه المجموعة "زفرات مكلوم". ولكن عدلت عن ذلك، إرضاء لأم أحمد التي تسندني من حوالي العشرين عاما، رغم انشغالي بالقراءة والجلوس أمام الكومبيوتر معظم ساعات يقظتي. ولعل من يقرأ الزفرات التالية سيدرك أن أم أحمد إما أنها حريصة على تهوين المعاناة أو أنها لا تدرك ما أعانيه حقا بالتعامل مع هذا الموضوع منذ أكثر من ثلاثين عاما.

الخطاب الإسلامي بين الرفض والتسليم

لقد أثرت يا أبا سعد موضوعا كثر فيه الشطط لعصور طويلة، فأرفق هذه المقالين الذين تم نشرهما في جريدة الوطن، في ٢٩- ٣٠/ ٦/١٤٢٩هـ

لقد كنت مترددا في تناول الموضوع، وذلك لأني سأضطر فيه إلى مناقشة آراء علماء عظام، استفدت الكثير من علمهم الغزير. ولكن دفعني إلى المضي فيه أن أحدا من هؤلاء العلماء لم يدعي العصمة لآرائه، كما أني لا أدعي العصمة لمناقشتي لآرائهم.

إن المدقق في الخطاب الإسلامي الموجه إلى الآخرين وإلى دعاة الإسلام يلاحظ أن هناك أصواتا عالية وقوية متعارضة يمثل أحد أطرافها الرفض التام لغير المسلمين، ويمثل الطرف الآخر التسليم لبعض الأفكار المخالفة للإسلام.

ولعل قصة الطفل المسلم العربي، الذي يقيم مع والديه في بريطانيا، ترسم لنا صورة واضحة للرفض التام. لقد طلبت المعلمة من هذا الطفل - بعد أحداث ١١ سبتمبر - كتابة موضوع عن الجهاد، وذلك ضمن التدريبات على الكتابة للصف

الرابع ابتدائي. فذهب الطفل إلى إحدى المراكز الإسلامية، وصوّر بعض الصفحات من مرجعين أو ثلاثة. وفي يوم تسليم الورقة، طلب منه الأب أن يريه ما كتبه، حُبّا في الاستطلاع. ففزع الأب مما قرأ، إذ ورد فيه ما ترجمته "نحن ندعو الكافرين إلى الإسلام ومن يرفض الإسلام نقتله".

ومن الواضح أن الطفل كان يعبّر بطريقته عن القول الموجود في الكتب التي توزعها بعض المؤسسات الدعوية على نطاق واسع.

والحقيقة، لا ألوم هذا الطفل على ما كتبه وإن كان قد حذف الألف من كلمة نقاتل لتصبح نقتل في ضوء لغته العربية المحدودة.

ولكني أقف حائرا أمام قول أحد المتخصصين في العقيدة، وهو يتحدث عن الولاء والبراء: "من كان كافرا وجبت معاداته من أي صنف كان". وأنه يجب "التقرب إلى الله ببغضه ومعاداته، وجهاده باللسان واليد بحسب القدرة والإمكان". ويضيف: إن "الكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك".

وهناك موقف شائع يعبر عنه هيكل، في ثلاث مجلدات، فيلخصه بقوله "تدل النصوص الشرعية على مشروعية الجهاد ضد الكفار لإعلاء كلمة الله... بغض النظر عن كون الكفار معتدين أو غير معتدين ما داموا يرفضون الدخول تحت الحكم الإسلامي، كلما كان ذلك ممكنا".

صحيح أكثر الناس لن يهتدوا وإن اجتهدنا

أخي الكريم بسام

أنا معك أن هداية جميع الخلق أمر مستحيل والنصوص التي تؤيد هذا الرأي كثيرة لا تحصى، ولكن هل يمكننا معرفة من سيهتدي إذا اتبعنا سنة الأنبياء في دعوته؟ فنركز عليهم الجهود الدعوية؟

وهل يمكننا، مقدما، معرفة من الذي لن يهتدي، إذا دعوناه إلى الإسلام، وسيموت ضالا، فنجيز لأنفسنا الدعاء عليه؟ ولاسيما إذا علمنا أن كثيرا من كبار

الصحابة حاربوا الإسلام بعنف وإصرار في بداية حياتهم، ثم أسلموا وكانوا سندا عظيما للإسلام؟

سعيد صيني

١٧ /٨ / ١٤٣٠هـ

وماذا سنفعل بنصوص (جهاد الغزو؟)

زودني أحد الأحبة في الله بتساؤل طرحه أحد الدعاة المخلصين والمجتهدين - حسب قناعتي الشخصية، ويقول التساؤل:

قبل التعليق على هذا التساؤل، إني أرجو وأتوسل إلى الدعاة المخلصين والمجتهدين أن يقرؤوا أكثر مما يكتبون، وأن يقرؤوا بدقة قبل أن يصدرا أحكاما بالإدانة، وأن يبشروا المدعوين، بدلا من أن ينفروهم، وأن يحذروا مغبة الاغترار بتصفيق وهتاف المشجعين المتحمسين.

فمنهج رب العالمين ورسله المكرمين يقتضي الدعوة إلى الإسلام والحق والإصلاح بعرضها بلطف يسمح، حتى باستخدام الاستعطاف، ثم الحوار إن لزم الأمر بلين ونفس طويل يتصف بالتسامح، ثم محاولة إيقاف الحوار إذا تحوّل إلى مجادلة لا تهدف إلى الوصول إلى الحق.

ومن الحقائق الثابتة أن بداية الانزلاق في أحضان إبليس، عن حسن نية، هي نقد الشخصيات المسلمة، وربما كان منهم من يعلم الله أنهم أحسن منا آلاف المرات في الجملة، وذلك بدلا من الاقتصار على نقد آرائهم وأفكارهم. وقد يفوتنا أن الفرق كبير جدا، مثلا، بين تكفير الأخ أو الأخت المسلمة وتهمتها باللادينية أو بالتبعية للغرب من جهة ثم الاستدلال ببعض أقوالهما، وبين نقد أقوالهما أو أفعالهما باعتبارها تقود إلى الكفر أو تشبه حملات الترويج لتهم الكافرين المعادية للإسلام والمسلمين.

ولتتضح الفكرة نأخذ قول العبد الذي قال من شدة الفرح، شاكرا ربه "اللهم أنت عَبْدِي وأنا رَبُّكَ"[١]. هل من العدالة الإسلامية ومن العقل أن نقول "انظر إلى هذا الكافر ماذا يقول؟" إذا اتبعنا المنهج الشائع بين كثير منا ولاسيما الدعاة، سنقول ذلك حتما. لقد تعوّدنا في غياب السياق الذي لا نهتم به في العادة، أن نكشف عن ما في قلب هذا المسلم ونحاكمه غيابيا فنكفره بكل بساطة.

وهناك فرق بين أن نقول "إن هذا الاقتراح أو القرار له مخاطر عظيمة تضر الإسلام، ويتسفيد منه الأعداء، وبين القول "إن من صنع هذا القرار علماني متآمر ضد الإسلام ويخدم الغزو الفكر الغربي". فقد نكتشف أن من صنع القرار هو أحد أعلامنا الذين يستحقون كل تقديرنا واحترامنا، كما حصل بالنسبة لقرار حصر الفتوى في جهات محددة[٢].

ويلحق بهذا المنهج إذا صنفنا القائل بأنه في صفنا فإن كلامه، لاشك، هو الحق ومستمد من الكتاب والسنة، وأما إذا صنّفناه عدوا لنا، فلاشك، أن كلامه تهمة شنيعة وينطلق من عداوته للإسلام، وإن كان المضمون واحدا، كما يحدث في قضية انتشار الإسلام بالسيف.

ومن المعلوم بالدراسات التجريبية والملاحظة أن النقد الذي يركِّز على الأشخاص من أكثر وسائل خلق الشعبية للداعية، وبعث الحماس لإصدار أحكام تجانب الصواب وللخروج باستنتاجات مبنية على الظنون وأحيانا مبنية على بعض الحقائق. وقد لوحظ أيضا أن هذا النوع من النقد من أكثر شباك الشيطان في القوة والفعالية لاصطياد الدعاة المخلصين، ولاسيما المشهورين.

ولهذا فإن المسلم الكيِّس يحرص على أن لا يقع في شباك إبليس وأعوانه ويحسن الموازنة بين اللطف في الدعوة الذي يتسق مع الرحمة التي يدعوا إليها،

---

(١) مسلم ج ٤ ص ٢١٠٤.

(٢) عبدالعزيز بن ريس الريس، المشرف على موقع الإسلام العتيق.

وبين إظهار الإسلام بمظهر العزة اللائقة بتعاليمه الصحيحة المبنية على الفهم الصائب للكتاب والسنة. ويتم ذلك أولا بحرص المسلم على فهم التعاليم الإسلامية بطريقة صحيحة وتطبيقها بطريقة صحيحة عند أدائه واجباته وفي أقواله وفي سلوكه. ويطبقها باعتزاز مقرون بالامتنان لله الذي هداه، وبالإشفاق على المحروم منها، وليس باعتزاز مقرون بالتكبر والعجرفة على المحرومين من نعمة الهداية.

وقبل أن يلوم المسلم الكافرين أو الضالين على ضلالهم وينظر إليهم بصغار يجب أن يلوم نفسه ويؤنبها على التقصير في فهم دينه وفي تقصيره في أداء واجب الدعوة بالصورة المناسبة والوسيلة المناسبة. ومن المؤكد أن السباب والشتائم ليست من الوسائل التي تجذب المدعوين إلى الإسلام أو الحق، بل تنفرهم، وإن حظيت بهتاف كثير من المتحمسين للدعوة. ولهذا أمر الله بالدعوة باللين، حتى من علم أنه لن يهتد، حيث يأمر موسى وهارون باللين في دعوة فرعون ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه:٤٤]، ونهى نبيه الكريم عن الدعاء على الغادرين من الكافرين في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران:١٢٨]. ونهى عن استخدام السب حتى في الدفاع عن الحق. يقول تعالى ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنعام:١٠٨].

وكان من صفاته عليه الصلاة والسلام: "عن أَنَسِ بن مَالِكٍ رضي الله عنه قال لم يَكُنْ النبي صلى الله عليه وسلم سَبَّابًا ولا فَحَّاشًا ولا لَعَّانًا كان يقول لِأَحَدِنَا عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ ما له تَرِبَ جَبِينُهُ"(١).

(١) البخاري: ج ٥: ٢٢٤٣.

والمطلوب أن يسأل الداعية نفسه: هل الهدف من جهوده هداية الضالين أو تحقيرهم وتنفيرهم من الهداية؟

وأما فيما يتعلق بالتساؤل المطروح فأقول مستعينا بالله العليم الخبير: إن من يراجع غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وسراياه كلها لا يجد دليلا واحداً يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم قام بنفسه أو أرسل سرية لتشن غارة مثل غارات الجاهلية على أحد ابتداء، كما يقول بعض المستشرقين الذين يقولون بأن بدو الجزيرة غزو منطقة الهلال الأخضر طمعا في الحياة الدنيوية الناعمة. بل تصرح معظم الروايات حول تلك الغزوات والسرايا بالأسباب المشروعة التي تندرج كلها فيما يلي[١]:

١- صد لهجوم شنه العدو، مثل غزوة أحد أو غزوة الأحزاب.

٢- رد على اعتداء سابق، كما هو الحال بالنسبة لكل الغزوات والسرايا التي كان هدفها قريش وقوافلها التجارية، وعلى رأسها غزوة بدر.

٣- مطاردة لأعداء شنوا غارة على المدينة مثل غزوة السويق، وغزوة ذي قرد.

٤- مباغتة أعداء يحشدون الجموع لمهاجمة المسلمين، مثل غزوة بني المصطلق، وغزوة دومة الجندل.

٥- عقوبة على خيانة العهد والتآمر مع الأعداء أو التحريض على محاربة المسلمين مثل غزوة بني النضير وغزوة بني قريظة وفتح مكة المكرمة.

ومما يؤكد هذه الحقيقة أن يرفض عمر ابن الخطاب رضي الله عنه غزو كافرين لم يؤمر بمهاجمتهم، وذلك عندما اقترح أحد أفراد السرية التي يترأسها غزو قبيلة مجاورة للقبيلة التي هربت عندما بلغها أمر السرية[٢]. فعمر ابن الخطاب الذي عرفنا شدته على الكافرين المعتدين، يدرك أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يخرج في

(١) انظر ابن هشام، وابن القيم، زاد المعاد ج ٣، والحلبي.

(٢) ابن القيم، زاد ج ٣: ٢٥٩ - ٢٦٠.

غزوة أو يبعث سرية إلا لسبب مشروع محدد، يخدم الإسلام أو يدفع عنه الأذى، وليس للسلب والنهب وكسب الغنائم.

ومما يؤكد هذه الحقيقة التي يعرفها الصحابة الذين عاشوا مع النبي صلى الله عله وسلم مدة كافية بأن بعض الكافرين، وإن كانت لا تربطهم بالمسلمين معاهدات سلم، فإنهم يستحقون العيش في سلام آمنين من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه. ومما يؤكد هذه الحقيقة ما يتضح من قصة المرأة التي استعان النبي بمائها في سقيا جيش المسلمين في إحدى الغزوات، فكانوا يتحاشون غزوهم، فكان ذلك سببا في إسلام قومها.(البخاري: التيمم، الصَّعِيدُ الطَّيِّبُ).

فالإسلام لم يأت لقتال الجن والإنس ولقتلهم، ولكن لهدايتهم بمنحهم الفرصة القصوى للهداية. ولهذا تبرأ نبي الله صلى الله عليه وسلم من قتل خالد ابن الوليد رضي الله عنه بَنِي جذِيمَةَ الذين لم يحسنوا أَنْ يَقُولُوا أَسْلَمْنَا فَجَعَلُوا يَقُولُونَ صَبَأْنَا صَبَأْنَا، وتبرأ من قتله أسراهم[1].

والقاعدة العامة في العلاقة بين المسلمين والآخرين هي السلم في الأصل، ويبقى الأمر على تلك الحال ما دام الآخرون لا يتعرضون للإسلام أو للمسلمين بالأذى من أجل دينهم. ومن هذه القاعدة ينطلق واجب محاولة إشراك الآخرين في نعمة الإسلام. ولكن الإنسان حر فيما يعتقده في دار الاختبار والمصير الذي يختاره لنفسه، ما لم يلتزم بالإسلام وحسابه على الله في الآخرة لقاء كفره. وأما إذا حارب الإسلام أو المسلمين من أجل دينهم فعلى المسلمين أن يحسنوا تجهيز أنفسهم لرد هذا الاعتداء ولمعاقبته بالطريقة التي تخدم الإسلام وتسهم في توفير الظروف السلمية التي تخدم الدعوة الإسلامية، وتساعد في انتشار الحق.

وأسأل الله أن ينعم علينا بالفهم الصائب لدينه، بدلا من التقول عليه، وإن كان جهلا، وأن لا يحرمنا الأسلوب المناسب لإقناع الآخرين به، بدلا من تنفيرهم منه.

---

(١) البخاري: المغازي، بَعْثِ النبي خَالِدَ.

سعيد صيني
١٦/ ١١/ ١٤٣١هـ

جهاد الطلب يتعارض مع النص والعقل

تحدث الأستاذ محمد عن جهاد الطلب فقال إنه مثل الرق لا علاقة له بعصرنا فأثار أشجانا لا تزال مشتعلة، وذلك لأن أصل مفهوم جهاد الطلب يتعارض مع نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية قطعية الدلالة، ومع المدلول اللغوي، ومع العقل والفطرة.

فجهاد الطلب معناه أن على المسلمين مبادرة الكافرين بالقتال لمجرد كفرهم، حتى يسلموا أو يدفعوا الجزية أو يخضعوا لإرادة المسلمين...

وهذا النوع من الجهاد يتعارض مع نصوص قرآنية عديدة، صريحة وقطعية الدلالة، وعلى رأسها قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦]. ومنها جميع الآيات العديدة الصريحة التي تؤكد أن مهمة الرسول تنحصر في البلاغ، منها قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾ [الشورى:٤٨] (١) ومنها قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠﴾ [آل عمران:٢٠].

ومؤكدا مبدأ عدم الإكراه على الدين، يعاتب سبحانه وتعالى نبيه على جزعه على عدم استجابة الكافرين لدعوته، فيقول سبحانه وتعالى، مخاطبا نبيه الكريم: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾ [يونس:٩٩] وقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا

(١) وانظر سورة النساء: ٨٠؛ النحل: ٣٧، ٨٤؛ الإسراء: ٥٤؛ ١٠٥؛ الفرقان: ٥٦؛ الأحزاب: ٤٥.

﴿ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾ [الكهف:٦][١]. والآيات التي تبين أن الله أرسل محمدا مبلغا ومبشرا ونذيرا، وليس مكرها للناس على الحق كثيرة[٢].

ويعاتب الله تعالى نبيه إذ أبدى حرصا شديدا وتألم لعدم إيمان عمه أبي طالب الذي دافع عنه حمية وبالتالي عن الإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦].

ومؤكدا أن المحاسبة على رفض الإسلام سيكون في الآخرة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝١٧﴾ [الحج:١٧].

ويأمر رب العالمين رسله و المقتدين بهم بالدعوة بالحكمة واللين...

ويتعارض جهاد الطلب مع نصوص من السنة كثيرة، ومنها ما رواه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه قُدِم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسبى، فإذا امرأة من السبى تبتغى إذ وجدت صبيا فى السبى أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله «أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار». قلنا لا والله وهى تقدر على أن لا تطرحه. فقال رسول الله «لله أرحم بعباده من هذه بولدها»[٣].

وتقول عائشة رضي الله عنها "أنها قالت لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: هل أتى عَلَيْكَ يَوْمٌ كان أَشَدَّ من يَوْمِ أُحُدٍ. قال لقد لَقِيتُ من قَوْمِكِ ما لَقِيتُ وكان أَشَدَّ ما لَقِيتُ منهم يوم الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي على بن عبد يا ليل بن عبد كُلَالٍ فلم يُجِبْنِي إلى ما أَرَدْتُ. فَانْطَلَقْتُ وأنا مَهْمُومٌ على وَجْهِي فلم أَسْتَفِقْ إلا وأنا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ. فَرَفَعْتُ رَأْسِي فإذا أنا بِسَحَابَةٍ قد أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فإذا فيها

(١) وانظر فاطر: ٨.

(٢) انظر مثلا: سورة النساء: ٧٩ - ٨٠؛ الإسراء: ٥٤، ١٠٥؛ الفرقان: ٥٦؛ سبأ: ٢٨.

(٣) البخاري: ٥٩٩٩، مسلم: ٧١٥٤.

جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فقال: إِنَّ اللَّهَ قد سمع قَوْلَ قَوْمِكَ لك، وما رَدُّوا عَلَيْكَ، وقد بَعَثَ الله إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قال: يا محمد ... إن شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عليهم الْأَخْشَبَيْنِ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله من أَصْلَابِهِمْ من يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئا[1].

ولهذا كان منطلق الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوة الناس هو الشعور المخلص بالإشفاق عليهم وحب الخير لهم. فقد ورد في صحيح مسلم أنه "لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ قال انطلق نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى رضمة من جبل فعلا أعلاها حجرا ثم نادى يابني عبد منافاه، إني نذير. إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله، فخشي أن يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه". محذرا إياهم العدو"[2].

ويتعارض جهاد الطلب مع المدلول الصحيح لكلمة "جاهد، يجاهد" فالمجاهدة هي رَدّة فعل لشيء يسبقه، ويتفاعل معه بصورة مستمرة، مثل قاوم يقاوم، وليس هاجم يهاجم ابتداء.

ويتعارض مع العقل والفطرة فعندما قال البابا السادس عشر بأن الإسلام انتشر بالسيف، أي بمبادرة الكافرين بالقتال لكفرهم احتج علماء المسلمين ومسؤوليهم وعامتهم على هذه التهمة الباطلة. فهل يُعقل أن يشرع رب العاملين ونبيه الكريم ما يؤكد تهمة البابا؟

أما أدلة القائلين بجهاد الطلب فقد نوقشت بشيء من التفصيل في كتاب "حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين". ويطول المقام لاستعراضها، ولكن يتلخص النقاش في ضرورة قراءة تلك الأدلة في سياقاتها المناسبة وفي ظل القاعدة العامة ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾، وفي كون هذه الدنيا دار اختبار، يتحمل المخلوق المكلف

(١) البخاري، ج ٣: ١١٨٠.

(٢) مسلم: الإيمان وأنذر عشيرتك.

نتيجة اختياراته فيها. يقول تعالى ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف:٢٩].

هذا، والله أعلم

سعيد صيني

١٢/ ١١/ ١٤٣١هـ

الكاتب المغمور ووظيفة الجهاد

وددت لو أن "الكاتب المغمور" قرآ أكثر في الموضوع قبل كتابة مقالته. فقد ورد في كتاب "تساؤلات جدلية حول الإسلام وتعليقات ما يلي نصه:

نقاش حول وظيفة الجهاد؟

وددت لو أن الكاتب المغمور قرأ أكثر قبل أن يكتب ما كتبه عن الجهاد الإسلامي

ويمكنني تزويده بنسخة إلكترونية من بعض الكتابات التي استقرأت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الرئيسة، ومنها كتاب حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين" أو مختصره علاقة المسلمين بغير المسلمين المضاف إليه بعض النقاط. وقد ورد الحديث عنه في كتاب تساؤلات جدلية حول الإسلام وتعليقات ما عنوانه ونصه: الإسلام يرفض الإرهاب العدوائي والعنف.

لا يفرق كثير من كبار القادة السياسيين وأرباب الفكر بين "العنف" violence وبين "الإرعاب" terrorism "، وبين العنف والإرعاب العدواني وبين العنف والإرعاب الضروري.

وأقول "الإرعاب" وليس الإرهاب ترجمة للكلمة الأجنبية terroirsm، وذلك لأن أصل كلمة "الرهب" ومشتقاتها في القرآن الكريم تعني درجة من الخوف ليست

شديدة ويغلب عليها أن تكون ممزوجة بالاحترام تجاه شيء محدد، وقد يحدثه الإنسان في الآخرين لاتقاء شرهم..[١] وتختلف عن كلمة "الرعب"[٢] التي هي درجة من الخوف شديدة وتعني الفزع والهلع، وقد يحدثه الإنسان لعقوبة الآخرين أو لظلمهم، وكثيرا ما يقع لأسباب غير مقصودة أو غير محددة أو مجهولة تماما[٣].

وعلى الرغم من ذلك، فإن الإرهاب والإرعاب في العربية ليسا شرا محضا ولا خيرا محضا في ذاتهما. فهما وسيلتان لا تتحيزان للخير أو للشر. ويمكن استخدامهما لإحقاق الحق ولدفع الباطل ولنصرة المظلوم؛ كما يمكن استخدامهما لظلم المسالم البريء ولسلب ممتلكات الناس وأموالهم بالباطل وتجريدهم من حقوقهم والاستيلاء على أراضيهم.

وهناك فرق واضح بين العنف والإرهاب. فالعنف يعني استخدام وسائل مادية عنيفة مثل: الضرب، والتعذيب الجسدي واستخدام السلاح... للتعبير عن إحساس أو معتقدات أو آراء أو لتحقيق أهداف عامة أو خاصة.

وأما الإرهاب والإرعاب فهما أشمل لأنهما قد يكونان بالوسائل العنيفة أو بالوسائل غير العنيفة مثل: الاستفزاز بالحركات أو الإشارات (يشير عليه وكأنه يريد أن يذبحه) وبالكلام مثل التهديد بالحصار الاقتصادي وبالتهديد بالتشريد وبالتهديد بالتجويع وبالتهديد باستخدام الأسلحة النووية... ويشمل الإرهاب والإرعاب استخدام حق الفيتو أو التصويت ضد قرار يدين المعتدي مثلا. وقد يكونان ببث تهمة باطلة مثل القذف وشن حملة إعلامية جائرة لتشويه سمعة المستهدف ولبث الأحقاد ضده.

---

(١) انظر الآيات: سورة البقرة: ٤٠؛ الأعراف ١٥٤؛ القصص: ٣٢؛ الأنبياء: ٩٠.

(٢) انظر الآيات: سورة آل عمران:١٥١؛ الأنفال: ١٢؛ الكهف: ١٨؛ سورة الأحزاب: ٢٦؛ الحشر: ٢.

(٣) انظر مثلا: ابن منظور، البستاني.

وقد لا يقتل الإرهاب والإرعاب الضحية على الفور ولكن يقتلانها على المدى الطويل، بعد عذاب ومعاناة طويلة، أي يؤديان إلى موتها موتا بطيئا، وذلك بتعريضها للتشرد والجوع...

وبملاحظة ما يجري في الواقع نجد أن من يستخدمون الإرهاب والإرعاب بمعناهما الواسع الذي يؤيد الحق ويدفع الظلم، أو يؤيد الباطل ويسند العدوان ثلاث فئات رئيسة، هي:

١- من يستخدمهما بدون ضوابط للعدوان سواء أكان يؤمن بالحياة الأبدية أم لا يؤمن بها. فهو يخالف الفطرة البشرية، ويخالف التعاليم الربانية بما في ذلك تعاليم الإسلام.

٢- من يستخدمهما - قدر الإمكان بضوابط فطرية - للدفاع عن النفس أو لدفع الظلم عن الأبرياء من الضعفاء، ولا يؤمن بالحياة في الآخرة، ولكن يفعله بدافع الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها.

٣- من يستخدمهما - قدر الإمكان بضوابط فطرية وشرعية - للدفاع عن النفس أو لدفع الظلم عن الأبرياء من الضعفاء، وهو مؤمن بأن له مكافأة عظيمة في الحياة الأبدية، فهو مدفوع بالفطرة ومدفوع بالمكافأة العظيمة في الحياة الأبدية فيحرص عليها.

ولهذا فإن هذا الأخير أكثر جرأة واستعدادا للتضحية بنفسه، وذلك لأن الحياة الدنيوية بالنسبة له ليست سوى وسيلة، وليست هدفا في ذاتها. ولعل هذا هو السبب في العمليات الجهادية الاستشهادية التي يقوم بها البعض دفاعا عن مقدساتهم وأراضيهم والمظلومين منهم.

وعموما فإن نظرة الإسلام إلى مثل هذه العمليات تختلف باختلاف الفقهاء. فبعضهم يجيزها ويحث عليها ما دامت للدفاع عن الحق وليست للاعتداء على الآخرين بغير حق. ويحذرون من استخدامها ضد الأبرياء الذين لا يجيز الإسلام قتلهم حتى في حالة الحرب مثل كبار السن والنساء والأطفال والمسالمين.

والقوانين البشرية في جميع الأنظمة السياسية تحث الجندي على الاستبسال في الحرب المشروعة في نظرها وإن أدى ذلك إلى التضحية بحياته. والبعض الآخر يحرمها باعتبارها نوعا من قتل الإنسان نفسه بيده. ويعتبر الاستبسال شيئا مختلفا لأن احتمال الحياة فيه أكبر، وليس الموت جزءا من نية المستبسل في الغالب.

ومن المعلوم عند أصحاب الرسالات الإلهية أن الحياة في الدنيا هي عبارة عن اختبار يميز بين الصالح الذي يستحق المكافأة في الحياة الأبدية أو الطالح الذي يستحق العقوبة في الحياة الأبدية. والصراع بين أصحاب الحق وأصحاب الباطل وبين الظالم والمظلوم...لون من ألوان هذا الاختبار، إذ يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج:٤٠]. وقد يقع الإرهاب والإرعاب بدون قصد المتسبب فيهما، وربما يقعان بخلاف ما أراده. أما إذا تم تنبيهه إلى ذلك ولم يتوقف عن فعل ما يسبب الإرهاب أو الإرعاب فإنهما يأخذان حكم الإرهاب والإرعاب المتعمد.

ولأن الإسلام يدعو إلى السلام الشامل في الدنيا والآخرة أو في الدنيا فقط بين المختلفين في الدين فإنه يحرم استخدام الإرهاب والإرعاب لظلم الآخرين والعدوان عليهم تحريما باتا. وينكر ذلك أشد الإنكار، ويعاقب عليهما بالعقوبة الرادعة، بعد التأكد من كونه إرهابا أو إرعابا عدوانيا وظلما. ويجيز الإسلام استخدامهما بضوابط تكفل حصر العقوبة في المعتدي وبحيث لا تتجاوز الحد اللازم، وذلك للدفاع عن النفس ولرد الاعتداء ولنصرة المظلومين ولاسيما الضعفة الذين لا حيلة لهم في دفع الظلم عن أنفسهم. وهذا ما يسمى في الإسلام ب"الجهاد"([٥]) أو "القتال في سبيل الله" الذي يهدف إلى رفع ظلم حاصل على المسالمين والضعفة والعجزة. يقول الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء:٧٥]. ويقول تعالى في

الحديث القدسي: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا"[١]. ولهذا لم يكن غريبا أن يجاهد المسلمون دفاعا عن غير المسلمين من رعاياهم (أهل الذمة) أي الأقلية غير المسلمة[٢].

وبعبارة أخرى، فإن "الجهاد" في الإسلام ليس للعدوان ولكن للدفاع المشروع الذي تقره جميع القوانين الوضعية في الدول الديموقراطية وغيرها، والتي بموجبها حرصت جميع الدول على تكوين الجيوش القوية، وتطوير الأسلحة المدمرة.

كيف نفرق بين الإرعاب العدواني والدفاعي؟

لقد اتضح معنا أن الإرهاب والإرعاب قد يستعملهما المعتدِي (الظالم) والمعتدى عليه (المظلوم). والسؤال كيف نُميِّز بين الظالم والمظلوم منهما، وبين من يستخدمهما للعدوان وإيقاع الظلم بالآخرين ومن يستخدمهما لدفع الظلم عن النفس أو للدفاع عن المظلومين؟ الجواب هو: إن المعيار الجوهري بين الإرهاب العدواني والإرهاب الضروري هو:

من الذي بدأ باستخدام الإرهاب أو الإرعاب ضد الآخر؟ فالبادئ هو الذي يمارس الإرعاب العدواني، والمدافع هو الذي يستخدم الإرعاب الدفاعي. ومن يساعد الظالم بالتأييد المادي أو المعنوي فهو أيضا في حكم من يمارس الإرعاب العدواني، ومن يساعد المظلوم فهو أيضا في حكم من يمارس الإرعاب الدفاعي.

صحيح أنه ليس من السهولة تحديد البادئ في جميع الحالات، ولكنه في كثير من الحالات واضح جدا، وذلك على الرغم من مكابرة الطرف الظالم الذي قد يكون أكثر قوة أو له سند أقوى من سند المظلوم.

---

(١) صحيح مسلم: البر والصلة.

(٢) ابن قدامة المقدسي؛ بن تيمية الحراني. الشيرازي؛ الحنفي.

وأما في حالة تعذر معرفة البادئ، فيمكن التعرف عليه بمعيار آخر، وهو أن نحاول الإصلاح بينهما. ومن يرفض قرار المحكمين المنصفين يعتبر هو الظالم وإن كان مسلما، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحُجرات:٩].

والإرهاب والإرعاب العدواني قد يأخذان لونا آخر وهو أن نعاقب إنسانا بدون ثبوت التهمة أو أن نعاقب مجموعة من الناس أو شعبا بتهمة موجهة ضد فئة صغيرة. والإسلام لا يجيز ذلك بتاتا. والعقوبة ينبغي أن لا تتعدى الحدود المشروعة أو الحدود المقبولة بالمنطق بعد ثبوت التهمة. وينبغي أن تكون طبيعة العقوبة ثابتة، لا تتغير بتغير الباغي أو الظالم. فلا تكون قاسية إذا كان الظالم ضعيفا أو ليس صديقا، وليّنة إذا كان الظالم قويا أو صديقا أو نرجو منه مصلحة. فالإنصاف يحتم ثبات هذه الحدود. فالله سبحانه وتعالى يأمرنا بالقسط في جميع الأحوال. يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة:٨].

وعلى الرغم من هذه التعاليم الواضحة فإن بعض المنتسبين إلى الإسلام قد يخرجون عن هذه التعاليم ويستخدمون الإرهاب أو الإرعاب العدواني. ومن الطبيعي أن تربي جميع الدول مواطنيها على السلوك الصحيح ومع هذا لديها سجون تمتلئ بالمجرمين. فهل نقول إن الشعوب كلها مجرمة أو أنها تربي أبناءها على الإجرام؟ وورد في إحصائية أمريكية أن هناك ١٧٥ حادثة "إرهاب" عدواني في الولايات المتحدة الأمريكية بين عامي ١٩٨٢ - ١٩٩٦. وقام بمعظمها مسيحيون، ثم يهود. فهل نقول بأن جميع المسيحيين "إرهابيون" عدوانيون؟ طبعا. لا.

سعيد صيني

الابنة الكريمة ليلى وعلاقة المسلمين بغيرهم

ما كنت لأعلق على مشاركة الابنة الكريمة ليلى لولا إخلاصها الشديد.

تقول الابنة الكريمة "فدراسة الدكتور الصيني "مع احترامي الشديد له" قرأتها ويشكر عليها لكن ما قرأته لعلماء أفاضل سبقوا الدكتور الصيني في العلم والمعرفة الشرعية كلامهم كان خلاف ذلك.

للحقيقة، ما كنت لأعلق على مشاركة الابنة الكريمة على فهمها لمسألة بدء الكافرين بالسلام، معتمدة على أقوال بعض العلماء المخلصين، رغم خطورة بعض ما تتبناه لأنه يضرب نصوص الكتاب والسنة بعضها ببعض. وما كنت لأعقب على تعليقها أعلاه، لولا أني ألاحظ أنها مخلصة ومتحمسة لدينها وللدفاع فقط عن الصيغة التي تقتنع بها وتنقلها عن العلماء الذين تثق فيهم.

وبعبارة أخرى، فإن ما يدفعني إلى التعليق هو إخلاصها الشديد، ولكن لفهم يحتاج إلى تحرير، في مسائل خطيرة، لا تندرج تحت العبادات الشخصية، ولكن التعامل والدعوة إلى الدين...

ولهذا أقول: إن حماس المسلمة لدينها والاجتهاد في الدفاع عنه شيء يدعو إلى التقدير، وأشكر الابنة "الاحترام الشديد" لشخصي، وإن كان كل ما أحتاجه هو الدعاء المخلص لأن أتمكن من تبرئة ذمتي تجاه ديننا العظيم أمام رب العالمين، وليس الشكر من المخلوقات، الذي أنا في غني عنه قطعا.

هناك خطورة في الحماس الشديد للفهم الذي يجعل نصوص الكتاب والسنة يضرب بعضها، ومثالها فهم بعض أبنائنا المخلصين والمتحمسين جدا. فليس هناك إخلاص وحماس أقوى من إخلاص وحماس الذين يبذلون أرواحهم بتفجير أنفسهم، في سبيل فهمهم لدينهم، مع أن الإسلام براء من فهمهم. ولعلنا جميعا نعرف هذه الفئة التي نشفق على فهمها لنصوص الكتاب والسنة، هدانا الله وإياهم إلى الحق المبين، دائما.

لقد غاب عن ذهن الابنة الكريمة أن الإسلام جاء من رب العالمين ونزل على نبيه الكريم، وليس على بعض "العلماء" ممن نثق فيهم ثقة عمياء. ولعلي لست في حاجة إلى أن أعيد ما قلته وأقوله مرارا منذ أكثر من عشرين عاما، عندما بدأت العناية بمناهج البحث وتدريسه والكتابة فيه. وبعبارة أخرى، إن العبرة، ليس بمن قال، لأن البشر غير معصومين من الخطأ، والعلماء حقا آخر من يدعون العصمة لفهم الكتاب والسنة النبوية، وإن ادعاها لهم بعض تلامذتهم. إن العبرة بالنسبة للأحكام الشرعية ما قاله رب العالمين وما قاله وفعله وأقره نبي رب العالمين. ثم العبرة بالمنهج الذي تم استخدامه، في تحقيق النصوص والاستنباط منها. هل هو مما اتفق عليه جمهور العلماء أو يعارضه؟ وهذه مبادئ أساسية ينبغي لطالب العلم وطالباته الإلمام بها. وأنصح الابنة بقراة، مثلا: كتاب قواعد أساسية في البحث العلمي، وطبعته الثانية المتوفر في الإنترنيت.

وأختم قولي بتوجيه الأسئلة التالية:

١- هل هناك فرق بين القول أن أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم العداوة والبغضاء والقتال، وبين تهمة الإسلام بأنه انتشر بالسيف، غير أن الأول منسوب إلى الكتاب والسنة حسب فهم البعض، والآخر منسوب إلى أعداء الإسلام؟

٢- هل فهم الصحابة أصوب في مسائل التعامل اليومية بين المسلمين وغير المسلمين الذي عاشوا النبي عليه لصلاة والسلام؟ أم فهم من جاؤوا بعدهم واعتمدوا على بعض النصوص، وليس كلها؟ لقد "رُوي عن ابن مسعود وأبي الدرداء وفضالة بن عبيد أنهم كانوا يبدأون أهل الذمة بالسلام. وعن ابن مسعود أنه وفي رواية أن ابن عباس كتب إلى رجل من أهل الكتاب السلام عليك. وروى الوليد بن مسلم عن عروة بن رويم قال رأيت أبا أمامة الباهلي يسلم على كل من لقي من مسلم وذمي.(النمري، التمهيد لابن عبد البر ج ١٧/ص٩٢) وروى ابن عبد البر عن أبي أمامة الباهلي أنه كان لا يمر بمسلم ولا يهودي ولا نصراني إلاَّ بدأه بالسلام. وعن ابن مسعود وأبي الدرداء وفضالة بن عبيد أنهم كانوا يبدأون

أهل الكتاب بالسلام وكتب ابن عباس إلى كتابيَّ السلام عليك، وقال لو قال لي فرعون خيراً لرددت عليه (العيني، عمدة القاري ج ١٤/ص٢٠٦)

وأختم مازحا، مع الابنة الكريمة: هذا الكلام لم يقله "صيني"، ولكن علماء أفذاذ. وقد ذكرني قولك بحادثة قبل حوالي الخمسة عشرة عاما، عندما طلب مني أحد المراكز الإسلامية بالولايات المتحدة أن أتحدث عن رأي الإسلام في طبيعة العلاقة بين المسلمين وغيرهم...

وكنت بناء على دراسة مستفيضة للموضوع توصلت إلى أن أصل العلاقة السلم، ما لم يضطر الكافرون المسلمين على تغييرها بمعاداة الإسلام أو المسلمين من أجل دينهم، وأن صلح الحديبية مع تنازلاته كان هو الفتح الحقيقي، في رأي بعض الصحابة وكثير من علماء المسلمين...

فلم يعجب هذا الكلام بعض الإخوة الذين حفظوا منذ الصغر في المدارس الرسمية، وتلقوا عن كبار مشايخهم أن أصل العلاقة دعوتهم إلى الإسلام، وإذا لم يستجيبوا فمعاداتهم وقتالهم، وإن كانوا محايدين أو مساندين للمسلمين. فبادرني قائلا: هل أنت أكثر فهما من العلماء الكبار، مثل...؟

فكانت إجابتي، مداعبا: هل ادعى أحدهم أن فهمه لما يريد الله معصوم مائة في المائة؟

وقال آخر: دع عنك هذا الكلام، فأنت لست متخصصا في العقيدة والفقه.

قلت: هل تعني القراءة المتأنية والدراسة أم الشهادة؟

فأجاب: الكل يمكن أن يدعي القراءة، ولكن الكلية والقسم الذي درست فيه.

فقلت مازحا: النبي صلى الله عليه وسلم تخرج من أي كلية أو قسم؟ لا نذهب بعيدا، من أي قسم أو كلية تخرج الشيخ الذي تؤمن برأيه أكثر من أي مصدر آخر؟

واعتذر إن كان في أسلوبي ما يؤذي، ويعلم الله أنني أتمنى وأرجو، بصفة خاصة، للدعاة والداعيات المخلصين والمخلصات والمجتهدين والمجتهدات أن

يكون فهمهم للكتاب والسنة هو الأصوب دائما، حتى لا يكونوا سببا في ضلال الآخرين، وإن كان بحسن نية.

سعيد صيني

٢٣/ ١٠/ /١٤٣١هـ

جهاد الطلب عند الشيخ البراك وأبو هاجر

أشكر هدية أخي أبو هاجر على تزويدي عن طريق المجموعة بفتوى فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك.

من الواضح أن الأخ أبو هاجر لديه عناية بموضوع نشر الإسلام، بدلا من احتكاره والتقصير في الاستفادة منه. وتلك منقبة، فكثير من المسلمين لا يتجاوز اهتمامهم الشئون الداخلية للمسلمين، في أفضل الأحوال.

وقبل مناقشة أدلة معالي الشيخ البراك أود أن أطرح التساؤلات التالية المستقاة من مشاركاتي في رسالة المنتدى رقم ٢١٣١ ورقم ٢١٣٧:

١- ألا يتعارض جهاد الطلب مع قوله تعالى: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}، وقوله تعالى {ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا، أ فأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين}؟

٢- ألا يتعارض مع قول النبي صلى الله عليه وسلم عن رحمة الله وحرصه على عدم دخول عباده النار "لله أرحم بعباده من هذه بولدها،" مشيرا إلى الأم التي وجدت ابنها، ويستحيل أن تلقيه في النار بإرادتها؟ وألا يتعارض مع حرص النبي على سلامة الكافرين الذين آذوه على أمل أَنْ يُخْرِجَ الله من أَصْلَابِهِمْ من يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئا؟

٣- ألا يتعارض مع كلمة "الجهاد" الذي يعني ردة الفعل والمقاومة، وليس إنشاء جهد ابتداءً؟

٤- ألا يتعارض مع العقل والفطرة السليمة التي عبر عنها علماء المسلمين وعامتهم باحتجاجهم على تهمة البابا بأن الإسلام انتشر بالسيف؟

٥- هل يمكن أن يأتي أحد بأدلة قطعية الثبوت والدلالة أو قريبا من ذلك يقول بأن غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه كانت عشوائية ضد الكافرين جميعا حتى المسالمين منهم والمناصرين للمسلمين؟

أرجو من كل من يعتقد بأن جهاد الطلب لا يتعارض مع الأدلة السابقة أن يتكرم بتزويدي بأدلته الصريحة من الكتاب والسنة.

أما عن أدلة جهاد الطلب فسوف ألخص مناقشتها الموجودة في الصفحات ٢٧ - ٤٦ من كتاب "حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين" - المتوفر على الإنترنيت وأستقطع من بحث آخر المناقشات المتعلقة بالأدلة من السنة.

الأدلة من سورة التوبة

تتمثل الأدلة المستدل بها من سورة التوبة في آية السيف: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [التوبة:٥] وفي آية القتال: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التوبة:٢٩] وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [التوبة:١٢٣].

ويظهر أن فضيلة الشيخ البراك يتبنى رأيا شائعا، بناه بعض الفقهاء على آية السيف والقتال باعتبارهما ناسختين لعشرات النصوص قطعية الدلالة من القرآن

الكريم والسنة القولية والعملية التي تؤكد بأن الأصل في العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو السلم.

التعليق على سورة التوبة

أولا - هناك ملاحظات على الاستشهاد بما ورد في سورة التوبة على نسخ عشرات النصوص قطعية الثبوت والدلالة التي تؤكد قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦]. ومن هذه الملاحظات باختصار ما يلي:

١- إن من يقرأ الآيات الثلاث عشرة الأولى بعناية يدرك أن آية السيف والقتال خاصتان بالذين يعاهدون المسلمين ويخونونهم ويحرصون على النيل من المسلمين وليس لهم أمان. بل وجميع السورة تتحدث عن الذين يبادرون الإسلام والمسلمين بالعداوة، ولا يندرج فيها الكافرون المسالمون والمساندين للمسلمين لأسباب دنيوية مشتركة. وهذه الحقيقة واضحة في الآيات: ١، ٤، ٧، ١٠، ١٢، ١٣. وهناك نوعان من العهد: العهد إلى مدة (آية ٤) والعهد المفتوح (الآية ٧).

يقول تعالى: ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢ وَأَذَانٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٤ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ٦ كَيۡفَ يَكُونُ

لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [التوبة:١ - ١٣].

٢- يقيّد ابن تيمية "المشركين" في الآية الأولى من سورة براءة بالمشركين الذين نقضوا العهد وظاهروا على المسلمين. ويذكر الطريقي ممن يؤيدون ذلك: الزمخشري والبيضاوي والنسفي.(أنظر مثلا: الطريقي ص ١١٥؛ في العسقلاني ج ٨: ١٦٠ - ١٦١) ويؤكد ابن تيمية هذا الرأي بقوله إن الآية مرتبطة بما قبلها، أي أن البراءة كانت إلى المعاهدين الذين لهم عهد مطلق غير مؤقت أو كان مطلقا ولم يوفوا بموجبه، بل نقضوه. ويقول ابن القيم في تعليقه على آية السيف بأن "البراءة خاصة بالمعاهدين". (ابن القيم، أحكام أهل ص ٤٨٧، آل محمود، مجموعة رسائل ص ١٢١).

٣- دعوى تعميم ما ورد في سورة التوبة ونسخها لعشرات النصوص مبني على دليل ظني. ومن يراجع كتب التفاسير والكتابات المتخصصة في علم الناسخ والمنسوخ لا يجد دليلا واحدا من الكتاب والسنة، قطعي الدلالة يؤيد دعوى النسخ.

٤- هناك من يقول بأن آية السيف نفسها منسوخة، إذ يقول ابن الجوزي بأن الأقوال في آية السيف ثلاثة: أحدها: أن حكم الأسرى كان وجوب قتلهم ثم نُسخ بقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: ٤].

٥- تفيد آية السيف - حسب رأي القائلين بالنسخ - بأن المشركين ليس لهم إلا القتل - في الأصل - إلا أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وهي أعمال ظاهرة. ويؤكد ابن الجوزي بأن الإيمان أمر قلبي لا يمكن أن نكره الناس عليه. ويمكن الإضافة إلى قوله بأن هذا التعميم سيسهم بصورة مؤكدة في زيادة نسبة المنافقين في المجتمعات الإسلامية التي تطبقه.

ثانيا - قول النبي صلى الله عله وسلم "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله" متفق عليه.

التعليق على حديث أمرت أن أقاتل الناس

إن من يقرأ الروايات المتعددة للحديث المذكور يجد بعض الملاحظات، ومنها ما يلي:

١ – هناك شروط متعددة ومختفة للتوقف عن القتال، ومنها رواية أبي هريرة، عبد الله ابن عمر، وأنس ابن مالك، ومعاذ ابن جبل، وجابر رضي الله عنهم جميعا. (البخاري ومسلم) وهذا يجعل الاستدلال بالحديث على جهاد الطلب ظني الدلالة.

وتقول رواية أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنه لَمَّا تُوُفِّيَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وكان أبو بَكْرٍ رضي الله عنه وَكَفَرَ من كَفَرَ من الْعَرَبِ، فقال عُمَرُ رضي الله عنه كَيْفَ تُقَاتِلُ الناس وقد قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الناس حتى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إلا الله. فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إلا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ على اللَّهِ؟ فقال والله لَأُقَاتِلَنَّ من فَرَّقَ بين الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ فإن الزَّكَاةَ

حَقُّ الْمَالِ. والله لو مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إلى رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَقَاتَلْتُهُمْ على مَنْعِهَا. قال عُمَرُ رضي الله عنه فَوَاللَّهِ ما هو إلا أَنْ قد شَرَحَ الله صَدْرَ أبي بَكْرٍ رضي الله عنه فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ.

وفي بعض الروايات هناك زيادة "وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ. وفي أخرى فإذا قَالُوهَا وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إلا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ على اللَّهِ".

وفي رواية "حتى يُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَيَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَه وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فإذا فَعَلُوا ذلك فَقَدِ اعْتَصَمُوا وَعَصَمُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ على اللَّهِ". ولهذا كان من الطبيعي أن يختلف الفقهاء وشراح الحديث في التعليق على الحديث. (مثلا: العسقلاني، فتح الباري ج ٦: ١١٢؛ العيني، عمدة القاري ج ٨/ ص٢٤٤).

٢ - في رواية عن جابر وردت إضافة، حيث يقول النص: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الناس حتى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إلا الله فإذا قالوا لَا إِلَهَ إلا الله عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ على اللَّهِ ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية:٢١، ٢٢]. (مسلم: الإيمان، الأمر بقتال الناس) ونعلم أن تكملة الآية تتمثل في: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية:٢١ - ٢٦]. أي ليس على الرسول إلا البلاغ، أما الحساب على الكفر والعقاب عليه فعند الله في الآخرة. وبهذا يتعارض تعميم مدلول نص الجزء الأساس من الحديث مع الآية التي جاءت معها في هذه الرواية.

٣- عند مراجعة السياق الموجود في بعض الروايات ومنها رواية أبي هريرة للحوار بين الخليفتين الراشدين، يتضح لنا أن القول النبوي جاء للاستدلال به على حقن دم من نظن كفره وعداوته للإسلام، وليس للاستدلال به على إباحة دم الكافر. فالشك في أدلة الإدانة كافية للبراءة. أما أدلة الإدانة فينبغي أن تكون قوية بقدر كاف.

ثالثا - قوله صلى الله عليه وسلم في حديث بريدة رضي الله عنه عند مسلم ـ أنه كان صلى الله عليه وسلم إذا أمَّر أميرا على جيش أو سرية ـ إلى قوله: "فإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال؛ ادعهم إلى الإسلام، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم".

التعليق إذا لقيت عدوك من المشركين

وهنا يقول النص "فإذا لقيت عدوك من المشركين" ولم يقتصر على "عدوك" فقط (غير محدد) أو يقتصر على "المشركين" (بدون عدوك)، فيشمل جميع المشركين. وبعبارة أخرى، فإن النص جمع بين الصفتين "عدوك من المشركين" فاقتصر الأمر على المشركين المعادين، وخرج منها المشركون المسالمون والمساندون للمسلمين.

ملاحظات عامة على جهاد الطلب:

أولا - إن القول بأنه: إما الإسلام، أو القتل للمشرك في الأصل، أو القول إما الإسلام أو جزية يدفعها المخلوق المكلف وهو صاغر للكتابيين، وإما مُحارَب من المسلمين، لا رابع له يتعارض مع التكليف ومستلزماته. وهو نوع من الإكراه واضح إن لم يكن بعينه.

ثانيا - يتعارض مع إعفاء بعض الفئات من القتل والجزية، منهم الصبيان والمرأة والمجنون، والشيخ الفاني، والراهب المنعزل في صومعته، والفلاحون الذين لا يقاتلون، إلا في بعض الحالات الاستثنائية. ويتعارض مع عمل الخلفاء من بعد

الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الاستثناء، ومع ما أفتى به فقهاء الأمة عبر العصور المختلفة. كما يتعارض مع عدم إكراه عمر بن الخطاب، أثناء خلافته، مملوكه على الإسلام عندما استدل بقوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦]. بل أعتقه قبل أن يسلم.

ثالثا – يتعارض مع إباحة زواج المسلم بالكتابية بشروطها، مع إثبات الله المودة والرحمة بين الزوجين بالفطرة،

رابعا - إن القول بجهاد الطلب يعجل في موت غير المسلم فيحرمهم من فرصة الإسلام المتأخر الذي استفاد منها كثير من عظماء الصحابة رضي الله عنهم.

خامسا - القائلون بجهاد الطلب يدركون أن المسلمين كثيرا ما يكونوا ضعفاء فلا يستطيعون تنفيذ هذا الفهم الذي يعارض النصوص الصريحة. ولهذا يقولون بأن جهاد الطلب واجب إذا كان المسلمون أقوياء فقط. وبعبارة أخرى، يقدم جهاد الطلب المبررات الشرعية "الإسلامية" القوية لأعداء الإسلام. فإما أن يصبح المسلمون الضعاف لا دينيين مثلهم أو صهاينة، أو يخضعوا لهما، أو ليس لهم إلا المذلة والقهر. لا رابع لها. فهل يجوز تهمة رب العالمين بهذا التشريع، وهو الحكيم الخبير؟

هذا، والله أعلم بالصواب

سعيد صيني

١٦/ ١١/ ١٤٣١هـ

ترديد أبي هاجر لجهاد الطلب

تعتذر يا أبا هاجر عن التأخر لظروفك الصعبة وتكتب على عجالة، وعذرك معك. فكلنا ذلك الإنسان، وأعاننا الله على أمور الدنيا والدين.

وما اعتذرت عنه واضح جدا في مشاركتك هذه، ولذلك سوف لن أشغل وقتك بتعليق آخر. ولاسيما أن إخلاصك شديد للعلماء الذين يقولون بجهاد الطلب، فيمنعك ذلك من التأمل في الأدلة النقلية والعقلية لمن يخالفهم. ولانشغالك ولإخلاصك الشديد لعلمائك، لاحظت على مشاركتك هذه ما يلي:

أنك لم تتمكن من الحصول كتاب "حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين" فضلا عن قراءته بتمعن، قبل كتابة تعقيبك على ما لخّصته منه في مشاركتي التي تعقب عليها.

ربما لم تتمكن من الاطلاع على مشاركاتي السابقة في الموضوع. فقد ناقشت، في مشاركتي، التي تعقب عليها الاحتجاج بحديث "فإذا لقيت عدوك من المشركين"، وذلك بالتنبيه إلى المعنى اللغوي الصريح للعبارة. ومع هذا كررت الاستشهاد به دون تعليق.

لم تجب على الأسئلة التي طرحتها في بداية المشاركة التي تُعقّب عليها. بل كررت رأيك بانتقاء بعض الآراء والأدلة التي تؤيد قناعتك لعلماء كبار لم يدّعوا العصمة لآرائهم. وبعبارة أخرى، أعدت الآراء التي يتبناها الشيخ البراك بأسماء علماء آخرين فقط.

تستدل بقول عالم زاهد جليل قال ضمن آرائه المبكرة وقبل مناقشة بعض الدعاة له يقول فيها: "لكن أهل الكتاب إذا بذلوا الجزية عن يد وهم صاغرون كففنا عنهم وإن لم يسلموا، أما من سواهم فلا بد من الإسلام أو السيف". ونقلت عنه: "وإذا صار عندهم من القوة والسلطان والقدرة والسلاح ما يستطيعون به قتال جميع الكفار أعلنوها حربا شعواء للجميع". وهو لا يختلف، من حيث المضمون، عن قول البابا السادس عشر "كان الإمبراطور يعلم بالتأكيد أن هناك آية في القرآن تنص على أن لا إكراه في الدين. وهي إحدى الآيات... التي أتت في وقت كان فيه محمد نفسه ضعيفا ومهددا. ولكن الإمبراطور كان على دراية أيضا بالنصوص الأخرى المتعلقة بالجهاد والتي ظهرت في مرحلة لاحقة... ولهذا يقول الامبراطور لمحاوره المسلم:

أرني ما الجديد الذي أتى به محمد؟ إنك لن تجد سوى الأشياء السيئة واللاإنسانية مثل فرضه نشر الإيمان الذي يُبشّرُ به بقوة السيف..." فهل أفهم من استدلالك بقول الشيخ الجليل وإخلاصك ل"جهاد الطلب" أنك تؤيد البابا في تهمته؟

ولمعلومية من لديه الاستعداد للوصول إلى الرأي الأصوب أو الصائب فأقول في تعقيبي على الأدلة التي جئت بها من السنة ما يلي:

أولا - عن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمّر أميرا على جيش أو سرية ... قال (اغزوا باسم الله... وإذا لقيت عدوك من المشركين... ثم ادعهم إلى الإسلام . فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم... فإن هم أبوا فسلهم الجزية . فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم . فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم).

من المعلوم لغة أن عبارة "عدوك من المشركين" لا تعني جميع المشركين، كما أن قولنا "المشغولون من المشاركين في المنتدى" لا يشمل جميع المشاركين فيه.

ثم من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأخذ جزية من المشركين، أي غير أهل الكتاب... ولهذا فإن هذا النص يحتاج إلى توضيح، وبهذا يصبح هذا الحديث ظني الدلالة عند الاستشهاد به على جهاد الطلب. أما ما يقابله فهو قطعي الثبوت والدلالة وهو قوله تعالى ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦]. فهل نأخذ بكلام رب العالمين الصريح أم بتفسير علماء غير معصومين؟

ثانيا - تقول أن الألباني جعل حديث "بعثت بين يدي الساعة بالسيف..." في صحيحه. وأقول قام الأرنؤوط وزملاؤه بالتحقق من الروايات المتعددة للحديث فوجدوه ضعيف أو ضعيف جدا[1].

(١) جامع الأصول في أحاديث الرسول.

ثالثا - ما ورد في البخاري "عن أبي حَازِمٍ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ قال خَيْرَ الناس لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ في السَّلَاسِلِ في أَعْنَاقِهِمْ حتى يَدْخُلُوا في الْإِسْلَامِ".

لم يقل أبو هريرة أنه من قول النبي صلى الله عليه وسلم. فهو قول موقوف على أبي هريرة، وليس مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وجاء تعليقا على قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠]. ويؤكد ذلك قول ابن تيمية "قال أبو هريرة كنتم خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل[1]. ومعنى قول أبي هريرة رضي الله عنه لا يعني أن المسلمين يغزون الكافرين ابتداء ليأتوا بهم بالسلاسل ليسلموا، ولكنه يصف واقعا يحصل عندما يشتبكون مع الكافرين في قتال دفاعا أو عقوبة على اعتداء أو مبادرة لغزو محتمل وينتصر المسلمين فيأتون بهم مقيدين، وليس شرطا بالسلاسل. فلندرة الحديد في عهد النبي لم يكن الحديد يستخدم إلا في السلاح غالبا. وحسبهم أن يجدوا حبلا أو أي شيء يربطون به الأسير. وأبو هريرة يتحدث عن ما رآه في بلاد الشام بعد الفتوحات الإسلامية التي كانت ردة فعل للجهود العدوانية ضد الإسلام لسكان وحكومات تلك البلاد.

وعموما إذا صار لديك وقت مستقبلا وتريد أن تتعرف على أدلة مخالفك في الرأي وطريقة استدلاله، فقد ألحقت بمشاركتي نسخة من أربع مشاركات حديثة ولصيقة بالموضوع.

وأسأل الله أن ينير بصائرنا بالحق الذي أنزله هو، رب العالمين، وليس الذي قال به بعض العلماء الذين نجلهم ونحترمهم واستفدنا الكثير من جهودهم العظيمة، والذين لم يدعوا العصمة لاجتهاداتهم، وأن لا يجعلنا من المقصرين في فهم الدين آمين.

أخوك سعيد صيني

٢١/ ١١ / ١٤٣١هـ

---

(١) مجموع الفتاوى ج ١٦: ٣١٦.

أبو هاجر لماذا الإصرار؟

يقول أخي أبو هاجر لماذا الإصرار على نفي جهاد الطلب؟

وأقول: سؤال وجيه، إذا كنت قد قرأت مشاركاتي المنشورة في المنتدى، بتمعن كاف...، وهل تسمح لي أن أوجه إليك السؤال المقابل لسؤالك:

لماذا يصر أخي الكريم أبي هاجر على أن الله الحكيم شرّع جهاد الطلب، أي حق المسلمين في إجبار الآخرين على اعتناق عقيدتهم ما داموا أقوياء؟

وبعبارة أخرى، لماذا تصر يا أبا هاجر أن الحكيم العليم، رب العالمين، يُشّرع لنصرة دينه العظيم ما ينفعه فقط إذا كان المسلمون أقوياء؟ وأما إذا كانوا ضعفاء فيمنح أعداء الإسلام مبررا "إسلاميا" ليقهروا أنصاره ويذلوهم؟

أخي الكريم، أنا لا ألومك لأني كنت مثلك قبل حوالي الثلاثين عاما، ولا يزال كثير من المسلمين (علماء وعامة) يصرون على نسبة جهاد الطلب إلى الحكيم العليم. ويعتقدون بقوة أن الأصل في الإسلام هو مبادرة الآخرين بالغزو والقتال، الذي يُعجّل بموتهم ليفوِّت عليهم فرصة الإسلام المتأخر قناعة. هذا، مع أن رب العالمين الذي أنزل الكتاب المبين يقول، عن نبي الإسلام ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وهل تعرف لماذا يصر الكثير على نسبة هذه التهمة إلى رب العالمين، في وجهة نظري؟ هناك أسباب عديدة، يحضرني منها ما يلي:

أولا - تأثر الفهم للنصوص بالواقع الذي عاشه المسلمون في عصر ازدهار الإسلام وانتشاره الواسع وعزته. فقد كان غير المسلمين مجموعة من المواطنين تخضع للدولة الإسلامية، أو ينتمون إلى دول كثرت هزائمها أمام قوى الدولة الإسلامية...

ثانيا - تعوّد أكثرنا أو نسبة عالية من طلبة العلم الشرعي على اعتبار مصادر المعرفة بأنواعها مصادر نقلية، ينقلها إلينا من سبقونا وعلينا اعتمادها، وينبغي أن نرضخ لها كما هي بدون تساؤل، وبدون تفكير واستثمار للعقل الذي ميزنا الله به. هذا مع أن بعض العلوم مصادرها الأساسية هي الملاحظة والتجربة الشخصية لمن هو على قيد الحياة. ولهذا يحث رب العالمين على التأمل والتفكر والتدبر.

ثالثا - لقيت الآراء الفقهية في العلاقات الدولية التي نشأت في هذه البيئة السياسية السابقة والتعليمية المستمرة رواجا كبيرا وأصبحت تمثل التيار الكاسح عبر القرون، حتى وقتنا الحاضر. فعلماؤنا يقولون بهذه الآراء، عند الحديث عن الجهاد والولاء والبراء، ومدارسنا تعلمها لنا منذ عشرات السنين، وطلبة العلم يحفظونها ويعلمونها للأجيال المقبلة. وإذا كنا قد رضعنا هذه الآراء منذ طفولتنا، وأصحبت جزءا من معتقداتنا الراسخة فكيف يمكن تصحيحها بسهولة؟

رابعا - مناقشاتنا في القضايا العملية والشرعية كثيرا ما تتسم بأنه ترديد لما حفظناه ونقتنع به، ولكن ليس مناقشة للأدلة التي يوردها من نختلف معه وبطريقة استدلاله. وبهذا نستمر في الجدال الذي ينتهي حتما إلى "كل على دينه والله يعينه".

وأعيد على أخي أبا هاجر السؤال: هل يجوز للمسلم أن يصدق أو يجيز تهمة رب العالمين، الخبير العليم، بأنه يشرع ما ينصر دينه والمؤمنين به، فقط، عندما يكونوا أقوياء، ويخذلهم عندما يكونوا ضعفاء، وذلك بتوفير المبررات الشرعية "الإسلامية" لأعداء الإسلام لقهر المسلمين ولإذلالهم؟

وأسأل الله أن ينير بصائرنا للحق المبين، وأن يحمينا من التقول عليه بما لم يقله سبحانه وتعالى.

آمين

سعيد صيني

٢٦/ ١١/ ١٤٣١هـ

جهاد الطلب وحماس أخينا إبراهيم

في زحمة الانشغال ترددت في التعليق على موضوع انتشار الإسلام بالسيف في بعض البلاد، ولكن للشيخ إبراهيم مكانة خاصة في النفس لأسلوبه الأدبي الملحوظ الذي يفرد له عميد المجموعة رسائل خاصة، لا يشركه فيها أحد. كما يدفعني إلى كتابة التعليق ثقتي في إخلاص شيخنا في تطبيق الإسلام وصدقه في الدفاع عنه.

وكنت مترددا لأن المجموعة، حسب اعتقادي، قد قتلت موضع جهاد الطلب نقاشا ساخنا وباردا منذ فترة. ولعل الشيخ إبراهيم لم يتمكن من الاطلاع عليه لانشغاله بتحرير المقالات الطويلة.

ولأهمية الموضوع سوف أقتصر على طرح بعض الأسئلة المتعلقة بطريقة التعبير والفهم في الموضوع والرأي الذي يتحمس له بشدة "قاسية"...

يقول الشيخ إبراهيم:

"فمن مرارات الليالي وحرقات الأيام؛ أن يرى المؤمن فئاماً من خيرة قومه يتساقطون صرعى في حتوف شبهات أهل الغضب والضلال، ويستطيبون طعم الباطل وهو طُعْمُ صيدهم لو كانوا يعلمون! فغدا الصائد مصيداً، ولو تدرّع العزّة ابتداءً لهابَتْهُ الثعالب والرخم، والليثُ إذا نسيَ جنسه قادتهُ الأحمرة.. ألا بئس الرأي الدَّبَرى!".

ويقول: "نادى على نفسه بالجهل من دعا إلى نقض شطر فريضة الجهاد بحصره في الدفاع دون الطلب". ويضيف في موضع آخر ثم سار المبطل في طِوَل غيّه؛ يهيمون في غيهم ...، فضلوا وأضلوا،...

والسؤال: أليس دين رب العالمين في غنى عن الشتائم والسباب للدفاع عنه؟ وهل هذا هو الفهم الصحيح للأسلوب الدعوي الذي أمر الله به، في مثل قوله تعالى ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل:١٢٥] وأمره لموسى

وهارون في دعوة فرعون ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]؟ وهذا مع علم بأنه لا أمل في تذكره أو خشيته.

ويقول: "فالجميع متفقون على أن الغاية من جهاد السيف هي نشر الإسلام،..."

والسؤال: هل كلمة "الجميع" تعني في اللغة العربية البعض، وإن كانوا أغلبية بين مجموعة محددة أو في منطقة جغرافية محددة؟

ويقول:" والعجب لا ينقضي من هؤلاء الذين يتهمون من قال بجهاد الطلب بالشذوذ، وينسبون رأيهم للجمهور، مع أن قولهم هذا محض بدعة رديئة، ومخالفة للإجماع المنعقد، وكفى بذينك ضلالاً مبيناً"

والسؤال: ما المقصود بالإجماع اصطلاحا؟ إجماع بعض الفقهاء في جيل محدد أو في موقع جغرافي محدد؟ أو الإجماع المصرح أو السكوتي؟ م الإجماع الوهمي الذي يحرم ويبيح كثير من الفقهاء منذ القرن الثالث، رغم قول الإمام أحمد "الإجماع هذا الكذب من ادعى الإجماع فهو كذب..."؟

ويقول: "... ولو أنعمَ التأمل لأيقن أن الرحمة بحذافيرها في جهاد الطلب، لكن الميزان مائل".

والسؤال: أي ميزان أميل؟ القائل بأن الحساب والعقاب مرهون بالحرية الممنوحة أثناء الاختبار أم القائل بأن لا حرية في فترة الاختبار، ولا بد أن نجبر الطالب على الإجابات الصحيحة أثناء فترة الاختبار، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة؟

وأيهما أميل عن الحق والفطرة والعقل؟ القائل بأن رب العالمين الغفور الرحيم يأمر بتعجيل موت الكافر بقتاله، وحرمانه من الإسلام المتأخر قناعة؟ أم القائل بأن رحمة الله ومغفرته تؤكد على منحه فرصة الحياة للمخلوق المكلف لكي لا تفوته فرصة الهداية، وإن كانت متأخرة؟

يستشهد الشيخ إبراهيم على جهاد الطلب بالآيات التي تحث على رد اعتداء الآخرين، مثل: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ [البقرة:١٩١]،

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ ﴾ [البقرة:٢١٧][1].

والسؤال: هل قرأ الآيات وتأمل في معانيها باللغة العربية؟ وهل يمكنه سؤال طالب قبل المرحلة الجامعية، لم يسبق له الاطلاع على ما حفظه من تفاسير لها؟

ويستشهد بقول النبي عليه الصلاة والسلام "أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله..."

والسؤال: هل قرأت الروايات المتعددة لهذا الحديث وتأملت فيها في ظل قوله تعالى ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾لتدرك سياق الحديث؟ فقد قالها في سياق حقن دم كفار معادين أمر بقتلهم، عندما علم أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله... فالشبهة كافية للتبرئة، ولاسيما إذا كانت القضية فيها إراقة دم.

يستشهد برواية لحديث ورد في مصادر ثانوية: اغْزُوا بِسْمِ اللَّـهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّـهِ وَقَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ... فَإِنْ هُمْ أَبَوْا أَنْ يَدْخُلُوا فِي الإِسْلامِ فَسَلْهُمْ إِعْطَاءَ الْجِزْيَةِ، فَإِنْ فَعَلُوا فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ"

والسؤال: أليس من الأمانة العلمية، ولاسيما عند الحديث عن أحكام الله أن نستشهد بالرواية كاملة كما تكررت في كتب الحديث؟ فالرواية المحققة التي تكررت تقول: "اغزوا بسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال"[2]. وبعبارة أخرى يبدو واضحا من النص أن المقصود بالقتال هنا هو من جمع بين العداوة والكفر، ولم يقتصر على الكفر، فالله تعالى يقول في محكم التنزيل بعبارات صريحة ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦].

---

(١) النساء:٨٩؛ التوبة:٥، ١١١؛ محمد:٤.

(٢) مثلا: أحمد بن حنبل ج ٥: ٣٥٢.

يقول: "ويزعم فيها أن شيخ الإسلام [ابن تيمية] يقرّ ما نَحَتْ له مُبْطِلَةُ جهادِ الطلب! مع أن هذه الرسالة لم تثبت،... ولو أنّهم نسبوها لغير هذا الإمام الذي جاهد في مصنفاته لإثبات جهاد. وحتى لو افترضنا نصر الشيخ لمذهبهم فلا عبرة بكلام أحد خالف الوحي ومنهج السلف الصالح كائناً من كان.

والسؤال: لوثبت أن ابن تيمية قالها لا يعتبر من "السلف الصالح"؟

يقول: "لقد انتشر الإسلام بسيف الوحي والفكر والعلم والدعوة الحسنة والقدوة المثالية، أما سيف البطش فكان لإزالة العقبات المادية عن القلوب ليس إلا".

وأقول: إني لفي حيرة تامة بين ما قرأت في الحلقة الأولى من السلسلة: هل هو دفاع عن الإسلام أم هو تأكيد لتهمة أعداء الإسلام ولكن بصياغة مختلفة، يسندها فهم خاص لنصوص الكتاب والسنة.

ثم أتساءل: هل يُفهم من كلام أخي الشيخ إبراهيم أن الله العليم الحكيم شرع قانونا دوليا يساند الأقوياء، وإن كانوا معتدين على الضعفاء، وإن كانوا مسالمين؟ فيا فرحة الدول اللادينية بمثل هذا النظام الدولي "الإسلامي" حشسب فهم القائلين بجهاد الطلب. فقد وجدوا مبررا "إسلاميا" ليستمروا في غزوهم البلاد الإسلامية بكل الوسائل (الثقافية والمؤامرات والسياسية والعسكرية...) والكيد للحكومات التي تحاول حماية دين شعوبها المسلمة...

وإذا رغب أخي الشيخ إبراهيم في التعليقات المفصلة فيسعدني تزويده بذلك من باب التحاور في الحق بن الإخوة المسلمين وليس عبر الأديان.

سعيد صيني

٢٦/ ١/ ١٤٣١هـ

حيا الله الدكتور صالح، أنا لا أتبع إلا خاتم النبيين

أشكر أخي الدكتور صالح على نصيحته المخلصة، وعلى عبارته الرقيقة "ولك أخي سعيد خالص ودي". وأقول جزاك الله خيرا لأنك تذكرني ببعض النقاط المنهجية، ومنها:

تقول: ...ولئن كان كبار العلماء يتقيدون بفهم سلف الأمة فإن من ينكر جهاد الطلب قُيِّد بضغوط الحريات الغربية المزعومة...

وأقول: الأصل أن يعتمد الباحث المسلم على أدوات الاستنباط التي وفّرها كبار علماء السلف، وليس على فتاواهم كلها، يردد فهمهم غير المعصوم. وإذا وافق الحق قول أصحاب الباطل لا يصبح الحق باطلا. فالحَكَمُ هنا هو كتاب الله وسنة نبيه، وليس موافقة أو مخالفة آراء أصحاب الباطل.

تقول: من الخطأ أن تصف كتاب الله بالمعصوم.

وأقول: ماذا تقول في قول رب العالمين: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصِّلَت: ٤٢]؟

تقول: هناك خلط كبير بين أمر الإسلام بحسن المعاملة والبر لغير المحاربين وبين البراءة من دينهم ولا تلازم بينهما.

وأقول: صدقت. ولكن بعض دعاة جهاد الطلب ألحقوا البراءة من الكافرين بالبراءة منهم وجوبا، وإن كانوا غير محاربين، مخالفين بذلك نصوص القرآن الكريم. وهذا ما أنتقده بشدة.

تقول: أن جهاد الطلب ليس لإدخال الناس بالسيف في الإسلام فلم يقل هذا أحد من المسلمين فضلا عن علمائهم، وإنما هو لتوفير بيئة حرية كاملة...

وأقول: هناك العديد ممن قال بذلك عبر القرون، فمثلا:

١- تقول رسالة دكتوراه في العقيدة "تدل النصوص الشرعية على مشروعية الجهاد ضد الكفار لإعلاء كلمة الله... بغض النظر عن كون الكفار معتدين أو غير معتدين ما داموا يرفضون الدخول تحت الحكم الإسلامي كلما كان ذلك ممكنا"!.

٢- ويقول أحد كبار العلماء: "...وظنوا أن الجهاد إنما شُرع للدفاع عن الإسلام، وعن أهل الإسلام، لم يشرع ليغزو المسلمون أعداءهم في بلادهم، ويطالبوهم

بالإسلام ويدعوهم إليه، فإن استجابوا وإلا قاتلوهم على ذل، حتى تكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر... وقال أحمد والشافعي وجماعة من العلماء: إنما تؤخذ [الجزية] من أهل الكتاب والمجوس فقط، لأن الأصل قتال الكفار وعدم رفع السيف عنهم حتى يسلموا... فالعلة الكفر بالله مع شرط كونه من أهل القتال لا من غيرهم". [أي أنهم رجال، وليسوا نساء أو رهبانا منعزلين...]!

٣- ويقول عالم "ويقتل الكفار أجمعونا حتى إلى الإسلام يرجعونا".

٤ - ويقول المروزي "بأن الإمام أحمد كان يقول "يُقاتل الكفار بدون دعوة في زمانه لأنها وصلتهم"!

٥- ويقول عالم "ومن المسلمين من دفعه الحماس لدينه المتهم بالقسوة والتوحش والإكراه إلى التعذر عن هذه التهم بتحريف آخر دون أن يشعر بسبب دهشته من الحملة الخبيثة على دينه وجهله وهزيمته النفسية، فكان الرد أن دين الإسلام ليس دين سيف ولا قتال ابتداء وإنما هو دين دعوة وإقناع بالحجة والبيان"!

٦- وتقول لجنة علمية: "ومن أصول الإسلام أنه يجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل في الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم وتسميته كافرا، وأنه عدو لله ورسوله والمؤمنين..." وهذا يقتضي "وجوب الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله كل سنة، وأنه فرض على الإمام إغزاء طائفة إلى العدو كل سنة مرة، ويتأدى فرض الكفاية بفعله في السنة مرة عند الجمهور"!.

وبالنسبة للصيغة المعدلة لجهاد الطلب التي ترفض "جهاد الطلب الأصلي" يقول بعض العلماء: "وإن الدعوة الإسلامية نور لا يحجب، فلا بد أن تفتح الأبواب له، وقد وقف الحكام له بالمرصاد يمنعون أن يصل إلى رعاياهم، فكان لا بد من القتال لإزالة الحجزات التي تمنع النور أن يصل".

ولعلك تقصد هذه الصيغة المعدلة. والسؤال: هل يجوز تهمة رب العالمين بأن يسن تشريعا دوليا لا يستفيد منه إلا الأقوياء على حساب الضعفاء؟

وعن الحرية الكاملة أتساءل: لقد وفّرت النظم اللادينية فرصة حرية الدعوة إلى الإسلام فإلى أي درجة استفاد منها المسلمون المؤهلون في الدعوة؟ ووفّر كبار العلماء لطلبة العلم فرصة حرية الاجتهاد فإلى أي درجة استفاد منها المتخصصون في طلب العلم الشرعي؟ ألا يتصور أصحاب جهاد الطلب أن الآخرين سيطالبون بالمثل، أي حرية الدعوة، ولكن إلى ضلالهم، ولاسيما إذا كانوا قادرين على فرض هذه الحرية على المسلمين بالقوة كما نرى في هذا العصر؟...

تقول: التجاسر على تسفيه ونسف قول جماهير أهل العلم بل وإجماعهم...

وأقول: أظن أنه لا يخفى عليك أن مصطلح "الإجماع" مختلفٌ فيه، ويستحيل التعرف عليه قبل عصرنا هذا. وهو صعب المنال حتى في عصرنا، ومن أعظم عقباته تحديد من "العالم"، فمثلا هل العالم:

- o طالب العلم الذي يحفظ المتون، ويرددها؟
- o طالب العلم الذي يحمل شهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية؟
- o مدرس في الجامعة يدرس عددا من مواد الدراسات الإسلامية وعددا من السنوات؟
- o طالب العلم الذي كتب أبحاثا في عدد من الموضوعات محدودة، وإن كانت أبحاثا جيدة؟
- o مؤلف أصدر العديد من الكتب في مجال الدراسات الإسلامية، لكن استخدم في تأليفها أسلوب القص واللصق؟
- o شيخ يتصدر للإفتاء في المحافل وعبر شاشات التلفاز وسماعات الراديو؟...

وحتى القول بأن السكوت دليل على الموافقة غير صحيح لأن طلبة العلم حتى في عصر الاتصالات المتقدمة يجهلون كثيرا من الدراسات الشرعية والعقدية، سواء الرديئة منها أو الجيدة.

وأنا على يقين بأن أخي الدكتور صالح يدرك بأن "التجاسر على تسفيه ونسف" نصوص القرآن الصريحة أعظم... من التجاسر على "الإجماع" بمدلوله المائع.

يقول: ماذا تقول في جهاد الطلب الذي مارسه الأنبياء ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾[المائدة:٢١] وعن سليمان قال: ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ [النمل:٣٧]، ومارسه رسولنا في بدر وحنين وتبوك، ومارسه الصحابة في مؤتة والقادسية وكثير من غزواتهم وحروبهم فضلا عن جهاد الأمة وفتوحاتها.

وأقول، وأخي الدكتور صالح يدرك:

١- أن هناك اختلافا في حكم شريعة من قبلنا، والرأي الراجح أنه غير ملزم لنا ما لم يرد إقراره في الكتاب والسنة.

٢- لا يخفى أن المعلومات التاريخية عن الحروب بين المؤمنين وغيرهم التي لا تغطي أسباب الحرب غير كافية للحكم على كونه "جهاد طلب" أو جهاد رَدّة فعل. والنصوص التي أوردتها لا تكفي للقول بأنها جهاد طلب.

٣- كتب التاريخ غير مؤهلة لاستنباط الأحكام الشرعية منها.

٤- لو قرأنا السيرة النبوية بعناية سنجد أن روايات غزوات النبي صلى الله عليه وسلم كلها تؤكد بأنها كانت ردود فعل...

تقول: أرجو ألا تمارس ما حذرت منه من الاعتقاد ثم دفع الأدلة السابقة وتتمحل في تأويلها، أما إن قلت إن الصحابة رجال ونحن رجال فهذا شيء آخر ولعلك ظفرت بخير لم يسبقوك إليه؟

وأقول: لا أدري من الذي يتمحّل في التأويل: الذي يعارض النصوص الصريحة بآراء بعض العلماء؟ أم الذي يعارض آراء بعض العلماء بالنصوص الصريحة، مثل {لا إكراه في الدين} والكثير غيرها؟ وأكون ممتنا لك إن زودتني بالأدلة الموثقة التي تفيد أن الصحابة قالوا بجهاد الطلب؟ فحسب معرفتي، جهاد الطلب لم يظهر بين الفقهاء إلا في الجيل الثاني، بعد أن أعز الله الإسلام وانتشر بسرعة، وأصبح الكافرون من أهل الذمة يخضعون للحكم الإسلامي، أو ينتمون إلى دول تفوقها الدولة الإسلامية قوة أو تنافسها. وأستمرت الأجيال التي عاصرت ذل المسلمين في

ترديد جهاد الطلب والدفاع عنه لأسباب يعلمها الله، ولعل منها البحث عن التعويض النفسي، بالاعتماد على أقوال العلماء، بدلا من كتاب الله وسنة نبيه...

تقول: الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة هي قاعدة الدعوة في الإسلام، ولكن هذا لا يمنع من القسوة أحيانا على المخالفين إذا ظهر جهلهم وعنادهم، كما قال تعالى عن موسى في خطابه لفرعون ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ مع أن الله أوصاه أن يقول له قولا لينا...

وأقول: لا أظن أنك تجيز أن يعتبر أحد المتحاورين الطرف الآخر فرعون ويضع نفسه في مكان رب العالمين، يعلم الحق وحال الموصوف ومصيره، ويملك السلطة في تهديده. وأنت - لا ريب - تدرك من تلاوتك لكتاب الله بأن وصف الله المنطلق من علمه بمخلوقاته لا يتجاوز الحقيقة عند وصف المخلوقات بالكذب أو النفاق أو الكفر، أي وصف الحقيقة التي يعلمها. ووصفه تعالى لا يشبه، بأي حال، الشتائم والاستهزاء التي تستند إلى الظن الآثم والشعور بالاستعلاء والصور الخيالية. ومثالها كلمات أو عبارات: الجهل، والهزيمة النفسية، والتمحل، والتأثر بصيحات الحرية الغربية، والاستهزاء بقول "...ظفرت بخير لم يسبقوك إليه"، والمتعالمون، والمرء يتردد في الرد على شذوذات المسائل فهي من جهة صدورها غنية عن المناقشة ... ومن هذا ما أورده الأخ سعيد الصيني والرد على ما أورد حول جهاد الطلب هو وغيره يتطلب وقتا صرفه مع غيره أولى لكنها تحلة قسم!".

ولا أظنك تقول بأن فهم عبيد الله لكلام الله يعادل مراد الله. فالعبد مهما بلغ من العلم لا يمكنه أن يجزم بأن فهمه للآية القرآنية هو مراد الله تماما.

تقول: ثم إن مغازلة النظم الغربية محل استهجان حتى منهم فهم يمارسون قتال الطلب والنهب في كل زاوية من زوايا العالم،...

وأقول: لو قرأت مشاركاتي لأدركت براءتي من التهمة السهلة التي يوجهها أصحاب "جهاد الطلب" لمخالفيهم، ولا أغبط الغرب إلا على إخلاص عامتهم

وأغلبيتهم للعمل الذي يلتزمون به. ولعل هذا هو ما جعلهم يسوقون وراءهم العالم الذي أغلبيته يحبون الاسترخاء والكسل حتى في فهم دينهم. ولو علمت النظم الغربية ب "جهاد الطلب"، لرحبّت به أعظم ترحيب لتحقيق مآربهم، وللتبرير لما يرتكبونه من جرائم بحق الضعفاء، ومنهم المسلمين.

تقول: القول بمشروعية جهاد الطلب ليس معناه الهجوم على كل دولة وقرية بل له شروط وأحكام رتبها القاسطون وجهلها المتعالمون.

أقول: وددت لو أنك أفدتني وأعضاء المجموعة بتلك الشروط التي رتبها القاسطون الذي تحفظها عنهم...؟

تقول: كتبت هذا إبراء للذمة ولن استرسل في الردود...

أقول: ودافعك إلى الكتابة يتسم بالصدق لهذا يشجعني على أن أطلب منك أن توصلني بكل من تعرف ممن قام بدراسة متعمقة ومتأنية في موضوع الجهاد والولاء والبراء. إنه يسعدني جدا مناقشة الموضوع معهم في لقاءات شخصية أخوية لإثبات الحق وإزهاق الباطل. وسأكون لك من الممتنين.

أخوك

سعيد صيني

٢٥/ ٢/ ١٤٣٣هـ

جهاد إزالة الحواجز والدكتور محمد

كأني بأبي أسامة قد ملّ من الحديث عن جهاد الطلب، حيث عنون المشاركة السابقة "التعقيب الأخير حول جهاد الطلب". ولا ألومه على ذلك، فقد يئست، أنا شخصيا، من إقناع كثير من العقلاء بأن هذا الجهاد يتعارض مع الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة، وهو من الاجتهادات غير المعصومة التي نشأت وانتشرت عن حسن نية.

ولكن أخي الدكتور محمد، الذي يمتعنا بكثير من مشاركاته، أبى أن تكون هي المشاركة الأخيرة في الموضوع. فقد أثار شجوني حول الصياغة الحديثة لجهاد الطلب التي يمكن تسميتها:

الجهاد لضمان حرية الدعوة

يقول أبو زهرة بأن من بواعث الجهاد: "...أن يعتدي الملوك على عقيدة من تحت سلطانهم ممن اختاروا الإسلام دينا فيرهقوهم في عقيدتهم الدينية. وإن الدعوة الإسلامية نور لا يحجب، فلا بد أن تفتح الأبواب له، وقد وقف الحكام له بالمرصاد يمنعون أن يصل إلى رعاياهم، فكان لا بد من القتال لإزالة الحجزات التي تمنع النور أن يصل ولمنع الاضطهاد أن يقع حتى لا تكون فتنة في الدين". وبهذا يقول أبو زهرة أن هناك سببان رئيسيان للجهاد هما: ١) رد اعتداء واقع ومنها اضطهاد الحكام على رعاياهم من المسلمين، ٢) ورفع الحواجز التي تقف في سبيل الدعوة. ويؤيده في ذلك الزحيلي وآخرون ممن يقولون لا إكراه في الدين، ويعارضون جهاد الطلب التقليدي.

ويلاحظ أن قول أبي زهرة "ولمنع اضطهاد أن يقع" يؤيده قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ﴾ [الأنفال:٧٢]. مع اشتراط غياب الميثاق بينهم وبين المسلمين. ولكن "إزالة الحجزات التي تمنع" لم يورد عليها أو أحد من المؤيدين لها دليلا يقترب ولو قليلا من نصاعة قوله تعالى ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾. فالزحيلي مثلا يقول بأن من بواعث البدء.

بالحرب: "كفالة حرية العقيدة وانتشار دعوة الإسلام، وبؤيد رأيه بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾ [الحج:٣٩] وقوله تعالى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾

[البقرة:١٩١]، وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة:١٩٣][1].

ومن الواضح أن الآية الأولى والثانية تؤكدان أن القتال كان ردة فعل وليس ابتداء.

أما قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة:١٩٣]. فيقول الطريقي في مناقشته لهذه الآية: إذا فسرنا "الفتنة بالشرك يعني الأمر بإزالة الشرك بالكلية وهذا محال، لأنه خلاف مقتضى الحكمة الإلهية، التي اقتضت بقاء الخير والشر إلى يوم الدين، ومن جملة الشر: الشرك والكفر فإن زوالهما غير ممكن". وأسند تفنيده هذا بقوله "إن نصوص الكتاب الكريم تفيد أن الأكثرية من الناس غير مؤمنين..." و"أن الإسلام يقر كثيرا من الطوائف والأمم على دينها إذا دخلت في عهد مع المسلمين. وهذا يعني بقاء الكفر"[2]. ويضاف إلى ذلك أن تفسير الآية بمعنى حتى تكون كلمة الله هي العليا، حرفيا، يتعارض بوضوح مع ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وينبه السرياني أيضا إلى أن هذا التفسير "يقتضي طلب الكفار بالقتال وإن جنحوا إلى السلم" ورضوا بدفع الجزية، فيتعارض مع الآيات التي تنص على عدم مقاتلة هؤلاء صراحة وهي من الأحكام المجمع عليها. ويضيف السرياني بأن تفسير "الفتنة" والضمير في "قاتلوهم" والمقصود بالانتهاء مختلف فيه بين العلماء. فالفتنة قد تعني الكفر، أو ابتلاء المؤمن حتى يرجع عن دينه، أو القتال في الحرم. وأما الضمير في "قاتلوهم" فقد يعني المشركين فقط، أو الكافرين مع استثناء أهل الكتاب، أو الذين يقاتلون في الحرم. وأما "الانتهاء" فقد يعني ترك الكفر والدخول

(١) الزحيلي، العلاقات ص ٣١؛ أبو زهرة، العلاقات ص ٤٩ - ٥٠.

(٢) الطريقي ١٠٤ - ١٠٥، ١١٥.

في الإسلام، أو ترك القتال وأخذ وضع الذمي بالنسبة لأهل الكتاب، أو ترك القتال فحسب[١]، أي أن الاستدلال بهذه الآية يبقى ظنيا.

والحقيقة، إن المدقق في الآية ومثيلتها وفي سياقاتها في سورة البقرة والأنفال يدرك تلقائيا أن هذه الآية تؤكد أن القتال إنما يكون لمن يحاربون الله ورسوله والمسلمين ويخونوا العهد، ولا يقتصر أمرهم على رفض الإسلام، أو رفض الدعوة إليه بين من لهم وصاية عليهم. بل قال بعض المفسرين بأن قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦] نزلت في مناسبة محاولة الأنصار منع أولادهم من الجلاء مع اليهود. فعن بن عباس قال كانت المرأة من الأنصار لا يكون لها ولد تجعل على نفسها لئن كان لها ولد لتُهودنّه. فلما أسلمت الأنصار قالوا كيف نصنع بأبنائنا؟ فنزلت هذه الآية ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾. وفي رواية أخرى، عن بن عباس قال كانت المرأة تجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده. فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار قالوا لا ندع أبناءنا. فأنزل الله عز وجل ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾. (النسائي الكبرى: التفسير، قوله تعالى لا إكراه في الدين).

وقول الزحيلي وغيره يفترض أن معظم الناس -إن لم يكن كلهم- سيسلمون إذا لم تقف الحكومات عقبة في طريق وصول الدعوة إليهم. وهو بخلاف الواقع الذي عرفناه عبر العصور المختلفة والذي يؤكده القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف:١٠٣] وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٨﴾ [الشعراء:٨]. وتجيء هذه الآيات عقب قصص أنبياء الله: يوسف، وموسى، وإبراهيم ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب عليهم السلام. وذلك تقريرا لحقيقة كونية وعزاء للنبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) السرياني ص ١٢٠ - ١٢١.

وقد يخطر في الذهن الاستدلال بحادثة الرجيع وقتل القراء وغزوة بني لحيان[١]، ووقعة بئر معونة وسرية نجد. والقضية هنا ليست قضية منع من الدعوة ولكن غدر واعتداء. وقد يخطر في الذهن أن الحروب مع فارس والروم في عهد الخلافة الراشدة وما بعدها لفتح طريق الدعوة. وهذا غير صحيح فكسرى، ملك الفرس، لم يقتصر على أن مزّق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل كلّف واليه على اليمن ليقتل النبي صلى الله عليه وسلم، والعراق كانت تحت فارس. أما المناوشات مع الروم فقد بدأت بغزوة مؤتة واتصلت بغزوة تبوك...[٢] وبلاد الشام كانت تحت الروم. فهي حروب متصلة بدأها الفرس والروم ضد الإسلام وأهله.

وليس في الكتاب أو السنة أو السيرة النبوية أو سيرة الخلفاء الراشدين دليل يفيد بأنه على المسلمين محاربة من يرفض منحهم حق الدعوة إلى الإسلام في بلاده. بل هناك دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم قبل شرط قريش بدخول مكة دون دعوة أحد إلى الإسلام. عن الْبَرَاء رضي الله عنه قال أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَعْتَمِرَ أَرْسَلَ إلى أَهْلِ مَكَّةَ يَسْتَأْذِنُهُمْ لِيَدْخُلَ مَكَّةَ، فَاشْتَرَطُوا عليه أَنْ لَا يُقِيمَ بها إلا ثَلَاثَ لَيَالٍ ولا يَدْخُلَهَا إلا بِجُلُبَّانِ السِّلَاحِ ولا يَدْعُوَ منهم أَحَدًا... فلما دخل ومضى الْأَيَّامُ أَتَوْا عَلِيًّا فَقَالُوا مُرْ صَاحِبَكَ فَلْيَرْتَحِلْ. فذكر ذلك لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فقال نعم. ثُمَّ ارْتَحَلَ.(البخاري: الجزية، المصالحة على ثلاثة أيام).

وأقصى ما يمكن أن يقال في الموضوع أن القضية تخضع نظريا للاتفاقيات الثنائية أو للأعراف أو الأنظمة الدولية. أما في الواقع فويل للضعيف، حتى مع وجود هيئة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن الدولي. وباستعراض الواقع خلال

(١) البخاري: الجزية، دعاء الإمام على من؛ ابن القيم، زاد ج ٣: ٢٤٤ - ٢٤٦، ٢٧٦.

(٢) البخاري: الجزية، دعاء الإمام على من؛ ابن القيم، زاد ج ٣: ٢٤٤ - ٢٤٦، ٢٧٦؛ العسقلاني ج ٧: ٧٣٢ - ٧٣٤.

القرون الماضية، فإن الوضع بالنسبة للدول الضعيفة مع وجود هاتين المنظمتين أرحم من انعدامهما بالكلية.

ولهذا، فإن من يعتقد في صحة نسبة جهاد الطلب إلى الإسلام إنما يمنح الشرعية "الإسلامية" للقوى القادرة على قهر المسلمين وإذلالهم، كما يحدث في فلسطين، وأفغانستان، والعراق، وفي كثير من الدول العلمانية اليوم التي تنادي بالحرية. وهي دعوة للحرية صادقة لضمان حرية الدعوة إلى ما يخالف الإسلام، وطغيان واستبداد الشعوب القوية، ولكن ليس لضمان حقوق الشعوب الضعيفة المغلوبة على أمرها، ومنها الشعوب الإسلامية.

وأجزم، متحملا المسؤولية أمام الله، بأنه لا يجوز تهمة رب العالمين بمثل هذه التشريعات التي تخدم الأقوياء المعتدين، على حساب الضعفاء المسالمين.

ويقول الدكتور محمد:

"...أنه ليس من الضروري لكي نكون مثقفين عصريين: أن نقوم بثورة على ما اتفق عليه أسلافنا من أحكام ، كما هو حال أولئك الذين بادروا بإنكار جهاد الطلب لمجرد أنهم فهموا تعارضه مع قيم العصر،..."

وأقول: إني أتفق مع دكتورنا محمد إذا كان الرفض "لجهاد الطلب" لأعتقادنا أنه يتعارض مع متطلبات العصر فحسب. فهذا الرفض ينطلق من الانبهار بالبشر الذين حققوا تقدما ملحوظا في الشئون الدنيوية. وقد يؤدي إلى تجاهل ما ورد في الكتاب والسنة... ومن الجهة الأخرى، فإن تجاهل النصوص الثابتة والصريحة اعتمادا على أقوال السلف قد يؤدي أيضا إلى الاتصاف بما ورد في قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ...﴾ [المائدة: ١٠٤].

والأصل أن نستفيد من إنجازات الآخرين فيما ينفعنا في الدنيا بصورة مباشرة، وفي الآخرة بطريقة غير مباشرة، دون التهاون بالتعاليم الربانية الواضحة في الكتاب والسنة. والأصل أن نقدِّر ونحترم جهود أسلافنا من العلماء، ولكن نجتهد في

تطويرها وفي تصحيحها، إذا لزم الأمر، محتكمين إلى النصوص الصريحة في الكتاب والسنة مباشرة، مستعينين بالأدوات اللازمة التي أبدعوها. وذلك بدلا من تجاهلها، واعتبارها بديلا للكتاب والسنة.

يقول الدكتور محمد بأن جهاد الطلب لا نحتاجه إذا "فُتح المجال لوصول دعوة الحق إلى الأمم".

وأقول: هذا الكلام سيواجه بسؤال من الذي معه "الحق" أو من الذي يمثل "الحق"؟ وهو سؤال خطير، حسب فهم أصحاب جهاد الطلب، لأن الذي يعتقد أن "الحق" معه تمنحه الشريعة "الإسلامية"، حق نشر "الحق" (أي حقهم، أومعتقداتهم) بالقوة بين غيرهم من الضعفاء، ومنهم مسلمي اليوم.

ولتوضيح ذلك، نأخذ النقاش الدائر حول ""حقيقة جهاد الطلب" الذي يؤكد أن "الحق" قد يُختلف عليه، حتى بين المسلمين الذين يؤمنون بالكتاب والسنة الموثقة ولا نشك في إسلامهم. ويتعذر الاتفاق على صيغة واحدة ل"الحق"، إلا أن يتوفر شيء من السلطة لأصحاب أحد الآراء فيعملون على تكميم أفواه أصحاب الاجتهادات الأخرى بوسائل غير شرعية إلا من وجهة نظر أصحاب جهاد الطلب.

فهل يمكن توحيد حقيقة "الحق"، على مستوى العالم، حيث يكثر المدعون بالحق تحت مسميات عديدة: دينية، وفكرية...، مدفوعون بالإخلاص لأديانهم أو لأطماعهم، ويتوفر لبعضهم من وسائل التسلط ما ينعكس بصورة مكشوفة في فلسطين وأفغانستان وفي العراق...؟

ويطرح الدكتور محمد تساؤلا يقول:" إذا استطاع المسلمون تحقيق تلك المنطلقات [أي حرية الدعوة] أو أكثرها دون قتال هل يسقط جهاد الطلب؟ "

وأقول المسألة ليست مسألة هل يستطيع المسلمون...، ولكن ما الأصل في "جهاد الطلب"؟ استنادا إلى النصوص الصريحة في كتاب الله وسنة نبيه؟ أليس جهاد الطلب دعوى تتعارض مع الكتاب والسنة والعقل والفطرة؟

ويقول الدكتور محمد "وأهم من ذلك أننا سنكون متصالحين مع جميع نصوص الكتاب الكريم والسنة النبوية التي تمنع الإكراه في الدين وتلك التي تطلق القول في الجهاد".

وأقول: اقتراح جميل، ولكن المشكلة أن جهاد الطلب في صورته التقليدية وصياغته الحديثة المخففة لا تقتصر على توفير الشرعية "الإسلامية" لعدوان الآخرين على المسلمين وإذلالهم وإخضاعهم فكريا وسلوكا، ولكنه يتناقض تماما مع النص الصريح ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾. ولا يمكن التصالح بين فهمين متناقضين: أحدهما يمنح الشرعية لتسلط الأقوياء على الضعفاء، والآخر يمنح الحماية للضعفاء، ولو نظريا. كما أنه لا يمكن الجمع بين تأييد تهمة البابا وغيره بأن الإسلام انتشر بالسيف لأنه، حسب فهم البعض، مستمد من الكتاب والسنة، من جهة، والاحتجاج عليه بشدة لأنها تهمة حاقد على الإسلام وأهله!

وأسأل الله للجميع أن لا يحرمنا نور البصيرة والسداد في الاعتقاد والنية والقول والعمل.

سعيد صيني

٢٢/ ١١/ ١٤٣١هـ

الدكتور محمد وتهمة الصحابة لا يفهمون

أخي الدكتور محمد.

حجة دامغة وظريفة ولكن...

لقد ذكرتَ بأن "ما كتبته كان مقالا في صحيفة المدينة نقله الدكتور عبد العزيز قاسم تفضلا منه وكرما". ولهذا أنا ممتن لك وله.

وأقول: صدقت. فأسلوب المقال ومضمونه يدل على أنه كان محاولة للإصلاح بين الطرفين، وليس ردا على مشاركاتي، فضلا عن أن تقصد به الإعلان عن فتوى أو حكم شرعي في المسألة.

والحقيقة، أني لم أعقب عليه إلا لأنه أثار شجونا قديمة، ولاستكمال موضوع جهاد الطلب، غاب عن ذهني فذكرتني به، وجزاك الله خيرا على ذلك. فالموضوع لا يكتمل بدون مناقشته.

وقلت: "ولكن الذي سيخلفه ما كتبت في نفس القارئ المحايد أن عمر بن الخطاب والصحابة معه لم يفهموا كتاب الله تعالى ولم يستنيروا بالعقل ولا بالفطرة السليمة" وأوردت قصة موسى بن نصير، ومعركة بلاط الشهداء. وأضفت: كما سيقع في ذهن القارئ أن عمر أيضا وعمر ابن العاص لم يفهما الفطرة والكتاب والسنة ولم يخضعا للعقل السليم حين قررا فتح مصر ولم تكن إذ ذاك مصدر خطر على الدولة الإسلامية ولم ينقل أحد من المؤرخين نصا يفيد أن فتح مصر كان من جهاد الدفع.

وأقول: إنها مزحة ذكية جدا من أستاذنا لمساندة جهاد الطلب الذي يقول "وإذا صار عندهم من القوة والسلطان والقدرة والسلاح ما يستطيعون به قتال جميع الكفار أعلنوها حربا شعواء للجميع" "وإذا ضعف المسلمون ولم يقووا على قتال الجميع فلا بأس أن يقاتلوا بحسب قدرتهم ويكفوا عمن كف عنهم إذا لم يستطيعوا ذلك" (هل المسألة انتهازية؟) ولكن...لدي أدلة على أنها مزحة، وإن كانت غليظة، ومن الأدلة ما يلي:

أولا – مما بلغني عن علمك يجعلك مؤهلا لمناقشة أدلتي التي سقتها، ولاسيما في المشاركة الأولى التي أشرت إلى عواقبها، لو رأيت فيها خللا.

ثانيا – قلت أن أحدا من المؤرخين لم يقل بأنها جهاد دفع، والسؤال: هل قال أحدهم بأنها جهاد طلب، وبعبارة صريحة مثل صراحة وقوة قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾...؟

ثالثا – على افتراض أن عمر والصحابة رضوان الله عليهم قاموا بغزو مصر تحت اسم "جهاد الطلب" السؤال: هل نأخذ بكلام رب العالميين ونبيه الكريم وبتطبيقاته أو بسبب منسوب إلى بعض كبار الصحابة لم تثبت؟

رابعا - كنت أشرتُ في إحدى المشاركات أن عمر ابن الخطاب رفض أن يغزو قبيلة غير التي حددها النبي عليه الصلاة والسلام والتي هربت، فهل من المنطق أن يأمر بغزو دول لم تحارب حكوماتها الإسلام أو المسلمين؟

خامسا - لقد ألمحت في مشاركة سابقة إلى أسباب المعارك الإسلامية مع الروم الذين كانوا يسيطرون على بلاد الشام ومصر. وذلك ابتداء من مؤتة، حيث حشد الروم جيشا ضخما لغزو الجزيرة والمسلمين وقتلوا بعض المسلمين.

ساسا - افتراضك مبني على قصص تاريخية، وأما أدلتي فهي تستند إلى كتاب الله وسنة نبيه الموثقة. وأنت تعلم قبل غيرك أن القصص التاريخية لا تعادل الكتاب والسنة في الاستدلال، ولا يجوز استنباط الأحكام الشرعية منها. وأنت تعرف أنه حتى المسلم العامي يعرف هذه الحقيقة. فهي مجرد حكايات لم يُفحص معظمها لا بمنهج المحدثين ولا بمنهج المؤرخين.

وقد يتساءل أحد الأعضاء في المنتدى: ما هو منهج المحدثين، وما هو منهج المؤرخين، وما الفرق بينهما؟

فأقتبس من كتاب قواعد أساسية ما يلي:

المناهج التوثيقية

ويعنينا في هذه الدراسات الوصول إلى وصف ما حدث كما وقع بالفعل بما يتوافر لدينا من آثار الماضي. وتشمل هذه الآثار الأشياء المادية مثل الأدوات والمباني والمؤلفات والوثائق والرسوم والنقوش، أو الأشياء المعنوية مثل المرويات غير المكتوبة كالتعاليم والحكم والقصص والأمثال والقصائد...

فهدف المناهج التوثيقية هو التأكد من صحة نسبة هذه الأشياء إلى ظروف تاريخية وأفراد وأشياء محددة، والتأكد من صدق مضموناتها، والوصول إلى صورها المكتملة لإعادة إخراجها في هيأتها الأصلية...

وتنقسم المناهج التوثيقية إلى قسمين يجب التمييز بينهما، فلكل منهما استعمال مختلف عن الآخر والخلط بينهما يؤدي إلى خلل كبير في النتائج. وهذان المنهجان هما: منهج المحدثين، ومنهج المؤرخين.

منهج المحدثين والنصوص المعصومة

منهج المحدثين هو المنهج الخاص لما ينسب إلى الوحي الرباني مثل، الكتب المقدسة السماوية وأقوال وأفعال وتقريرات رسل رب العالمين. ويعتمد هذا المنهج في عملية التحقق، على نقد السند (أي النقد الخارجي أو نقد الرواة) أكثر مما يعتمد على نقد المتن (أي النقد الداخلي أو نقد النصوص نفسها).

وتستخدم هذه للنصوص التي نعتقد أن مصادرها معصومة من الخطأ، وبالتالي تعتبر هي معصومة إذا كانت ذات مصداقية عالية جدا بحسب منهج المحدثين، وليس بحسب الفهم البشري، ولاسيما إذا كانت إخبارا عن غيبيات، من حيث الزمان أو المكان، أو الوجود.

بيد أنه، عندما نقول "غير معصومة" لابد من التنبيه إلى أنها لا تعني افتقاد المصداقية أو الفائدة النسبية الكافية. فالمصداقية درجات والفائدة درجات. وبما أن المعرفة التامة غير ممكنة حتى في مجال الماديات، فإن المعرفة ذات المصداقية العالية تكفي للاعتماد عليها بصفتها حقائق يمكن الاستنتاج منها... وصحيح أن جميع العلوم، ومنها مناهج البحث التوثيقة والاستنتاجية البشرية ليست معصومة من الخطأ، ولكن تختلف نسبة الخطأ فيها من منهج إلى آخر، ومن درجة إتقان التطبيق.

وكل ما تطمع فيه البشرية هو التعامل مع معرفة تتوفر فيها درجة عالية من المصداقية والكفاية الممكنة. ولعل هذه الحقيقة تفسر لنا قول النبي صلى الله عليه وسلم "إذا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وإذا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْر". وما ينطبق على الحاكم المخلص في اجتهاده ينطبق على العالم أو الباحث المخلص في اجتهاده، أي الذي يبذل قصارى جهده للوصول إلى الصواب.

منهج المؤرخين

منهج المؤرخين أو المنهج التاريخي هو المنهج الخاص لما ينسب إلى البشر من اجتهادات، وأقوال وأفعال وتقريرات بشرية عادية، ليست معصومة من الخطأ. ويعتمد هذا المنهج في عملية التحقق على نقد المتن (النقد الداخلي) أكثر مما يعتمد على النقد الخارجي.

وهنا يجب التنبه إلى أن المنهج التاريخي شيء مختلف تماما عن عملية ترتيب الأحداث أو الأشياء حسب التسلسل التاريخي، أي الأقدم فالأقدم. كما يجب التنبه إلى أن المنهج التاريخي يختلف تماما عن عملية استخدام الأحداث التاريخية كمادة علمية للاستنتاج منها بدلا من التحقق منها.

ضرورة التفريق

للاختلاف في طبيعة المادة العلمية التي يتعامل معها كل منهج: منهج المحدثين من جهة ومنهج المؤرخين من جهة أخرى، فإنه لابد من معالجة كل نوع منها بمنهجه الخاص به. وقد يكون من التجني أو من الخطأ الكبير تطبيق منهج أحدهما على الآخر. فمثلا لو أراد المسلم تطبيق منهج المحدثين على الأحداث التاريخية لما قبل منها إلا النادر. ولو طبق المسلم منهج المؤرخين في تحقيق القرآن والسنة النبوية لوقع في الكفر لا محالة لأن العقول البشرية تقصر عن إدراك كثير من الغيبيات وفهمها. ولا يزال هناك الكثير من الحقائق والوقائع المجهولة التي لم يكشف التراث العلمي النقاب عنها.

ويلاحظ أن اعتبار مادة البحث ربانية المصدر، أو بشرية المصدر مسألة نسبية غالبا. فالمسلمون يؤمنون بأن القرآن الكريم والحديث النبوي ربانيا المصدر، واليهود يرون أن التوراة ربانية المصدر، والمسيحيون يرون - في العموم- أن الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) رباني المصدر.

ومما لاشك فيه أن المؤرخ إذا توافرت له المعلومات التي توافرت لعلماء الحديث عن الرواة والروايات، فإنه سيكون في وضع أفضل ونتائج دراسته ستكون أقوى مما لو اقتصر على النقد الداخلي الصرف. وذلك لأن النقد الداخلي الصِّرف يعني الاعتماد -بالكلية- على العقل البشري المحدود.

ومنهج المحدثين الذي يستند إلى النقد الخارجي أكثر من اعتماده على النقد الداخلي ليس مستغربا. فكم من غرائب كونية، يعجز العقل البشري عن تصورها وفهمها، اكتشفها العلماء المتخصصون في الفيزياء والفضاء وغيرهم، ثم نقلوها إلينا.

ولو اعتمدنا على نقد المتن وحده لكان نصيب هذه الاكتشافات العلمية الرفض. وإنما قبلناها لأنها وصلتنا بوصفها حقائق من مصادر نعتبرها موثوقة ومصدقة (علماء أو مؤسسات تعليمية أو علمية). ويحدث هذا مع أنه يصعب على معظم الناس التأكد من مصداقية تلك الحقائق بأنفسهم، بل ويستحيل عليهم ذلك في معظم الحالات.

ومن جهة أخرى، نحن نتلقى هذه الأخبار الغريبة مع سيل من الأخبار الأخرى، وهذا يجعل من الصعب التأكد منها جميعا، حتى لو كانت عملية التأكد من آحادها ممكنة. ومع هذا فنحن نصدق الكثير منها، ليس لشيء سوى الثقة في مصادرها. وفي معظم هذه الحالات نبني ثقتنا في هذه المصادر على الانطباعات العاطفية، البعيدة كل البعد عن الأسلوب المنهجي الذي يتبعه علماء الحديث في تقويم الرواة. وانظر مثلا ما ورد عن كتاب بيل كينق بعنوان "لم نهبط على القمر" الذي يكذب فيه أخبار الهبوط على القمر.

والعقل البشري اليوم بالنسبة لبعض الأخبار ربانية المصدر يشبه حال العقل البشري قبل عشرة قرون عندما ترده أخبار بأن هناك وسائط نقل تطير في الهواء، بسرعة هائلة حاملة آلاف الأطنان من إنسان وحيوان وجماد. وأضف إلى ذلك ما تشاء من أخبار وسائل نقل المعلومات الحديثة من شبكات تلفاز وهاتف مرئي، ومخترعات تطل علينا كل يوم بشيء جديد.

وأعود فأؤكد أن حجتك يا دكتور محمد كانت ذكية جدا ودامغة في الوهلة الأولى، قبل أن يدرك المسلم أن الروايات التاريخية لا تعادل القرآن الكريم والسنة النبوية الموثقة في المصداقية.

ودمت لأخيك

سعيد صيني

١٤٣١/١١/٢٥هـ

المستفيد من "قاتلوهم حتى لا تكون فتنة"

لقد أتحفنا الأخ أمين بحوار ظريف ومنطقي إلى حد كبير، ولكن يبدو أنه متأثر بتفسير كثير من العلماء وطلبة العلم لمصطلح "الجهاد الإسلامي"، حيث يقول بأن الجهاد "فرض لإزالة الطغاة الذي يحولون دون حرية الناس في التعرف على الإسلام . وهو نفس جهاد الطلب بالصيغة المرققة.

ويستشهد بقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾[البقرة:١٩٣]وب"ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله". وهو فهم يبرر للأقوياء فرض فلسفاتهم ومعتقداتهم على الضعفاء، ويجعله عملا مشروعا. ولهذا فهو فهم يتهم رب العالمين بتشريع قوانين دولية تسند غزو الأقوياء للضعفاء المسالمين.

وقد يقول قائل هذا مسموح به للإسلام لأنه الحق، ولكن سيقول أصحاب الفلسفات والديانات الأخرى كذلك...والنتيجة الحتمية هي أن القوي هو الذي يستفيد من هذا القانون الدولي، سواء أكان على حق أو باطل.

أشرف العفيصان وتهديد سليمان بغزو اليمن

أخي الكريم أشرف العفيصان حفظه البارئ

وعليكم السلام ورحمة الله:

جزاك الله خيرا على السؤال الذكي الذي لم يخطر في بالي من قبل ولم أبحث فيه. وهو يستحق البحث.

الإجابة الفورية التي تخطر في الذهن أن الموضوع في وجهة نظري مرتبط بعدد من العوامل، ومنها:

١- ماذا تقول الشريعة التي نزلت على داوود وسليمان عليهما السلام في الموضوع؟

٢- هل هذه التشريعات ملزمة لنا نحن أمة محمد، مع ثبات اختلاف بعض التشريعات، مثل حكم الغنائم.

٣- هل قرار سليمان عليه السلام ردة فعل ملكٍ لحدث محدد أو أنه يصدر من تشريع واضح؟ ومن المعلوم أن من قصة داوود والرجلان اللذان احتكما إليه وغيرهما من الأمثلة أن الأنبياء معصومون من الخطأ في تبليغ رسالة رب العالمين، ومن ارتكاب الذنوب العظيمة، ولكن قد يقع منهم الخطأ في الاجتهاد.

٤- سورة النمل وقصص الأنبياء لا تقول كثيرا عن تفاصيل الحدث، فهل هناك تفاصيل تبرر تهديد سليمان عليه السلام، حتى في ظل شريعة محمد صلى الله عليه وسلم؟

٥- هل كانت رسالة داوود وسليمان محددة بقومهما، أم أنهما مطالبان بتبليغ الآخرين، ولاسيما الأقوام والدول المجاورة، مثل بلاد الرافدين، والشام ومصر...؟

٦- أم أن الصدفة قادت سليمان عليه السلام للتعرف على دولة بلقيس على مسافة ألفي كيلو متر، وانتهز الفرصة لدعوتها وشعبها إلى التوحيد؟

حتى في حدود الآيات الواردة في القرآن الكريم يمكن القول بأن فعل عزم سليمان عليه السلام كان ردة فعل لطريقة استقبال بلقيس لرسالته التي لم تكن ودية، بالنسبة للملأ، وإن كانت غير محددة.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣)﴾ (١).

سعيد صيني

٢٥/ ١١/ ١٤٣١هـ

دفاع المهندس الوفي عن الدكتور محمد

يا أخي المهندس موسى:

تأكد أني أحب الدكتور محمد في الله محبة لا تقل عن محبتك لشيخك. فهو أستاذ متخصص في الدراسات الإسلامية أسهم ويسهم في تنمية المعلومات الإسلامية بين طلبة وطالبات نجيبات يحرصون على خدمة الإسلام. بارك الله في جهوده الموفقة وبارك فيها. وتنبّه أن الغلو في حب الشيخ قد يؤدي إلى نتائج عكسية مثل الغلو في "الإمام".

فالدكتور محمد أستاذ قدير يشهد له الكثير، ولهذا غلب على ظني أن تعليقه مزحة، ولم ينكر ذلك. ولكني أعجب من بعض محبيه تقديسه لدرجة اعتبار مزحاته الذكية، كلاما مقدسا، ينبغي الدفاع عنها ولو بالمنطق نفسه.

تقول: "وهذا التصور والزعم ببطلان جميع الفتوحات الإسلامية من قبل الدكتور لم يكن إطلاقاً مبني على دراسة أو تحقيق لكتب التاريخ والتراث ..بل منشؤه فقط أن الدكتور [صيني] يرى أن (وجهة نظره) في مسألة جهاد الطلب هي الصحيحة وماسواها خاطئة مائة بالمائة".

وأقول: هذا القول يجعلني أعتقد أنك تقرأ ما في القلوب، مثل علام... ولو قرأت مشاركاتي السابقة بعناية كافية وهي أكثر من ست، لأغناك عن تهمة أخيك

(١) سورة النمل: ٢٩ - ٣٣.

البريء. وكان مما وددت أنك قرأته تعليقي المستمد من كتاب الله وسنة نبيه وفهم بعض العلماء ومنهم علماء الحديث والتفسير واللغة... على الآية الكريمة: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها".

تقول: "أعتقد أن على الدكتور سعيد - إن رأى صحة قوله - أن يحاول الجمع قدر المستطاع بين فهمه للآية وبين ما تواتر من عمل الصحابة رضوان الله عليهم قبل أن (يفترض) افتراضات للدفاع عن رأيه تؤدي إلى (تكذيب) وقائع وأحداث دون تدقيق وتمحيص ودراسة ..."

وأتساءل: هل هذا يعني انك قرأت جميع الروايات التاريخية بتمحيص وتدقيق مثل ما فعله علماء الحديث بالنسبة للنصوص المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟ وأن ما قاله المؤرخون مثل نصوص الكتاب والسنة؟ وهل هناك رواية تاريخية واحدة، ولا أقول رواية تواتر عليها المؤرخون، تقول بأن الفتوحات الإسلامية كانت تطبيقا لجهاد الطلب؟

وتقول: وبناءً عليه (أي ما تصورت وجوده في مشاركتي) فليس هناك شئ اسمه في التاريخ الإسلامي (اليرموك) أو (القادسية) أو (ذات الصواري) ...وما يقال بأن هناك (فتح) لبلاد الأندلس ووصول الجيوش الإسلامية إليها...كل ذلك مجرد (قصص تاريخية لا تعادل الكتاب والسنة ...وحكايات لم يفحص معظمها لا بمنهج المحدثين ولا بمنهج المؤرخين) ..!!!

وأقول: لو رجعت إلى ما كتبت مرة أخرى ستجد أني لا أنكر الأحداث التاريخية كما تصورت، ولكن أنكر أن أحدا من المؤرخين الذين قرأت لهم ادعى بأن الفتوحات كانت تطبيقا لجهاد الطلب. وإذا وجدت أنت شيئا من ذلك فجزاك الله خيرا أفدني في أي مرجع وجزء وصفحة، وأكون ممتنا لك جدا.

وأكرر على أخي المهندس أن يحسن الظن بشيخه الكريم، فلا يظن أن تعقيبه كان درسا جادًا في العقيدة، فهي مزحة ذكية. فشيخنا الجليل أعلم وأتقى من أن يتهم رب العالمين بأنه يشرع ما يبرر لأعداء الإسلام جهودهم لإذلال المسلمين وتفتيت أوصالهم.

وأنا واثق أيضا من أن جميع المؤمنين، بجهاد الطلب، من أجل مشايخهم، لا يرضون بتهمة رب العالمين بهذه التهمة. وإنما يعود الأمر في رفض الأدلة من الكتاب والسنة والعقل والفطرة إلى صعوبة الاعتراف ولو بخطأ واحد لمشايخهم الذين يحترمونهم أو يجلونهم، وإن لم يدع أحد من هؤلاء العلماء الكبار أن آراءه معصومة من الخطأ.

وأكرر سؤالي: هل يجوز تهمة رب العالمين بمثل هذا التشريع الذي يخدم الأقوياء، على حساب الضعفاء؟

ونظرا لحاجتي إلى التفرغ لعمل ألزمت نفسي به، فإني أعتذر عن التعقيب في الموضوع إلا أن يجد أحد أدلة من الكتاب والسنة الموثقة قوية لم أناقشها في مشاركاتي السابقة، تجيز تهمة رب العالمين بتشريع ما يخدم الأقوياء على حساب الضعفاء. وللتأكد من عدم مناقشة الدليل يمكن الرجوع إلى الملف الملحق لمشاركاتي السابقة.

وأسأل الله أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، ويثبتنا عليه إلى يوم البعث والحساب. آمين.

سعيد صيني

٢/ ١١/ ١٤٣١هـ

أشكر أخي الدكتور صالح على تنبيهه القيِّم

يقول أخي مربي الأجيال الإسلامية القادمة: "يبدو أن الشياطين تضاربت في رأس أخينا الصيني حتى لم يعد يفرق بين النصوص والأدلة والمحكمات

والمتشابهات بل والفاعل من المضاف إليه وكيف يستقيم لمن هذه حاله ولمن يقول إن الله قال في كتابه: "ولا تقوموا إلى الصلاة" أن يتجرأ على مسألة هذا عرضها - لا أدري ما وجه التعارض الذي أحدثه إبليس في رأس أخينا بين الجهاد لتكون كلمة الله العليا وبين الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة"

أقول:

أولا - جزاك الله خيرا على تحذيري من التسرع في النشر. فقد أخطأت بالتسرع في إرسال المشاركة التي تُعقِّب عليها، حيث أخطأت في الآية ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ بسب التسرع.

ثانيا - وتعبيرا عن امتناني لأخي الدكتور صالح، أذكره بقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾ [النحل:١٢٥]. وقول أنس رضي الله عنه في وصفه النبي صلى الله عليه وسلم: "لم يَكُنْ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سَبَّاباً وَلاَ لَعَّاناً وَلاَ فَحَّاشاً كان يقول لأَحَدِنَا عِنْدَ الْمُعَاتَبَةِ ما له تَرِبَ جَبِينُهُ"(١).

فمن حق أخي أن أذكره بذلك، فالمسلم مرآة اخيه، ولاسيما إذا كان أخاه أحد المتخصصين في تربية الأجيال المسلمة القادمة، وما دمام متخصصا في الدراسات الإسلامية فهو أيضا أحد الذين يمثلون التعاليم الإسلامية.

وأرجو من أخي أن لا ينساني من الدعاء بنور البصيرة ومن يقرأ رسالتي هذه، في مهبط الوحي، وفي هذه الأيام المباركة.

أخوك

سعيد صيني

٨/ ١٢/ ١٤٣١هـ

(١) النحل: ١٢٥؛ مسند أحمد بن حنبل ج ٣: ١٢٦.

جهاد الطلب على قيد الحياة

من الواضح أن أخي الأستاذ إبراهيم قام تحت عنوان "محاكمة دعوى الإطلاق في المواثيق الدولية" بدراسة جيدة للقوانين الدولية، فهي ذات فائدة للكثير، ولكن هناك بعض التساؤلات حول ما ورد عن جهاد الطلب. وقد دار، منذ فترة، نقاش مكثف بين بعض أعضاء هذه المجموعة المباركة حول الموضوع. وألحق بمشاركتي هذه مشاركاتي السابقة في الموضوع بالغ الأهمية، في ميدان القوانين الدولية، وذلك اختصارا للوقت.

ومن تساؤلاتي الرئيسة ما يلي:

١- يلخص أخي إبراهيم أحد الأقوال الشائعة بإيراد قول لأحد كبار العلماء وهو الشيخ بن باز رحمه الله رحمة واسعة: "...فإن ضعف المسلمون استعملوا الآيات المكية، لما في الآيات المكية من الدعوة والبيان والإرشاد والكف عن القتال عند الضعف. وإذا قوي المسلمون قاتلوا حسب القدرة فيقاتلون من بدأهم بالقتال وقصدهم في بلادهم، ويكفون عمن كف عنهم فينظرون في المصلحة التي تقتضيها قواعد الإسلام وتقتضيها الرحمة للمسلمين والنظر في العواقب، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في مكة وفي المدينة أول ما هاجر. وإذا صار عندهم من القوة والسلطان والقدرة والسلاح ما يستطيعون به قتال جميع الكفار أعلنوها حرباً شعواء للجميع"[1].

والسؤال: هل من مصلحة أي دولة أو مجموعة من الناس أن يكون هذا هو القانون الدولي الذي تتبناه، إلا أن تكون دولة تسيطر على العالم بصورة مؤبدة؟ وبعبارة أخرى: هل يجوز تهمة رب العالمين بتشريع قانون دولي

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ١٨/١٣١/١٨ - ١٣٢.

يمنح القوي، سندا قانونيا دوليا لقهر الدول والمجموعات الضعيفة ولإذلالها؟

٢ - يلخص أخي إبراهيم أقوال بعض العلماء بقتال من يقف حاجزا في طريق الدعوة بإيراده قول ابن تيمية "شيخ الإسلام: "شُرِع الجهادُ لتكون كلمةُ الله هي العليا ويكون الدين كلُّه لله"، وقال في السياسة الشرعية: "وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد، ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن منع هذا قوتل باتفاق المسلمين...".

والسؤال: هل هذا القانون من مصلحة أي ديانة أو فلسفة يحرص أصحابها على نشرها، إلا أن يضمنوا أن يكونوا هم الأقوياء في العالم بصورة مؤبدة؟ وبعبارة أخرى، هل مثل هذا القانون في مصلحة الدعوة الإسلامية وتجعل كلمة الله هي العليا؟ أم العكس في مثل الظروف التي عاشها النبي وأصحابه في الفترة المكية، أو الظروف التي يعيشها المسلمون منذ عدد من القرون؟

دعنا نستخدم عقولنا وفطرتنا السليمة في الإجابة على هذه التساؤلات، بعد تحريرها من الآراء التي لم يدع أصحابها العصمة لأنفسهم.

وأسال الله أن ينوِّر بصائرنا وأن يرزقنا الفهم الصائب لنصوص الكتاب والسنة، وأن لا يحرمنا العصمة من الخطأ عند نسبة الأحكام الإسلامية إلى خالق الكون الحكيم العليم.

سعيد صيني

٥/ ١٢/ ١٤٣١هـ

مستميت في إثبات تهمة انتشار الإسلام بالسيف

اخترق أحد الدعاة عزلتي، يسألني: لماذا لم تعلق على من يستميت في الدفاع عن جهاد الطلب، ويسب من يقول بنفيه بأقذع الشتائم؟

قلت مشدوها ومازحا: ماذا؟ هل هو مستميت إلى هذه الدرجة في الدفاع عن البابا والمستشرقين المعادين؟

وأضفت: ... لي فترة لم أتمكن من تصفح مشاركات المجموعة بسبب الانشغال الشديد.

قال: سأرسلها لك، وأؤشر على النقاط التي تهمك: الجهاد، والولاء والبراء...

لقد أثار هذا الداعية فضولي فعندما وصلتني المشاركة بادرت فورا إلى قراءتها ووجدتها منشورة في ١٤٣٣/٢/١٦هـ.

وأقول جزا الله أخينا إبراهيم خيرا على مدونته التي تزخر بالعبارات البديعة وأبيات الشعر المعبرة، والأفكار الغزيرة التي تدافع عن ما يراه صوابا ويشاركه في بعضها كثيرون، وفي بعضها خطأ عظيم يكتسح طلبة العلم الشرعي عبر القرون. ووددت لو أن صاحب المدونة راجع - على الأقل - بعض النقاط المنهجية، فمثلا:

يقول: "وحين اتّهَمَ مستشرقون الإسلام بأنه قد انتشر بالسيف، قابلهم المنهزمون المخذولون الذين طغت عليهم عقدة المغلوب، وراعتهم صولة الصليب وغَيَاية المادة؛ فنفوا-عن حسن نية، وضعف بصيرة- القتال في سبيل الله! وصيّروه جهاد الدفع دون الطلب".

وأقول: معلقا بتساؤلات مختصرة:

١- لا أشك أن أخينا المذكور لا ينسب إلى كتاب الله وسنة نبيه الكريم هذا الأسلوب المشحون بالشتائم لمن يخالفونه الرأي من إخوانه المسلمين وأخواته المسلمات. فهو يعلم أن الله يقول: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ... ﴾ [النحل:١٢٥] ولكن: أليس من واجب المدافع عن "الإسلام..." أن يتمثل الأخلاق الإسلامية؟ ويبدو أن هذه العادة متفشية بين كثير من المدافعين عن "الحق" في نظرهم، إذ يقول أحدهم لمن يُبرّؤون الله من مثل هذه التشريعات بأنهم "أهل أهواء" و"ضالين"... والأصل أن ينتقد المؤهل للنقد الآراء الفقهية للآخرين في ظل الكتاب والسنة، وليس إصدار أحكام غيابية ضد أصحاب الرأي المخالف وشتمهم.

ولعل قصد الداعية بعبارة "يستميت" لأن أخينا "الفقيه" يخاطر بحسناته بمخالفة أمر ربه بالدعوة بالحكمة، وبشتم من يخالفونه من المسلمين والمسلمات فيكون عرضة للإفلاس في الآخرة. يقول النبي صلى الله عليه وسلم "المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا... فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار[1].

٢- ألا يتعارض جهاد الطلب مع النصوص القرآنية الصريحة، مثل ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦] و﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾ [المائدة:٩٩] ويتعارض مع جُلّ ما جاء في السنة الموثقة القولية والفعلية الصريحة...؟

٣- ما الفرق بين جهاد الطلب الذي يقول "طلب الكفار في عقر دارهم ودعوتهم إلى الإسلام وقتالهم إذا لم يقبلوا الإسلام أو الخضوع له". وبين "اتهم المستشرقون الإسلام بأنه قد انتشر بالسيف"؟

كما هو واضح، يقول أنصار جهاد الطلب" أن الله أمر بنشر الإسلام بالسيف"، والمستشرقون المعادون يؤكدون هذه الدعوى فيقولون: "نعم انتشر الإسلام بالسيف، أي لا فرق بين القولين. والفرق الجوهري هو أن الأول منسوب إلى أعداء الإسلام وأنها تهمة، وأما الثاني فمنسوب إلى مُنزِلِ القرآن الكريم، وأنها من مبادئ العقيدة الإسلامية!!!. فكيف يكون ذلك؟ إن البديهة والعقل يقولان: إما أن كِلاهما اتهام للإسلام، أو كلاهما "مدح" للإسلام.

والسؤال: هل يحتاج الظالمون للمسلمين، في كل زمان ومكان، ولاسيما في هذا العصر قانونا دوليا أفضل من "جهاد الطلب" يحكم العلاقات الدولية؟ قد يقول أصحاب جهاد الطلب: من حقنا استخدام هذا القانون لأننا على الحق. وجهلوا

(١) مسلم٤: ١٩٩٧.

أو يتجاهلون بأن أصحاب الديانات الأخرى والمذاهب الفكرية الأخرى، أيضا، يقولون أن الحق معهم هم. ومن هؤلاء بعض الحكومات التي تسيطر على العالم بقوتها التقنية والعسكرية التي تروج للديمقراطية اللادينية وتدعي محاربة الإرهاب الإسلامي فقتلت الآلاف من المسلمين أو شردتهم في أفغانستان وفي العراق... ومن هؤلاء إسرائيل التي تدعي أن حقها ثابت في فلسطين فتقتل أطفال ونساء الفلسطينيين على مرأى ومسمع المستميتين في الدفاع عن تهمة انتشار الإسلام بالسيف....

وبعبارة أخرى، فإن الذي يستفيد في النهاية من قانون "جهاد الطلب" هم الأقوياء الغاصبين على حساب الضعفاء المساكين، ومنهم مسلمي اليوم. فهل يجوز نسبة مثل هذا القانون إلى عالم الغيب والشهادة الحكيم العليم؟

يقول الأستاذ إبراهيم، مدافعا عن جهاد الطلب مستشهدا ببعض النصوص: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١﴾ [الصف:١٠، ١١]. ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ [البقرة:١٩١] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣﴾ [التوبة:١٢٣]. وهل يجرؤ مسلم على توجيه آية التوبة هذه إلى غير جهاد الدفع، وهي في غاية الصراحة في الطلب: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ [التوبة:٢٩] وقال إمام المجاهدين صلوات الله وسلامه عليه: "بعثت بالسيف بين يدي الساعة وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم" رواه البخاري معلقاً".

وأقول:

١- هذا الفهم لهذه النصوص القرآنية يجردها من سياقاتها الطبيعية المباشرة من الآيات العديدة الصريحة في العلاقة بين المسلمين وغيرهم، ويضيف إليها ما ليس فيها، ويتناقض مع أوامر وأفعال إمام المجاهدين الصريحة.

٢- آية القتال المستشهد بها، جاءت في الذين يعادون الإسلام ويعاهدونه ثم يغدرون. ويكفي أن يقرأ الإنسان بعناية الآيات الثلاث عشرة الأولى من سورة التوبة فيدرك المدلول الصحيح للنص. والسؤال: أين هذه الآية الخاصة بالغادرين من صراحة الآيات العامة، مثل ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦] و﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾ [المائدة:٩٩]...؟

٣- أما الحديث المستشهد به فضعيف أو ضعيف جدا عند محققي جامع الأصول في أحاديث الرسول.

(يمكن الرجوع إلى كتاب حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين لمناقشة النصوص التي احتج بها القائلون بجهاد الطلب الأصلي والمعدل، لمن أراد الحق ومستعد لبذل الجهد من أجل الوصول إليه).

يقول: "إن من المهمات والأصول لدين المسلمين؛ الولاء والبراء، والولاء هو المحبة والنصرة، والبراء هو الكراهية والعداوة، وهما من شروط الإيمان... والناس في الولاء والبراء على ثلاثة أقسام:

قسم ليس لهم من الولاء شيء بل يعاملون بالبراء، وهم الكفرة وأهل الشرك، فهم شر البريّة. ولا يدخل في ذلك الإحسان إلى الكافر بقصد التأليف، بل ذلك من أخلاق الإسلام، وهو شيء خارج عن المودة والموالاة...".

وأقول: هل هذا الحكم ينطبق على كل من ثبت أن ليس له من الولاء شيء، أي نعاملهم بالبراء (الكراهية والعداوة، حسب تعريفه)؟ وماذا عن الأقلية المسلمة التي تهاجر، في الآية التالية؟ يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ

وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾ [الأنفال:٧٢]. لقد نفى الولاية بالكلية بين الأغلبية التي انضمت إلى النبي والأقلية التي بقيت في ديارها. فهل هذا يعني أن تبغض الأغلبية الأقلية المسلمة التي لم تهاجر، وتعاديها؟

وهل كون "الإحسان إلى الكافر" من أخلاق الإسلام بقصد التأليف يخرجه عن كونه نوعا من المودة والولاء المشروع، بل يجعلها نوعا من الكراهية والعداوة، حسب تعريفه للبراء؟

يقول: مرددا ما رد في بعض معاجم اللغة وكتب التفسير بأن "الولاء هو المحبة والنصرة"، أي أن انعدام الولاء معناه انعدام المحبة والنصرة.

وأقول: في مقابل تعريفه، يؤكد رب العالمين، في الآية السابقة، أن انعدام الولاء الكلي بين المؤمنين لا يعني انعدام النصرة والمحبة بينهم. والسؤال: هل نأخذ بكلام الله المعصوم أم بأقوال معاجم اللغة وكثير من كتب التفسير المتأخرة؟

يقول: "والبراء هو الكراهية والعداوة".

وأقول: وفي مقابل تعريفه، يجعل الله البراءة مستقلة عن العداوة ويضيفها إليها، في جملة مستقلة، في قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ۚ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ ﴾ [الممتحنة:٤] والسؤال: هل نأخذ بكلام الله المعصوم أم بتعريف أخينا غير المعصوم؟

لا أشك أن أخينا صاحب المدونة سيقول: نأخذ بكلام رب العالمين في جميع الأحوال.

ويمكن الإضافة في هذا السياق، بأن الله يميز بين العداوة والبغضاء باعتبارهما أشياء مستقلة. فالعداوة انعكاس محسوس للمشاعر السلبية بدرجاتها المتفاوتة:

الكراهية، والبغضاء، والحقد... فالبغضاء مجرد شعور يمكن إخفاؤه؛ وقد يوجد الشعور السلبي، ولكن لا يتجسد في سلوك محسوس (العداوة، والعدوان، الاعتداء، والعدو). ولهذا لو وضعنا كلمات المشاعر السلبية كلها مكان "العداوة" ومشتقاتها في الآيات التي وردت فيها فإن المعنى سيكون ناقصا ومختلا.

وتقول العبارة السائدة "الإنسان عدو نفسه"، وتعني أن الإنسان قد يفعل ما يضر به نفسه ويظلمها ويؤذيها، مع أن العاقل لا يكره نقسه أو يبغضها أو يحقد عليها. بيد أنه قد يتبع هواه فيسيطر على عقله فيقوده إلى اعتقاد أو قول أو فعل ما يؤذيه... وهكذا يقوم الهوى بدور العدو للعقل ولصاحبه.

يقول تعالى ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات:٥٥] وأنتهز الفرصة فأُذّكر المعنيين بالأبحاث الشرعية، من إخوتي وأخواتي المؤمنين والمؤمنات، بنقاط منهجية جوهرية مما يحضرني في هذه العجالة، ومنها ما يلي:

أولا - ضرورة بذل الجهد لفهم حكم الله بإحصاء النصوص ذات العلاقة ومقابلتها بعضها ببعض واستنتاج الحكم، ولا يكفي ما يفعله كثير من كبار وصغار طلبة العلم، حيث ألفوا على عملية القص واللصق، واختطاف الجزء الجاهز المؤيد لفهمه من أقوال العلماء وفهمهم للنصوص ذات العلاقة ليسند بها رأيه. وتبلغ الجرأة عند بعضهم في الاستهتار أو العجز إلى الاستدلال بجزء من الآية الواحدة بعد تجريدها من السياق.

ثانيا - يجب على المخلصين من طلبة العلم الشرعي إدراك أن الطريقة الصحيحة في احترام علماء الأمة الذين بذلوا جهودا عظيمة في الحفاظ على الإسلام ونقله وإيصاله إلى الأجيال التالية ليس أن نردد اجتهاداتهم التي سيثابون عليها إن كانت خطأ أو صوابا. وإنما الطريقة الصحيحة هي أن نستفيد منها ونسترشد بها، ولكن لا نجعلها ندا لكتاب الله وسنة نبيه الكريم ونعارض بها، ولاسيما، النصوص الصريحة فيهما. فإن احترامنا لعلمائنا الأجلاء يفرض علينا

الحرص على التحقق من صحة نقل الأقوال المنسوبة إليهم ومن عدم تعارضها مع الكتاب والسنة، قبل نقلها إلى الأجيال التالية.

وأضرب مثالا للخطأ الذي قد يقع فيه أحد المفسرين ثم يحفظه التالون ويرددونه عبر الأجيال المتتابعة، وذلك بدلا من التدبر في الآية وسياقاتها بقدراتهم اللغوية المتميزة وعقولهم وبديهتهم، ما ورد في مشاركة أحد الإخوة حول قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا...﴾ [الكهف:٢٩] يورد المشارك الكريم ١٢ اقتباسا لمفسرين مختلفين كلها تردد أن معنى قوله تعالى السابق "هو التهديد والوعيد"، وذلك بدلا من التخيير الذي يظهر واضحا في الآية، كما اعترف أحد الذين رجّح التفسير المحفوظ عن الآباء في النهاية. وغاب عن أذهان المرددين لقول الآباء أن التخيير هو المقصود، ولكن في دار الاختبار. فالله سبحانه وتعالى يؤكد أن الحياة الدنيا للاختبار، حيث يقول: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف:٧] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران:١٨٥] ويقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج:٦٢]. إلى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الحج:٦٩].

فالحياة الدنيا هي دار اختبار. ويشبه هذا في المستوى البشري أن يجتهد المعلم قصارى جهده ليُفهم الطلاب الدرس ليحققوا أعلى درجات النجاح، ولكنه في فترة الامتحان لا يتدخل تماما. ولو تدخّل، وأجبرهم على الإجابات الصحيحة فإنه يرتكب عملية تزوير وغش يرفضه الشرع والعقل والبديهة... ولا يعد اختبارا...

والله الهادي إلى سواء السبيل.

سعيد صيني

٢٢/ ٢ / ١٤٣٣هـ؟؟؟

آية السيف والنسخ المزعوم

تأكيدا للقول بأن آية السيف ليست ناسخة لمئات الأقوال والأفعال المسجلة للنبي صلى الله عليه وسلم، يمكن للمسلم أن يعود إلى ال ١٣ آية الأولى فقط في سورة التوبة فيجد أن البراءة خاصة بمن يعاهدوا المسلمين ثم يخونون، . وقد ناقشت هذ المسألة في حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين في الصفحات ٢٧ - ٤٢.

سعيد صيني

٢٦ /٩ / ١٤٣٠هـ

جزاك الله خيرا يا أبا أسيد

سلام الله عليك

وجزاك الله خيرا يا أبا أسيد على تزويدي بنموذج من النماذج العديدة...

المشكلة التي أتألم من أجلها أكثر من عشرين عاما أن كثيرا من المسلمين قد حفظوا آراء فقهية انصبغت بالظروف التي عاشها من أشاعوها ودعوا إليها بإخلاص شديد، بنية حسنة

فابتعدوا عن الكتاب والسنة وتطبيقات الصحابة الذين عاشوا عصر نزول الوحي ومشاهدة وسماع أفعال النبي صلى الله عليه وسلم وأقواله وتقريراته.

وبسبب التعليم الذي يقتصر على مجرد الحفظ والترديد بدلا من التفكير واستخدام القدرات العقلية التي ميز الله بها

الإنسان، ترسخت بعض الآراء البشرية بحيث أصبحت من أكبر المشاكل التي يواجهها المسلمون، دون أن يشعروا بمخاطرها الجسيمة .

وأسأل الله أن ينير بصائرنا بالحق، وخاصة دعاتنا المخلصين والمجتهدين ممن وهبهم الله شعبية طيبة، وأسال الله أن يقيهم إثم إضلال كثير من المسلمين.

وأبعث لك بنسخة من ملخص لأبحاث عديدة في موضوع العلاقة بين المسلمين وغيرهم.

ولعلك اطلعت على تعليقي على جهاد الطلب المنشور في مجموع الدكتور عبد العزيز قاسم اليوم.

سعيد صيني .

عبد الوهاب والدعاء على الكافرين

استوقفني موضوع الدعاء على الكافرين الذي تحدث عنه الشيخ عبد الوهاب آل غظيف واستشهد فيه بكلام الدكتور/ عبد السلام بن برجس العبد الكريم. وهو موضوع شُغلت به منذ أكثر من ربع قرن، ولا يزال...

لقد ورد في قول الدكتور عبد السلام:

"فإن رُجيَ هدايتهم دُعي لهم بالهداية. وقد جاءت السنة بهذا وهذا، فبوَّبَ البخاري في كتاب الدعوات من ((صحيحه)): باب الدعاء على المشركين. وباب الدعاء للمشركين، وفي كتاب الاستسقاء نحوه. بيان الدليل على مشروعية الدعاء على الكافرين بالهلاك على وجه التعميم استنبط الحافظ ابن حجر في ((الفتح)) ٣٨٤/٧: الدعاء على المشركين بالتعيم من قصة خبيب بن عدي - رضي الله عنه -، حيث دعا فقال: ((اللهم احصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً))..."

أقول معلقا: لو افترض أحدنا أنه في موقف نوح عليه السلام، كيف يكون شعورنا الفطري والحقيقي تجاه الابن الضال؟ هل هو الدعاء بحرقة أن يهديه الله؟

أو الدعاء عليه بالهلاك كافرا ومغضوبا عليه؟

كما أرجوا التأمل قليلا في النصوص التي أوردتها في كتاب "حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين" الموجود في الإنترنيت.

فالمتأمل في النصوص المتضافرة يجد أن الله الرحمن الرحيم بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين.

ولهذا عندما يُطلب من النبي الدعاء على بعض الكافرين يدعو لهم بالهداية.

وعندما يُعطى الفرصة لتدمير المبالغين في الكيد له وللإسلام يختار بقاؤهم، أي مع أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على المعادين الذين غدروا بالمسلمين شر غدرة، فإنه عليه الصلاة والسلام، عند الجد والقدرة، يختار الرحمة بهم والإشفاق عليهم وعلى ذرياتهم.

لأنه عليه الصلاة والسلام يرجو أن يهديهم الله يوما، أي أن رجاء هدايتهم ينبغي أن لا ينقطع ما داموا على قيد الحياة.

بل، يرفض هلاكهم، لأنه يرجو أن يكون من أصلابهم من يهتدي.

المنهج في الدعوة إلى الإسلام: (حقيقة العلاقة .... ص ١٩ – ١٥)

يؤكد القرآن الكريم بأنه لا إكراه في الدين أو على الهدى، إذ يقول تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ...﴾ [البقرة:٢٥٦].

وكان منطلق الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوة الناس هو شعور المخلص المشفق عليهم والمحب للخير لهم. فقد ورد في صحيح مسلم أنه "لما نزلت ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء:٢١٤] قال انطلق نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى رضمة من جبل فعلا أعلاها حجرا ثم نادى: يا بني عبد مناف، إني نذير. إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله، فخشي أن يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه. محذرا إياهم العدو".

وقد يقول قائل: إنما هذا شعور خاص لرسول الله صلى الله عليه وسلم تجاه عشيرته الكافرة فيقع في توجيه تهمة عظيمة لرسول الله المبعوث رحمة للعالمين. والحق، إن هذا هو شعور رسول الله تجاه كل من أمره الله بدعوته من الجن والإنس. وهذه سنة الأنبياء الذين سبقوه صلوات الله عليهم وسلامه. فقد كان الأنبياء من قبله يستعطفون أقوامهم أن يهتدوا. وكانوا يبذلون كل ما هو مشروع

بذله أملا في هداية أقوامهم. وهذه الصفة واضحة في قصص الأنبياء كما هي واضحة في سيرة خاتم الأنبياء وسيد المرسلين. لهذا فإن شعور المسلم تجاه غير المسلمين - ابتداء - ينبغي أن لا يخرج عن مشاعر أنبياء الله وشعور خاتم الأنبياء صلوات الله عليهم جميعا تجاه المدعوين وهو الرحمة والإشفاق وحب الخير لهم.

ومؤكدا مبدأ عدم الإكراه على الدين، يقول سبحانه وتعالى، مخاطبا نبيه الكريم: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس:٩٩]. والآيات التي تبين أن الله أرسل محمدا مبلغا ومبشرا ونذيرا، وليس مكرها للناس على الحق كثيرة. وقد يعاتب الله رسوله إذا قلق أكثر مما ينبغي لرفض الناس الإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ [الكهف:٦]. وقد يعاتبه ربه إذا أبدى حرصا شديدا وتألم لعدم إيمان عمه أبي طالب الذي دافع عنه وبالتالي عن الإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦]. وقد يقال: إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان لا يحب عمه ولكن كان يحب له الهداية فقط. ولكن هذه تهمة لا نقبلها على الرسول صلى الله عليه وسلم. وذلك لأن من يقول بهذا القول ويعترف بأن سبب نزول الآية -بصفة خاصة- هو تألمه لعدم إسلام عمه يتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه ما كان يحب الهداية إلا لعمه، بينما الرسول كان يحب الهداية لكل المخلوقات المكلفة. ولكن لعمه مكانة خاصة؛ فقد كفله يتيما ودافع عنه نبيا ورسولا. والرسول صلى الله عليه وسلم إن منح عمه نوعا من الحب فإنما يفعل ذلك في حدود ما يأمر الله به ويأذن من الوفاء ومن صلة الأرحام.

والآيات التي تؤكد أن مهمة الرسول تنحصر في البلاغ كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ﴾ [الشورى:٤٨]. ومنها قوله

تعـــالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ [آل عمران:٢٠].

ولهذا يحث القرآن الكريم على الدعوة إلى الإسلام بالرفق، في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل:١٢٥، ١٢٦]. ومع أن الله يعلم علم اليقين أن فرعون لن يهتدي فإنه يأمر موسى وهارون عليهما السلام باستعمال الرفق لعله يهتدي في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه:٤٤]. كما يأمر بالصبر وضبط النفس في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴿١٠﴾ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴿١١﴾﴾ [المزَّمل:١٠، ١١]. ويقول تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦] ويقول تعالى أيضا: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٤].

ولهذا كان من الطبيعي أن يدعو النبي صلى الله عليه وسلم لثقيف بالهداية رغم محاربتهم له، وعندما طلب منه البعض الدعاء على قبيلة دوس، كان رده: "اللهم اهد دوسا وأت بهم". وذلك بدلا من الدعاء عليهم.

ومع ما لقيه الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه من أذى شديد فإنه لم يرد لهم الهلاك. فعندما بلغ به الهم مبلغه جاءه جبريل بملك الجبال الذي قال له: "يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين (الجبلين)؟ فكان ردّ النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا". وعندما أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم الراية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في غزوة خيبر وقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا

مثلنا؟ قال له صلى الله عليه وسلم: "انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فو الله لإن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم". هذا، مع أن كيد يهود خيبر للمسلمين ومحاربتهم للإسلام معروفة.

وعندما اشتد غضبه على بعض الكافرين لإمعانهم في أذية المسلمين ومحاربة الإسلام ودعا عليهم، ذكره الله بأنه ليس له إلا أن يبلغ الرسالة وذلك في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾ [آل عمران:١٢٨، ١٢٩]. ومن هذا القبيل أيضا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٥]. فبعد أن يبذل المسلم جهده في الدعوة ليس عليه أكثر من أن يهدي نفسه.

ومما يتسق مع هذه القاعدة العامة قوله صلى الله عليه وسلم لقومه من أهل مكة وقد أسلموا أمرهم إليه بعد أن نصره الله عليهم: "لا تثريب عليكم اليوم. اذهبوا فأنتم الطلقاء" وعفا عنهم وعن ما صدر منهم من إيذاء ومحاربة سابقا، إلا عددا محدودا كانوا قد بالغوا في العداوة والكيد للإسلام والنكاية بالمسلمين، ولاسيما بالمستضعفين منهم. وكما يقول آل محمود: "ولم يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن المسلم منهم والكافر حتى أسلموا جميعا من تلقاء أنفسهم". وعفوه عن هوازن ورده سباياهم عليهم ينطلق أيضا من القاعدة نفسها...

وعلى المسلم أن يوازن بين اللطف في الدعوة الذي يتسق مع الرحمة التي يدعوا إليها، وبين إظهار الإسلام بمظهر العزة اللائقة به. ويتم ذلك أولا بحرص المسلم على تطبيق التعاليم الإسلامية وأداء واجباته علنا وباعتزاز مقرون بالامتنان لله الذي هداه، وبالإشفاق على من حرم نفسه منها، وليس باعتزاز مقرون بالتكبر والعجرفة على المحرومين من نعمة الإسلام. وقبل أن يلوم المسلم الكافرين على

كفرهم وينظر إليهم بصغار يجب أن يلوم نفسه ويؤنبها على التقصير في حق الدعوة، والتقصير في تبليغ الإسلام بالصورة المناسبة والوسيلة المناسبة.

سعيد صيني

١٧ / ٨/ ١٤٣٠هـ

سعيد تعليق على الزقيل والولاء والبراء والسلام

أخي عبد الله قلت: "قضية عقدية مهمة جدا وخاصة في هذا الزمن وهي مسألة الولاء والبرء" .

وقد صدقت في هذه. ولولا أهمية هذه القضية لما شاركت في الرسالة: ١٠٤٨ والتعليق على أخينا أبي عمر، أو عقبت على أخينا أحمد الزهراني ولخصت فيه القاعدة في العلاقة بين المسلمين وغيرهم.

وقلت: "وواضح أنك اقتصرت على دليل واحد وهي الاية التي أوردتها وهي تتكلم عن المحاربين، في حين أنك أهملت نصوصا أخرى تجيب على كل ما ذكرته بعدُ في مقالك، فعلى سبيل المثال:

قلت: هناك آيات فرقت بين المحارب ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة:٨، ٩]". فهناك معاملة للمسالين والمساندين لمسلمين تختلف عن معاملة المحاربين

قلت: ولذلك نقل الإمام القرطبي ما نصه: "قيل لابن عيينة: هل يجوز السلام على الكافر؟ /قال: نعم قال الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة:٨]. وقال

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ [الممتحنة:٤] الآية وقال إبراهيم لأبيه "سلام عليك".

قلت: فالأول يفيد ترك السلام عليهم ابتداء، لأن ذلك إكرام، والكافر ليس أهله. والحديث الثاني يجوز ذلك.

بدء غير المسلمين بالسلام[١]:

لعل من نماذج الرفض تعميم بعض علماء المسلمين – ولو نظريا - ما ورد عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: لَا تبدؤا الْيَهُودَ ولا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ فإذا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ في طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إلى أَضْيَقِهِ. وفي رواية "إذا لَقِيتُمْ الْيَهُودَ" وفي رواية ثالثة "أَهْلِ الْكِتَاب" وفي رواية رابعة "إذا لَقِيتُمُوهُمْ" ولم يُسَمِّ أَحَدًا من الْمُشْرِكِينَ. أما حديث البخاري في الأدب المفرد، وليس في الصحيح فهو عن أبي صرة الغفاري، ويوقل "إني راكب غدا إلى اليهود فلا تبدؤوهم بالسلام"[٢].

والملاحظ أن من قام بتعميم حكم هذا النص المختلفِ في صفة المعنيين به من بين غير المسلمين ابن القيم والنووي ونفطويه والمباركفوري والمزي[٣].

أما ابن عباس حبر الأمة فكان يبدأ الكافرين بالسلام، ويقول من سلم عليكم من خلق الله فردوا عليهم وإن كان يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا. وأبو أمامة الباهلي

(١) صيني، التعامل مع غير المسلمين في السنة.

(٢) مسلم: السلام؛ العسقلاني، فتح ج ١١: ٤٢.

(٣) ابن القيم، زاد المعاد ج ٢: ٤٢٤ – ٤٢٥؛ النووي، شرح مسلم ج ١٤: ١٤٤ – ١٤٥؛ ويؤيده في ذلك تحفة الأحوذي ومن الغريب أنهما يحتجان بالتخصيص في هذا ولا يحتجان بالتخصيص الوارد في روايتي أبي بصرة الغفاري وأبي عبد الرحمن الجهني، المباركفوري، تحفة الأحوذي ج ٧: ٣٩٨؛ المناوي، التيسير ج ١: ٢٥٠؛ المباركفوري، تحفة الأحوذي ج ٧: ٣٩٩؛ المزي، تهذيب الكمال ج ٣٤: ٣٩؛ ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة ج ٥: ٢٥٠، العيني، عمدة القارئ ج ١٤: ٢٠٦.

كان لا يمر بمسلم ولا يهودي ولا نصراني إلاَّ بدأه بالسلام. وهناك روايات تفيد بأن ابن مسعود وأبا الدرداء وفضالة بن عبيد كانوا يبدؤون أهل الكتاب بالسلام[١].

وبهذا نلاحظ أن من يجيزون بدء الكافرين بالسلام هم من الصحابة الذين عاشوا الإسلام في عهد معلم الإسلام، وليست هناك رواية تفيد أن أحدهم كان لا يجيز بدء الكافرين بالسلام، فيما عدا الحديث المنسوب إلى أبي هريرة رضي الله عنه. أما الرأي المعارض لهم فهو من فهم الأجيال التالية التي لم تشارك النبي المشرع عليه الصلاة والسلام حياته ولكن اعتمدوا على فهم بعض النصوص التي وصلتهم وليست كلها.

ولعل الرجوع إلى سياق الحديث الذي رواه أبو هريرة ولم يرد في رواية مسلم يفسر سبب إجازة الصحابة بدء غير المسلمين بالسلام. فهناك رواية عن أبي بصرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا مارون على يهود فلا تبدؤوهم بالسلام فإذا سلموا عليكم فقولوا وعليكم. رواه أحمد والطبراني في الكبير، وزاد فلما جئناهم سلموا علينا فقلنا وعليكم. وهناك رواية أخرى عن أبي عبد الرحمن الجهني قال قال لنا رسول اللَّـهِ صلى الله عليه وسلم إني رَاكِبٌ غَدًا إلى يَهُودَ فَلاَ تبدؤوهم بِالسَّلاَمِ وإذا سَلَّمُوا عَلَيْكُمْ فَقُولُوا وَعَلَيْكُم. وبعبارة أخرى، فإن عدم بدء الكافرين بالسلام إنما كان في ظرف خاص هو توجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى قوم من اليهود لمعاقبتهم على الخيانة. والراجح أن اليهود المعنيين هم بنو النضير الذين خانوا المسلمين وأرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم بتخطيطهم رمي الرحا عليه[٢].

وبهذا نخلص إلى أن التعاليم الإسلامية الخاصة بالعلاقة بين المسلمين وغيرهم متسقة. وهي في الأصل علاقة حياد، ووجوب دعوة أو حرص على إشراكهم في

---

(١) ابن القيم، زاد ج ٢: ٤٢٤؛ العيني، عمدة القاري ج ١٤: ٢٠٦.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد ج ٨: ٤١، ويضيف: وأحد إسنادي أحمد والطبراني رجاله رجال الصحيح؛ أحمد، مسند أحمد بن حنبل ج ٤: ٢٣٣؛ صيني، المبادئ الإسلامية للتعامل.

نعمة الإسلام، وحب الخير للكافرين والإشفاق عليهم، ولا يأتي جهاد الآخرين إلا للدفاع أو للرد على الاعتداء، أو المبادرة بالهجوم على من يتجهزون لمهاجمة المسلمين.

قلت: "قال الطبري: ولا يعارض ما رواه أسامة بحديث أبي هريرة، فإنه ليس في أحدهما خلاف للآخر وذلك أن حديث أبي هريرة مخرجه العموم، وخبر أسامة يبين أن معناه الخصوص ... ".ا.هـ.

قلت: "أما قولك: لقد أصبح التعامل مع غير المسلمين أمرا تفرضه طبيعة الحياة المعاصرة! وما الجديد وفقك الله في عبارتك هذه؟ النبي صلى الله عليه وسلم تعامل مع اليهود والنصارى، المحاربين منهم والمسالمين، فهذه قضية لا تنحصر بعصر معين، وهي ولله الحمد معروفة".

قلت: "أما ما جعلته مشكل، ورميت به العلماء فهذه ربما زلة قلم منك على العلماء، فهم فرقوا بين أنواع المحبة فمحبة الرجل لزوجته الكافرة من المحبة الطبيعية الفطرية، ومحبة الابن المسلم لأبيه الكافر أيضا، أما المحبة الفاصلة هي محبة ما عليه الكافر من كفر فهذه التي نهت عنه الشريعة".

لماذا نعتبر نقد بعض أقوال علماءنا بأنه رمي وقذف، وانتقاد في غير محله. كلنا يدرك أن العصمة لله ولرسوله فما يبلغ وفي ما يطبق مما يعلمه للناس، ولكن يجتهد فيخطىء فيصوبه رب العالمين الذي بعثه نبيا وهاديا، أو أهل الاختصاص من البشر، مثل حديث تأبير النخل.

سعيد صيني

٢ / ٣ / ١٤٣١هـ

الدكتور أحمد والجمع بين المتناقضين

أخي الشيخ أحمد

لقد أثرت قضايا متعددة، ولكنها ذات صلة بموضوع العلاقة بين المسلمين وغيرهم. وأصدرت أحكاما متعددة، أوافق على بعضها ولو نسبيا، وأخرى أختلف فيها معك.

ودعني أبدا بما نتفق عليه

١ - قلت: "المستحيل هو الجمع بين المتناقضين أو المتضادين".

وأقول: هو صحيح، ولهذا قلت في مشاركتي السابقة ولكن يستحيل أن نجمع بين المعاملة الحسنة والعداوة، وهما متضادتان، ولم أقل بين العداوة والبغضاء، كما فهمتَ وعلّقت عليه. وأنا شريكك في سبب هذا الخطأ، فقد أسقطُّ مع العجلة كلمة "الحسنة" من تعليقي. ومع هذا فإن العداوة والبغضاء ليستا كلماتان مترادقتين، وذلك لأن البغضاء يصف شعورا في القلب يمكن إخفاؤه، أما العداوة فشعور في القلب وسلوك ظاهر لا يمكن إخفاؤه. ولو كانتا مترادفتين لما كانت هناك حاجة لإضافة إحداهما إلى الأخرى. ومما يدل على أن العداوة لا تقتصر على الشعور في القلب قوله تعالى: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الممتحنة:٢]. فهذه الآية تصف كلمتي ﴿عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الممتحنة:١] التي وردت في الآية السابقة.

٢ - قلت "فأنت ترى أنّه صلى الله عليه وسلّم جمع بين ذمّ الرجل وبغضه وبين إلانة القول له ومعاملته بلطف".

نعم جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين وصف حقيقته والتحذير منه (وليس ذمه)، كما في صحيح مسلم، ولم يمدحه النبي صلى الله عليه وسلم، ولا ذُكر أنه أثنى عليه في وجهه ولا في قفاه إنما تألفه بشئ من الدنيا مع لين الكلام. (تعليق النووي على صحيح مسلم) وقد اشتبه هذا الحديث على البعض فاحتج به على جواز النفاق أو التقية، وفات عليهم أن النبي صلى الله عليه وسلم مسؤول عن المسلمين وسلامتهم، ومن واجبه تحذيرهم من مخاطر مثل هذا الشخص. وقد

أحسنت، أخي أحمد، إذا أوردت تعليق القاضي الذي أورده النبوي في تعليقه على الحديث.

ويحتج البعض على التقية الشيعية التي توجب إظهار المحبة للأخرين مع بغضهم في الحقيقة، أي الجمع بين متضادين بقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران:٢٨]. ولكن البخاري يشرح هذا الاتقاء بمثال يستند فيه إلى قول الصحابي "كنا نكشر في وجوههم وقلوبنا تلعنهم". والرخصة تقتصر على التعامل مع من نخشى شره، أي المعادين الذين لا نقدر عليهم. ويقصر ابن عباس رضي الله عنه التقية هنا على القول دون العمل[1]. وشتان ما بين هذا التفسير للاتقاء الاضطراري وبين القول بأن القاعدة في التعامل مع غير المسلمين هو الإحسان إليهم قولا وعملا، مع بغضهم وعداوتهم في الباطن. فالإسلام أرفع من أن يعلم المسلمين النفاق، في التعامل مع الآخرين، ولاسيما إذا كانوا من المسالمين.

أما نقاط الاختلاف:

١- تقول "فالولاء شرعا يقتضي المحبة والنصرة، هذا لا شك فيه".

وأتساءل: من يحدد المعنى الشرعي بعض المفسرين أو الفقهاء أو القرآن الكريم؟ فإذا كنت توافق أن السلطة العليا في تحديد المدلولات الشرعية هي للقرآن، فإن الله في الوقت الذي ينفي فيه وجود الولاء تماما، يثبت ضرورة النصرة، صراحة والمحبة ضمنيا. يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ [الأنفال:٧٢].

٢- قلت "والعداوة ...، وقد يكون لها أثر ظاهر...، مثل مجاهدة الكافر والإغلاظ له، وقد لا تقتضي إظهارها ... ويجوز كتمها لمصلحة شرعية كما في المسلم

(١) وانظر مثلا تفسير ابن كثير.

المتزوج كتابية، وكما في المسلم الذي والداه مشركان، فلا يلزم من عدم إظهارها أن لا توجد أصلاً"

أقول: هناك مشكلتان في هذا القول: ١) إما أن تعتبر العداوة شيء باطني، يمكن إخفاؤه مثل المحبة والمودة والرحمة، فتجمع بين شعورين متضادين تماما. لأنك تقول بعداوة الكافر، وإن كان زوجة أو أحد الوالدين، أو محايدا أو مساندا، وقد أثبت الله حب النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦] وأثبت المودة والرحمة بين الزوجين بدون استثناء. ٢) وإما أنك تعتبر العداوة سلوكا ظاهرا، وليس شعورا قلبيا، يمكن إخفاؤه، فتقول بأنه يمكن الجمع بين العداوة الظاهرة (مجاهدة الكافر والإغلاظ له) والمحبة القلبية للمسالمين من غير المسلمين أوالمساندين للمسلمين!

٣- وقلت "فالباحث الذي أشرتَ إليه توسع في بحث الدلالة اللغوية للفظ التولي والولاية، ثمّ فسر نصوص النهي عن تولي الكافر بها وهذا عين منهج المبتدعة في الانحراف بمعاني النصوص، وحسناً فعلت الجهات المختصة بسحبه".

وأقول لو رجعت إلى حواشي التعريف الذي توصّل إليه الباحث لعلمت أن الباحث أشار إلى المدلولات اللغوية، ولكن اعتمد على تعريف القرآن الكريم نفسه لتلك المفردات، حتى يتمكن من إقناع العلماء بالمفهوم الذي يخالف المفاهيم السابقة، التي جعلت التعاليم الربانية، فيما يخص العلاقة مع غير المسلمين، تبدو متناقضة. وللتأكد شخصيا من هذه الحقيقة يمكنك الحصول على البحث المنشور في الإنترنيت، بعنوان: "حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين". ويعود السبب في هذا الخطأ إلى تكاسلي في نقل مضمونات الحواشي إلى داخل النصوص بين قوسين، وذلك بدلا من جعلها مستقلة فيتعارض مع مبادئ التصاميم الصحفية، فيكون حكمها الاستغناء عنها.

٤ - تقول "غفر الله لك يا دكتور... تحكيم اللفظ اللغوي على الحقائق الشرعية ليس طريقة أهل العلم". وكررت المقولة التي تخلط المصادر المقدسة

واجتهادات البشر، حيث قلت مثلا:" الأصل عند بيان الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان". وقلت: "ولهذا تجد المعتزلة والمرجئة والرافضة وغيرهم من أهل البدع ...لا يعتمدون على أحاديث النبي والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، فلا يعتمدون لا على السنة ولا على إجماع السلف وآثارهم ... وتجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة والحديث، وآثار السلف وإنما يعتمدون على كتب الأدب وكتب الكلام التي وضعتها رؤوسهم، وهذه طريقة الملاحدة أيضاً".

وأقول: وغفر الله لك، أخي أحمد، ولجميع من نحب ولهم حقوق علينا. لا يمكن الاستغناء عن اللغة في فهم النصوص، سواء أكانت مقدسة أو غير معصومة. نعم ينبغي عدم الاقتصار عليها، كما أنه ينبغي عدم الاقتصار على أقوال السلف الصالح. فمن المعلوم في أصول الاستنباط الاعتماد على ما ورد في القرآن وفي السنة واللغة، ثم أقوال العلماء. وهناك ضرورة للفصل بين المصادر المقدسة المعصومة، عند الحديث عن مصادر التشريع الإسلامي، وبين الاجتهادات البشرية غير المعصومة. ويبدو أنك تجنيت على الباحث بأن شبّهته بأهل البدع والملحدين، قبل أن تتأكد من مصادر تعريفه.

الخلاصة في العلاقة بين المسلمين وغيرهم

لعله من حق المعنيين بهذه القضية أن أقدم لهم القاعدة العامة في قضية العلاقة بين المسلمين وغيرهم، ولاسيما أننا نعيش عصرا تستحيل فيه العزلة، وذلك لتشابك المصالح وتداخلها.

استنادا إلى الأبحاث المفصلة في الموضوع، يتبين لنا عدد من الحقائق تتمثل في النقاط التالية:

أولا: القاعدة الأساسية في العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين هي أن الإسلام يدعو إلى السلام الشامل في الدنيا والآخرة. ولكنه يحث المسلمين على

التعاون مع الغير لتحقيق السلام المحدود في الدنيا حتى إذا رفضوا التعاون لتحقيق السلام الذي يشمل الحياة الأبدية في الآخرة. والسلام هنا يعني أن يعمل كل فرد على إسعاد نفسه والآخرين ولكن بدون إكراه لهم على ما يعتقدوا أنه الخير. فالتعامل بين المختلفين هنا هو تعامل بين الأنداد وليس بين وصي وموصى عليه.

وبعبارة أخرى، فإن الإسلام لا يُكرِه المخلوقات المكلفة على الحق، ولكن يحثها على قبوله والالتزام به.

وهذا الاتجاه إلى السلم لا يعني أبدًا استسلام المسلم لغير المسلم الظالم والتخاذل أمامه، ولكن عليه التعامل معه بما يتناسب مع أقصى قدراته والظروف المحددة التي يفرضها الواقع ومنها ما يفرضه المعتدي، ولا تقتصر وسائل الدفاع على الوسائل العنيفة ولكن تشمل اللجوء إلى القانون وإلى المنصفين من ذوي النفوذ وإلى الدعاء.

ثانيا: انطلاقا من القاعدة الأساسية، ينقسم غير المسلمين إلى: معادين، أو مساندين للمسلمين، وبين الفئتين محايدون: علموا بالدعوة ولكن اختاروا رفضها لأنفسهم، أو لم تصلهم الدعوة بتاتا أو كما ينبغي. وبما أن التعاليم الربانية غير متناقضة فإنه يضع أحكاما خاصة للتعامل مع كل فئة بما يناسبها. وقد يبدو على بعض النصوص شيئا من التعميم، يزول بمجرد الرجوع إلى السياقات الخاصة لتلك النصوص أو العامة المتمثلة في القاعدة العامة والنصوص التي تستند إليها، وعلى رأسها ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦].

ثالثا: كلمة "الولاء" لا تقتضي المحبة والنصرة...، ولكن تسليم زمام الأمر إلى طرف آخر، طواعية أو إلزاما. ولا تقتضي كلمة "البراء" العداوة والبغضاء، إنما تعني قطع الصلة بين شيء وآخر أو إنسان وشيء، أو إنسان وإنسان، في شيء محدد. ويمثل الولاء طرفا من معيار مستقيم، ويمثل البراء الطرف الآخر، وبينهما منطقة محايدة، لا ولاء ولا براء. قد يكون اللامبالاة أو الإشفاق والرحمة. وكان شعور النبي صلى الله عليه وسلم تجاه الكافرين الإشفاق عليهم، وليس البغض والعداوة، والآيات التي تؤكد هذه الحقيقة كثيرة.

:----------:----------:----------:

الولاء منطقة محايدة البراء

وهناك ولاء عام يشمل أمور الدنيا والآخرة لا ينبغي أن يكون إلا لله سبحانه وتعالى ولحزبه. وهناك ولاء خاص بمعنى منح الآخرين نوعا من السلطة والوصاية الجزئية في بعض الأمور الدنيوية فقد يكون لغير المسلم ولاية على المسلم، مثلا في مجال التعليم، والطب، والهندسة...

وهذا المفهوم للولاء والبراء يفسر لنا منح النبي صلى الله عليه وسلم نوعا من المحبة لعمه الكافر، ووضع أقصى صورة من الثقة في كافر، حيث وضع نفسه وصديقه أبا بكر الصديق في يد ابن الأريقط، الذي كان مشركا، عند هجرتهما من مكة إلى المدينة المنورة، مطاردين مع عظم مكافأة قريش لمن يأتي بالنبي إليها. فالمحبة درجات، منها ما هي خاصة بالله، ومنها بالنبي، ومنها بالأم، ومنها بالولدين...ومنها ما يجوز للكافر المساند، والزوجة، والمحايد...

رابعا: انطلاقا من القاعدة العامة، فإن الإسلام يشجع على تعزيز الروابط المختلفة الموروثة والمكتسبة بين المخلوقات المكلفة مادامت تلك الروابط تحقق للإنسانية الخير في الدنيا بدون تفريط بخير الآخرة بالنسبة للمسلم، أو تحقق الخير في الدارين للجميع.

خامسا: انطلاقا من القاعدة العامة، فإن الإسلام يدعو إلى الإنصاف وإلى الصدق وتجنب التعميم للسلبيات أو الإيجابيات، ويقضي بالاعتراف بحقوق وواجبات كل صنف من المخلوقات المكلفة والتعامل معه بالطريقة المناسبة التي تجسد العدل والإنصاف، وإن كان هناك أسباب للبغض. (المائدة: ٢).

سادسا: يشجع الإسلام التعاون بين المسلمين وغيرهم بطلب المساعدة من المسالمين منهم وبمساعدتهم. ويجيز للمسلم الإقامة في البلاد غير الإسلامية ما دام يملك حرية ممارسة دينه، ويحثه على أن يكون مواطنا مسلما صالحا.

سابعا. يشجع الإسلام الحوار بين أتباع الأديان المختلفة للتعارف بينهم لتنمية التعاون بينهم في الأمور الدنيوية المشتركة الكثيرة، كما أن دعوة الأنبياء أقوامهم إلى الدين القويم ليس إلا خطوة أولى للحوار.

هذا، والله أعلم، وأسأله التوفيق والسداد في الأمور كلها وفي الظروف كلها.

سعيد صيني

دكتور أحمد. على رِسلك. إذا غضبت للحق

هل الهدف النصيحة أم التوبيخ و...

أقول لأخي الدكتور أحمد

أرجو أن تتأمل ما كتبت، لأن حبي الخير لأخي المسلم، وإشفاقي على الكافر وإن أساء، لم يسمح لي بتجاوز ما كتبه دون تعليق.

لقد قلت الدليل والحكم رأسا على عقب. الخاص جعلته عاما، والعام "الطبعي" الفطري جعلته خاصا.

أخي الكريم:

أولا - كأنك لم تتنبه إلى أن قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة:٢٢]. خاص بمن يحادون الله ورسوله. وأغلبية الكافرين حتى هذا اليوم لا يحادون الله ورسوله، ولكن لا يؤمنون بالإسلام لأننا نحن المسلمين، بدلا من بذل الجهد لدعوتهم إلى الإسلام، ننصب أنفسنا قضاة، بدلا من رب العالمين، يحكم عليهم بوجوب بغضهم وعداوتهم.

ثانيا – قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة:٢٣، ٢٤].

هذه الآية خاصة باللذين يحبون الكافرين أكثر من حبهم لله وسوله وجهاد في سبيله.

ثالثا - ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤]. موقف إبراهيم عليه السلام من قومه وأبيه خاص بمن بدؤوا المؤمنين بالمعادة، ولم يقتصروا على رفض الدعوة. وانظر مثلا استبانة أي الرأي ترجح؟ المنشورة في منتدى عبد العزيز قاسم قبل يومين.

رابعا - ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة:٥١، ٥٢] فسياقها يبدأ من الآية الثانية عشرة، بل يكفي أن تعود إلى الآية ٤١، حيث يحكي الله قصة اليهود والنصارى والمنافقبن منهم وما فعلوه بأنبيائهم وما يكيدونه للإسلام.

قلت: "والخاص كما هو معلوم لا يلغي العام ولا ينسخه وإنما يخصصه، فغاية ما في أدلة المستدلين -بجواز حب غير المحارب- جواز محبة العم والزوجة الكتابية فمن أين لهم إطلاق المحبة لكل كفار الأرض غير المحاربين، وما فعلوه يعد عبث بالنصوص فقد آتوا على آيات عامة (بغض وعداوة الكفار) وجعلوها خاصة بنوع أحدثه الفقهاء بعد نزول القران بسنين أو خصصوها بمحبة دين الكافر مع أن الآيات واضحة تنص على محبة شخص الكافر ولم يأتي فيها ذكر لمحبة دينه، ثم آتوا على آيات خاصة (محبة العم والزوجة الطبيعية) وجعلوها عامة في كل الكفار غير المحاربين، وهذا عبث ظاهر.

وقلت: "وأهل السنة يرون أن الحب في الحالتين حب طبعي لا محظور شرعي فيه...".

والسؤال: هل الصفة "الطبيعية،، و"حب طبعي" هو الخاص مع أن خالق الكون جبل بني آدم جميعا عليها، أو أن الخاص هي الصفات التي قد يكتسبها البعض، وربما قلة، من بين المسلمين والكافرين؟

أعتقد أنه لا يشك اثنان أن الطبيعة الفطرية التي أثبتها كتاب الله هي العامة، وما يخالفها هو الخاص، وهو في سياق هذه المناقشات، هي "البغض والعداوة للكافرين جميعا، وإن أحسنوا إليك"، مع عدم وجود دليل قطعي الدلالة عليه، ولكن هي استنتاجات بشرية...

قلت: "وما فعلوه يعد عبث بالنصوص"، و"وهذا عبث ظاهر".

أخي أحمد القايدي، على رِسلك. إذا غضبت للحق، فتأكد من الحق أولا، ثم اغضب له، ولكن جادل بما أمر الله واتبع سنة سيد المرسلين في الدعوة، فهذه العبارات لا يقرها الكتاب ولا السنة.

أخوك في الله

سعيد صيني

٩/ ٧/ ١٤٣١هـ

ثلاث غاضبون أخيهم سعيد صيني

كنت توقفت عن تصفح مواد المنتدى لحاجتي إلى التركيز على الموضوع الذي أبحث فيه. وبعد أن أنجزت قدرا يرضيني مؤقتا، تصفحت مشاركات المنتدى، فوجدت ثلاث رسائل موجهة إليّ شخصيا.

وأعتذر عن تجاهل التجاوب معها لفترة، كما أعتذر إن كان في أسلوبي عند التعقيب على مشاركات الأعضاء الأعزاء شيئا يستثير غضبهم عليّ، ولا أقول بغضهم لي أو حقدهم عليّ في نفوسهم. فأنا واثق أن اخوتي أو أبنائي الكبار أرفع من أن يقعوا في مثل ذلك.

ومع اعتذاري عن الأسلوب الذي أثار بعض الإخوة الكرام، أرجو تنبيهي على الأسلوب الذي أثارهم واضطرهم إلى الكتابة بالأسلوب الذي ظهرت فيه مشاركتهم الأخيرة. وأما عن المضمون (الأدلة وطرق الاستدلال) فالأمر ليس في يدي، لأني

في حاجة إلى تبرئة ذمتي أمام رب العالمين. ولكني أعد الغاضبين عليّ بالتوقف عن المشاركة في هذا الموضوع من أجلهم.

وقد ظهر الغضب واضحا في هيئة التقوُّل على أخيهم الأكبر سنا بما لم يقله، وتهمته بالتحريف للنصوص وبالتأثر بضغط الواقع الإسلامي وانهزاميته، وجعله مستحقا للشجب والنكير الشديد على مسلكه:

يقول أحدهم: "عجب أمر أستاذنا الفاضل يبيح كره الكفار وبغضهم لأجل أمور دنيوية إذا اعتدوا على الأرض أو سرقوا الخيرات".

ويؤيده الآخر: "من العجب أنّ البعض يعتبر الكافر المحارب عدوا يجب بغضه، لأنّه اعتدى على دنيانا وضرّنا فيها"... و"يؤسفني أنّ الدكتور سعيد وغيره من باب أولى وقعوا في تحريف النصوص وتقييدها بقيود من عند أنفسهم، لم يقل بها الله ولا رسوله، وإنّما مجرد الرأي والاستحسان اللذين لا يخفى على قارئ كلامهم تأثره بضغط الواقع الإسلامي وانهزاميته".

وهتف ثالث بحرارة للهجوم الذي شنّه الاثنان السابقان، فقال: "أشيد بما قدّمه الشيخ...في الرد على فضيلة الشيخ الدكتور سعيد الصيني... وكذا الدكتور... جزاه الله خيراً على ما قدم. "..." ألا إني أشجب مسلك الشيخ الدكتور سعيد الصيني. وأعلن نكيري الشديد على هذا المسلك من واقع عملي".

وما أورده الإخوة الكرام تقوُّل وتشجيع عليه، لأن ما قلته في الاستبانة، هو:

"وأما إذا عادوا الإسلام أو المسلمين من أجل دينهم، فعلينا تقع مسؤولية الدفاع، وينبغي أن نجتهد في إعداد أنفسنا بالوسائل اللازمة للدفاع عن ديننا وأنفسنا، وذلك بدلا من محاكمة الآخرين على اختيارهم، ومعاقبتهم ببغضهم وعداوتهم، ولم يعتدوا إلا على أنفسهم". ينبغي أولا أن نحاكم أنفسنا على تقصيرنا في واجب الدعوة، وفي الاجتهاد والعمل بإخلاص لرفع الذل والهوان عن أنفسنا.

وأرجو أن تكون قراءتنا لنصوص كتاب الله ولسنة نبيه أكثر دقة... وأما عن التعاون الثلاثي في الهجوم فأذكّر بقوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا...﴾

[المائدة:٢] كما أسأل الله تعالى أن يعصمنا جميعا من الظلم الذي يؤدي إلى الإفلاس يوم لا ينفع مال ولا بنون...

ومعذرة لأن أقول بأني في حاجة إلى الدعاء المخلص بالتوفيق والسداد، أكثر من حاجتي إلى التقدير اللفظي... فطلابي وطالباتي يعرفون أني أسمي الشهادات الرسمية "رخص سواقة"، لأنها في أفضل الأحوال، لا تعكس إلا الحد الأدنى من المعرفة. وأما كلمة "شيخ" كما علّق عليه أحد المستجدين في تعلم العربية "انتم تسمون المفتي شيخ، والفوال شيخ، والصبي الشقي شيخ، وحتى القطة تسمونها شيخة". قلت كيف؟ قال عند الفوال سمعت شخص يقول للفوال "يا شيخ أخرتني"، واقتربت القطة من الفوال تطوف حوله، فصاح فيها "ياشيخة حلي عني"، وأنا عائد من الفوال رأيت صبيا شقيا يؤذي آخر. فصاح فيه الآخر "يا شيخ، روح، فُكّنا من شرك".

وبصفة عامة، رغم اقتصار الاختلاف على ضرورة بغض الكافر، والاضطرار إلى الجمع بين متضادين، وجدت من مراجعاتي المتعددة للمشاركات استحالة الوصول إلى اتفاق للأسباب التالية:

اختلاف درجات الحرص على القراءة في الموضوع، والفهم، والتخلص من المعتقدات الراسخة في الأذهان لاشعوريا، وللاختلاف حول اعتبار الحوار مساجلة: إما انتصار أو هزيمة وانتقام...

اختلاف درجات الإلمام بأصول الاستنباط، من الكتاب والسنة، ودرجات تطبيقه، ولاختلاف درجة سيطرة العقل على العاطفة أثناء الحوار.

وأقدم شكري لكل من شارك في هذا الحوار، ولمن وفّر هذا المنتدى، وذلك لأني استفدت من جميع المشاركات، بدرجات متفاوتة وبطريقة وأخرى، في توسيع مداركي حول الموضوع، وفي التعرف على جوانب من الواقع كنت لا أتخيلها. وأرجو أن يثيبنا الله بأفضل من نياتنا وجهودنا.

وأرجو أن يسمح لي أعضاء المنتدى أن أورد ثلاث نصوص (من النصوص العديدة) التي تصور الموقف الحقيقي لرب العالمين وأنبيائه الكرام تجاه المخلوقات المكلفة، ما داموا على قيد الحياة، أي أثناء فترة الامتحان. فإن الذكرى تنفع المؤمنين، وأرجو أن نكون جميعا منهم. ثم أطرح سؤالا لا نحتاج للإجابة

عليه إلا إلى الذكاء والفطرة السليمة، ويمكن للكبار والصغار والذكور والإناث الإجابة عليه، دون الحاجة إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة. والنصوص هي:

يروي عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه قُدِم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسبى، فإذا امرأة من السبى تبتغى إذ وجدت صبيا فى السبى أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله «أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار». قلنا لا والله وهى تقدر على أن لا تطرحه. فقال رسول الله «لله أرحم بعباده من هذه بولدها» [١].

وتقول عائشة رضي الله عنها "أنها قالت لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: هل أتى عَلَيْكَ يَوْمٌ كان أَشَدَّ من يَوْمِ أُحُدٍ. قال لقد لَقِيتُ من قَوْمِكِ ما لَقِيتُ وكان أَشَدَّ ما لَقِيتُ منهم يوم الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي على بن عبد يا ليل بن عبد كُلَالٍ فلم يُجِبْنِي إلى ما أَرَدْتُ. فَانْطَلَقْتُ وأنا مَهْمُومٌ على وَجْهِي فلم أَسْتَفِقْ إلا وأنا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ. فَرَفَعْتُ رَأْسِي فإذا أنا بِسَحَابَةٍ قد أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فإذا فيها جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فقال: إِنَّ اللَّهَ قد سمع قَوْلَ قَوْمِكَ لك، وما رَدُّوا عَلَيْكَ، وقد بَعَثَ الله إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قال: يا محمد ... إن شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عليهم الْأَخْشَبَيْنِ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله من أَصْلَابِهِمْ من يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئا. وقال عبد اللَّهِ ابن مسعود كَأَنِّي أَنْظُرُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم يَحْكِي نَبِيًّا من الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ وهو يَمْسَحُ الدَّمَ عن وَجْهِهِ وَيَقُولُ: اللهم اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ[٢].

وينطلق السؤال من قول نبي رب العالمين "فَوَ اللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُل وَاحِد خَيْرٌ لك من حُمْرِ النَّعَمِ"[٣]. يؤكد نبي رب العالمين، وليس المكتب العقاري أوبائع الأسهم، يؤكد بأن مهمة دعوة الكافرين إلى الإسلام فرصة استثمارية عظيمة، لا

(١) البخاري:٥٩٩٩، مسلم: ٧١٥٤.

(٢) البخاري ج ٣:، ١١٨٠، ١٢٨.

(٣) البخاري ج ٣: ١٠٧٧.

مثيل لها، يكسب بها المسلم أجر أداء واجب الدعوة، وأجر الدال على الخير، إن أسلم الكافر.

والسؤال هو:

تصوّر أنك لا تريد تفويت هذه الفرصة لتكسب العملات الصعبة (الحسنات) التي لا تنفع في الحياة الأبدية سواها. ورأس مالك هو الكافر، ومكسبك هو إسلامه، فهل من الكياسة في الاستثمار أن:

- تبغضه وتعاديه وتنفره وتعسر عليه الإسلام؟
- تبغضه وتعاديه، في الباطن، وتبره وتعدل معه في الظاهر، أي تستخدم معه النفاق، مع احتمال انكشاف مشاعرك الحقيقية؟
- تشفق عليه وتتمنى له قبول الإسلام وتبذل قصارى جهدك ووقتك ومالك ليسلم؟

وهناك موضوع آخر أريد مشورتكم فيه. لقد جاءتني فرصة نشر خلاصة هذه المحاورات بعنوان "حوار حول حقيقة العلاقة بين المسلمين وغيرهم"، وأقترح الإشارة في المقدمة إلى أنه حصاد مشاركات المعنيين في الموضوع في منتدى الدكتور عبد العزيز قاسم، وشارك فيه، حسب الترتيب الأبدي لاسم العائلة.

ولهذا، أرجو أن من لديه دليل نقلي مباشر يسند الرأي الذي يؤيده ولم يرد في الاستبانة أن يزودني به، وأعتذر عن قبول الأدلة العقلية لأنها لا تناطح الأدلة النقلية الثابتة الصريحة. كما أرجو توضيح الاسم الأول واستكماله باللقب الذي يحبه لنفسه، وبالدرجة العلمية المتعارف عليها (د.، شيخ، مهندس...)

ولن أسند الأقوال إلى أصحابها، لأن الهدف هو تصوير الواقع، وليس التشهير أو للشهرة. ومع هذا للمشارك حق سحب اسمه.

ملاحظة: لم يعلق أحد على الاقتراح.

سعيد صيني

١٤٣١/٠٣/١٥هـ

الخطأ المتأصل في فهم "الولاء"

أخي الكريم الشيخ أحمد

أحبك الله الذي أحببتني فيه.

قرأت تعليقك، وعجزت عن الوصول إلى خلاصة منه للأسباب التالية التي حرصت أن تكون محددة، حتى لا يتشتت الموضوع، ويكون الاحتمال إلى الوصول إلى اتفاق فيه قويا:

١- قولك "...والمشروع له إن كانوا تحت قدرته أو كانوا في حالة سلم أن يرحمهم وأن يدعوهم ويتألفهم ويُحسن إليهم بل ويصبر على أذاهم، كل هذا مشروع للمسلم مع الكافر ترغيبا في الإسلام .." وهذا هو الصحيح.

ولكن عدت فقلت "فإن بلغهم الإسلام وأعرضوا فإن هذا لا يُحل الاعتداء عليهم في شيء لكن يجب بغضهم وعداوتهم بالقلب .."

وهذا فيه إشكال لاستحالة الجمع بين أساليب ووسائل تأليف القلوب مع البغض والعداوة بطريقة مشروعة في الإسلام. نعم، يمكن نظريا فقط الجمع بين القسط وإلإحسان إلى الكافرين عمليا وبغضهم في القلب، وإن كان هذا هو النفاق أو التقية عند اخوتنا "الشيعة". ولكن يستحيل أن يجمع الإنسان بين المعاملة الحسنة والعداوة، وذلك لأن "العداوة" عندما نعود إلى معاجم اللغة نجد أنها نوع من السلوك، لا تقتصر على البغض في القلب. فالجمع بينهما إذا تم تجسيده يشبه أن يغازلني شخص: "يا عيني ويا روحي" ويعطيني لكمة أفقد معها صوابي!

٢- وتقول "الحب في الله والبغض شيء آخر لا علاقة له بالاعتداء .." أي أن الاعتداء مختلف عن البغض. ولكنك تعود فتقول ما يشير إلى أنهما مترادفان: ضرورة "معاداة الكافر وبغضه ولو كان ذا منفعة وخلق حسن .."

والمشكلة كما أشرت أنت في موضع آخر في "باب الولاء والبراء ... وإنّما في سوء فهمه".

فقد فهم كثير ممن كتب عن الولاء والبراء سواء من اللغويين أو الفقهاء أن كلمة "الولاء" تقتضي المحبة والنصرة للطرف الآخر، وأن كلمة "البراء"، ضدها وتقتضي البغض والعداوة. وهذا الخطأ الشائع ترد عليه أدلة كثيرة تم إيرادها في كتاب "حقيقة العلاقة بين المسلمين غير المسلمين" الذي صدر قبل حادثة ١١ سبتمبر، وأوصت لجنة من هيئة كبار العلماء بمصادرته من الأسواق. وكان السبب في مصادرته أن المؤلف خرج بمفهوم لهما ينقض الفهم الشائع والمألوف، ويثبت أن أصل العلاقة بين الداعية المسلم والمدعو الكافر هو السلم، ما بقي رد فعل الكافر سلميا.

وما دامت المشكلة تكمن كما أشرت في سوء فهم الولاء والبراء، فقد توصل باحث من استقراء النصوص القرآنية والأحاديث النبوي إلى أن الولاية تأتي كلمة "الولاء" ومشتقاتها في معاجم اللغة العربية بعدد من المدلولات. ومنها: الوليّ بمعنى الناصر، والحليف، والوارث، ومن له سلطة، أي وِلِيّ الأمر. ويلاحظ أن المدلول الأساس للكلمة ولمشتقاتها هو وجود نوع من سلطة ووصاية لطرف على طرف آخر. ويمكن أن نطلق كلمة"مولى" و "ولي" على الطرفين[١]. ويلاحظ أنه لا فرق بين الوِلاية بالكسر والوَلاية بالفتح في المعنى الأساس[٢]. وترد كلمة "الولاء" ومشتقاتها في القرآن والسنة بالمدلولات نفسها وتنقسم إلى نوعين رئيسيين. وانظر الزفرة السابقة بعنوان "الخطأ المتأصل في فهم "الولاء". لحقيقة الولاء وحقيقة البراء، وللعلاقة بينهما.

سعيد صيني

٢٠/ ٢ / ١٤٣١

(١) ابن منظور، لسان العرب، ولي؛ وانظر أنيس وزملاؤه، الموالاة، والموالي.

(٢) وانظر مثلا ابن منظور والأقوال التي أوردها ولاسيما لابن سيدة،، والأزهري، والفراء، وسيبويه حيث يقول: "الوَلاية بالفتح المصدر، والوِلاية بالكسر الاسم مثل الإمارة والنقابة، لأنه اسم لما توليته وقمت به فإذا أرادوا المصدر فتحوا".

قول ابن تيمية والكافر تجب معاداته وإن أعطاك

لقد شدني الشيخ بندر الشويقي، برأيه وبحماسه الشديد له، على مقال الدكتور حمد الماجد كما شدني النقاش عشرات المرات مع المختصين في هذا الموضوع. ولهذا أقول وبالله التوفيق:

قلت: "ما أودُّ البدء بذكره والتذكير به هنا: أن من صالح التسويق للمبادئ الإسلامية أن يحافظَ على نصاعتها، وأن تصان من التحريف والتبديل المتعمَّد وغير المتعمَّد، ما كان منه بحسن نيةٍ، أو بسوء نيةٍ".

وهذا الكلام من ذهب، ولكن ينطبق على جميع المسلمين وعلى رأسهم المتخصصين في شرح كلام الله وسنة رسوله للناس.

وقلت: "ولا بد من التنبيه هنا إلى أن: هذا الشعور بالكره والبغض والنفور، لا يستلزم التعدي وانتهاك الحقوق. بل لا ينافي مشاعر الشفقة والرحمة والرغبة في الإحسان. فمن الممكن أن تكره السكير العربيد سيء الأخلاق، وتنفر من مجالسته، أو الحديث معه، أو حتى رؤيته. وفي الوقت نفسه تشفق عليه، وتأسى لحاله، وربما تحمل نفسك على ما تكره، فتحادثه وتعظه وترغبه في الخير".

كأني بك جمعت بين شعورين متضادين: الشعور ...بالبغض.. ومشاعر الشفقة والرحمة. فهل يمكن الجمع بينهما في قلبك تجاه إنسان بعينه وفي اللحظة نفسها؟ في اعتقادي، لا بد أن يسيطر أحدهما على الآخر، أو أن تجمع بين بغض عمله والشفقة عليه هو.

قلت: "...كراهية الكافر بالله والنفرةِ منه. لكن مع ذلك، قد تأخذه الرأفة والشفقة على ذاك الكافر المكروه، فتراه يحسن معاملته، ويترفق به، ويرغبه في دين الحق، عله ينجح في إنقاذه من الكفر. لكن هذا السلوك شيءٌ لا علاقة له بالحب والكره، أو الألفة والنفرة.

وهو قول ينطبق عليه ما سبق، غير أنك تضيف إليه حسن المعاملة، أي بغض في القلب ومعاملة حسنة في الظاهر. وهذا يعني: إما الرفق به حقيقة، فكفة الشفقة ترجح على كفة الكراهية له، وإما تظاهر بالخير بعكس الشر الذي نبطنه له...

قلت: "إن لم يبغض ويكره وينفر، فلا ريبَ أنه قلبٌ محجوبٌ عن حقائق الإيمان، بل محروم من حلاوته ولذته التامة: (لا يجدُ أحدٌ حلاوةَ الإيمان حتى يحبَّ المرءَ لا يحبه إلا لله..)" لقد أثبت رب العالمين للنبي صلى الله عليه وسلم حبه لعمه هل ينطبق حكمك عليه؟ أو أن الأمر أنّ منح الكافر درجة من درجات المحبة جائز، ولكن كراهية كفره واجبة، ولهذا يحرص الداعية، خاصة، على هداية الكافر تجاوبا فطريا مع المحبة للكافر أو الإشفاق عليه، وطمعا في كسب الأجر العظيم من الله؟

قلت: "أما إمامُ الإسلام الآخرُ ابن تيمية، فكان يقول: "ليُعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك. والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك".

وللحقيقة، شدّت هذه المقولة انتباهي، ولاسيما أنها منسوبة إلى العلامة الذي تميّز بتسخير العقل لخدمة الحق والشريعة إلى درجة قَلّ من يصل إلى مستواه. فصعب عليّ أن أتصوره يقول بأن رب العالمين يعلم المسلمين الجحود والنكران. فابن تيمية لا يخفى عليه أن رب العالمين وصى بحقوق الوالدين الكافرين﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت:٨] (١)، وأحسن تأديب نبيه، حتى أنه قال اعترافا بإحسان في حياته في شأن أسرى بدر: "لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له". (البخاري: فرض الخمس، ما من النبي؛ وانظر تعليق العسقلاني).

(١) وانظر لقمان: [١٤ - ١٥].

ولهذا أمضيت ساعات للبحث في مؤلفات ابن تيمية عن هذا النص فلم أجده فلعلك نقلته عن أحد المؤلفين، ولس من مؤلفاته. وأكون ممتنا لك جدا إذا دللتني على مكانه في إحدى مؤلفات العلامة ابن تيمية.

وتأكد أخي الشيخ بندر الشويقي أن السبب الرئيس في كتابة هذا التعليق هو أني متشوق لنقدك وتقويمك لكتاب "حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين".

وأرجو أن يجعلني الله وإياك وجميع الأحبة من المخلصين لهذا الدين العظيم بقلوبهم، وبجهودهم في فهمه ونقله إلى الآخرين، حتى لا نقول على الله ما لم يقله، ونكون سببا في ضلال كثير من المسلمين.

د.سعيد صيني

١/ ٣ /١٤٣١هـ

الفهد والولاء والبراء

ليسمح لي أخي الدكتور فهد أن أعقب على ما كتبه، بصراحة من يحب له ولجميع من هم على قيد الحياة الخير في الدنيا والآخرة، ولمن مات على الوحدانية في علم الله.

لقد بدا لي أنك كنت "عجلانا" عندما كتبت تعقيبك على الدكتور الضحيان للأسباب التالية:

١- عرضت أحكاما عامة تتعلق بمدلول الولاء والحب والبغض،.... وقضايا عقدية ذات أهمية عظيمة في الإسلام، مع أنك نسبتها إلى القرآن، ولكن لم تسند أحكامك العامة بأي نص من القرآن والسنة أو مراجع معتمدة. فبدت أحكامك وكأنها وجهات نظر شخصية تسندها الأدلة العقلية؟

فمثلا قلت: "وعامّة آيات القرآن في الكفار إنما يعلّق الحكم فيها بالكفر واستحباب دينهم على دين الإسلام وليست معلقة بالحرب والقتال، وأتمنى من الإخوة أن يستحضروها قبل كتابة مشاركاتهم".

٢- أقول نصيحة طيبة وكنت وددت لو أنك طبقتها لتكون قدوة لنا. وأعتقد أنه من المفروض أن لا نُعرِّف أي مفردة وردت في القرآن تتعلق بمثل هذه القضية العقدية إلا بالرجوع إلى القرآن الكريم والسنة الموثقة واللغة العربية، ثم إلى العلماء الذين بذلوا جهدا مخلصا في دراسة القرآن والسنة واللغة العربية.

٣- نسبت أحكامك العامة إلى الإسلام وإلى القرآن بعامة، ولكن هل قرأت في القرآن مثلا الآيات المتعلقة بالموالاة بدقة؟ بل هل تابعت ما وفّره الدكتور عبد العزيز قاسم من تعقيبات مثيرة ومفيدة في الموضوع؟ لقد سبق أن أجاب أحدهم على قولك، مثلا:

قلت: "وقد فسّر الأخ الكريم سليمان الضحيان الموالاة بأنها (النصرة والتعاضد) فقط، وفي هذا اختيار لبعض المعنى، فالموالاة تشمل النصرة والمحبة أيضاً كما هو معلوم، فالمحبة وصف من أوصاف الموالاة وليست الموالاة متعلقة بالنصرة فقط".

وأقول: ولوعدت إلى كتاب الله لو وجدت أن ما قلته يتعارض مع قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ﴾ [الأنفال:٧٢]. فالله تعالى في الوقت الذي ينفي فيه الولاية تماما يثبت النصرة صراحة والمحبة ضمنيا.

٣- طرحت سؤالا له وجاهته فقلت: "هل وقوع الإنسان في الكفر يجعله وصفاً مؤثراً لأن يبغضه المسلم في الله، أم أنّ الكفر عديم التأثير ولا قيمة له؟"

ولكن اعتقدتَ أن الإجابة الصائبة هي الجمع بين محبة الزوجة ومن يحسن إليك وبغضها في وقت واحد، حيث قلت: فمحبة الإنسان لزوجته أو لمن أحسن إليه لا يلزمه منها أن ينسى كفره وتعدّيه على ربه ...وهذا ينتج بشكل قطعي أن يبغضه المسلم وينفر منه".

فهل يمكن ذلك؟

وإجابة على سؤالك أقو ل: نعم للكفر تأثير، ولكن ليس البغض، بل الإشفاق عليهما والرحمة بهما، وبذل الجهد الصادق في هدايتهما، كما أمر رب العالمين بالحكمة والموعظة الحسنة، وكما كان يفعل رسوله الأمين، وأن نتألفهما بما هو مشروع وإن كانت وسيلة التأليف منحه شيئا من زكاة المسلمين، وأن نتبع سنة أنبياء الله والمرسلين في جهودنا هذه، وليس أن نبغضه لمجرد كفره. كما أكد الدكتور الضحيان في مشاركته.

وأما الكافر المعاند الذي يعادي الإسلام ويظلم المسلمين من أجل دينهم فعلينا محاولة تأديبه اضطرارا في حدود قدراتنا، على أمل أن يرى الحق يوما من الأيام فيهتدي. وينبغي أن نكون مع الذين احتجوا على البابا السادس عشر، بندكيت الذي اتهم الإسلام بأنه انتشر بالسيف. فالله سبحانه وتعالى يُكذِّبه وأمثاله. يقول تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦] يؤكد تعالى بصيغة الإثبات والنفي أن ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩﴾ [الممتحنة:٨، ٩].

سعيد صيني

تعليق المعمر على الماجد

لقد كنت مترددا في تناول الموضوع، وذلك لأني سأضطر فيه إلى مناقشة آراء علماء عظام، استفدت الكثير من علمهم الغزير. ولكن دفعني إلى المضي فيه أن أحدا من هؤلاء العلماء لم يدعي العصمة لآرائه، كما أني لا أدعي العصمة لمناقشتي لآرائهم.

إن المدقق في الخطاب الإسلامي الموجه إلى الآخرين وإلى دعاة الإسلام يلاحظ أن هناك أصواتا عالية وقوية متعارضة يمثل أحد أطرافها الرفض التام لغير المسلمين، ويمثل الطرف الآخر التسليم لبعض الأفكار المخالفة للإسلام.

ولعل قصة الطفل المسلم العربي، الذي يقيم مع والديه في بريطانيا، ترسم لنا صورة واضحة للرفض التام. لقد طلبت المعلمة من هذا الطفل-بعد أحداث ١١ سبتمبر- كتابة موضوع عن الجهاد، وذلك ضمن التدريبات على الكتابة للصف الرابع ابتدائي. فذهب الطفل إلى إحدى المراكز الإسلامية، وصوّر بعض الصفحات من مرجعين أو ثلاثة. وفي يوم تسليم الورقة، طلب منه الأب أن يريه ما كتبه، حُبّا في الاستطلاع. ففزع الأب مما قرأ، إذ ورد فيه ما ترجمته "نحن ندعو الكافرين إلى الإسلام ومن يرفض الإسلام نقتله".

ومن الواضح أن الطفل كان يعبّر بطريقته عن القول الموجود في الكتب التي توزعها بعض المؤسسات الدعوية على نطاق واسع.

والحقيقة، لا ألوم هذا الطفل على ما كتبه وإن كان قد حذف الألف من كلمة نقاتل لتصبح نقتل في ضوء لغته العربية المحدودة.

ولكني أقف حائرا أمام قول أحد المتخصصين في العقيدة، وهو يتحدث عن الولاء والبراء: "من كان كافرا وجبت معاداته من أي صنف كان". وأنه يجب "التقرب إلى الله ببغضه ومعاداته، وجهاده باللسان واليد بحسب القدرة والإمكان". ويضيف: إن "الكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك".

وهناك موقف شائع يعبر عنه هيكل، في ثلاث مجلدات، فيلخصه بقوله "تدل النصوص الشرعية على مشروعية الجهاد ضد الكفار لإعلاء كلمة الله... بغض النظر عن كون الكفار معتدين أو غير معتدين ما داموا يرفضون الدخول تحت الحكم الإسلامي، كلما كان ذلك ممكنا".

ويقسم كثير من علماء السلف الجهاد بمعنى القتال إلى نوعين، ويؤيدهم في ذلك كثير من المعاصرين: جهاد الطلب، أي مبادرة الكافرين بالقتال وغزوهم لرفضهم الإسلام، وجهاد الدفاع إذا تعرضّ المسلمون لأذى الكافرين.

ويقول أحد كبار العلماء إن بعض أهل العلم قال بأن آية السيف" ليست ناسخة لآيات الكف عمن كف عنا وقتال من قاتلنا، وليست ناسخة لقوله ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦]. ولكن الأحوال تختلف. فإذا قوي المسلمون وصارت لهم السلطة والقوة والهيبة استعملوا آية السيف وما جاء في معناها، وعملوا بها وقاتلوا جميع الكفار حتى يدخلوا في دين الله أو يؤدوا الجزية... وإذا ضعف المسلمون ولم يقووا على قتال الجميع فلا بأس أن يقاتلوا بحسب قدرتهم... وإذا صار عندهم من القوة والسلطان والقدرة والسلاح ما يستطيعون به قتال جميع الكفار أعلنوها حربا شعواء للجميع وأعلنوا الجهاد للجميع..."

ويؤيد عالم آخر هذا التوجه بشدة، حيث يقول "ومن المسلمين من دفعه الحماس لدينه المتهم بالقسوة والتوحش والإكراه إلى التعذر عن هذه التهم بتحريف آخر، دون أن يشعر، بسبب دهشته من الحملة الخبيثة على دينه وجهله وهزيمته النفسية. فكان الرد أن دين الإسلام ليس دينَ سيف ولا قتال ابتداء، وإنما هو دين دعوة وإقناع بالحجة والبيان، وإذا حمل أهله على القتال فإنما يحملهم عليه الدفاع عن أنفسهم..."

وانطلاقا من هذا التوجه يعمم كثير من العلماء القدامى والمحدثين - ولو بالكلام - قول النبي صلى الله عليه وسلم الموجود في صحيح مسلم "لَا تبدؤوا الْيَهُودَ ولا النَّصَارَى بالسَّلَامِ فإذا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ في طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إلى أَضْيَقِهِ".

ومع هذا فقد أقامت كلمات البابا السادس عشر دنيا كثير من المسلمين وعلمائهم ودعاتهم وكبار مسؤوليهم، عندما قال: "كان الإمبراطور يعلم بالتأكيد أن هناك آية في القرآن تنص على أن لا إكراه في الدين. وهي إحدى الآيات المبكرة

التي - كما يروي لنا أهل العلم - أتت في وقت كان فيه محمد نفسه ضعيفا ومهددا. ولكن الإمبراطور كان على دراية أيضا بالنصوص الأخرى المتعلقة بالجهاد والتي ظهرت في مرحلة لاحقة". لهذا قال الإمبراطور لمحاوره الفارسي: أرني ما الجديد الذي أتى به محمد؟ إنك لن تجد سوى الأشياء السيئة واللإنسانية، مثل فرضه نشر الإيمان الذي يُبشّرُ به بقوة السيف..."

إذا كان ما قاله البابا لا يختلف عن ما يقوله كثير من علماء المسلمين إلا من حيث طريقة التعبير، فإن هذا يدل على التناقض في فهم النصوص التي تحدد العلاقة بين المسلمين وغيرهم. وفي - أحسن الأحوال - يدل على عدم وضوحها في أذهان الكثير؟

والمشكلة ليست في وجود هذا الرأي، فالاختلاف في الآراء الفقهية أمر طبيعي، ولكن المشكلة في أن يكون هذا هو رأي كثير من ذوي النفوذ في المؤسسات الدعوية أو التي تقوم بتأهيل الدعاة إلى الإسلام.

ولو تأملنا ما يقوله القرآن الكريم والسنة بدقة سنجد أن التعاليم الإسلامية الخاصة بالعلاقة بين المسلمين وغيرهم متسقة. فهي تنطلق من قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ ، حيث منح الله سبحانه وتعالى لإبليس ليس حرية الاختيار في الدنيا فحسب، ولكن منحه أيضا فرصة إغواء المخلوقات المكلفة: الجن والإنس.

وهي في الأصل علاقة سلم، ووجوب دعوة أو حرص على إشراك الكافرين في نعمة الإسلام، وحب الخير لهم والإشفاق عليهم. أما الجهاد بمعنى القتال فهو للدفاع عن الإسلام وعن المسلمين.

فكلمة الجهاد في العربية تعني الرد على فعل يسبقه في الوجود، أي تعني المقاومة ومنها شهوات النفس التي تدفع المسلم إلى التقصير في اتباع أوامر ربه. والجهاد لا يقتصر على الحرب ولكن يشمل اللجوء إلى المحاكم وإلى وسائل الإعلام وإلى كل ذي نفوذ منصف، ويشمل الدعاء للضالين والدعاء على الظالمين.

ولو تأملنا في حالة السلام والحرب لوجدنا أن حالة السلام هي التي تحقق الخير للبشرية جمعاء، حتى من منظور الإسلام. فصلح الحديبية بشروطه وملابساته كان خيرا للإسلام وللدعوة إليه من حالة الحرب مع قريش.

وتأكيدا على حقوق الأخوة الإنسانية الموروثة يوجب الإسلام على المسلمين دعوة الآخرين إلى ما فيه النجاة من النار بإشراكهم في نعمة الإسلام.

كما أوجب الله عليهم الحرص على اتباع سنة الأنبياء والرسل عند أداء هذه المهمة، وذلك باستخدام الحسنى والحكمة والموعظة الحسنة والرفق الذي قد يكون ممزوجا بالاستعطاف. فقد كان من سنة الأنبياء والرسل مناداة الكافرين بالألقاب المحببة إليهم، مثل: يا أبت، يا بني، يا بني إسرائيل، يا أهل الكتاب، يَا عَمِّ"، يا أَبَا وَهْبٍ".

أما كلمة "الولاء" فعند مراجعتها في القرآن الكريم والسنة النبوية يجد المدقق أن مدلولها الأساس ينحصر في وجود نوع من السلطة والوصاية لطرف على طرف آخر.

ولا تتضمن بالضرورة المحبة القلبية والنصرة، حيث يمكن الجمع بين غياب الولاء تماما ووجوب النصرة. ويتضح –أيضا - من الآيات الأخرى أن الشفاعة، والوقاية، والإرشاد، والعِشرة الخالصة، ليست من المدلولات الأساسية للولاية؛ فهي مضافة إليها.

وينحصر المدلول الأساس لكلمة "البراء" في "الانفصال عن الشيء"، سواء أكان تهمة أو عيبا، أودَينا، أو عن الأصل كما في أبدع.

ولا تتضمن - بالضرورة - العداوة والبغضاء لمن يقوم بشيء يستوجب البراءة. ولهذا فإن البراءة من كفر الكافر لا يفوِّت علينا فرصة بذل الجهد والمال لإشراكه في نعمة الإسلام والحرص على ذلك. فالأصل أن يكون الشعور تجاه الكافر الإشفاق، وقد تضاف إليه المحبة الفطرية بسبب اختياري أو غير اختياري مثل الرحم والقرابة.

وأما حديث مسلم بعدم بدء الكافرين بالسلام وتضييق الطريق عليهم فقد قاله النبي صلى الله عليه وسلم عندما كان ذاهبا إلى بني النظير لمعاقبتهم على خيانتهم وغدرهم. وجاءت نصوص متعددة تقتصر الأمر على "اليهود" أو "يهود".

ونظرا لأن النقاش في الموضوع يطول، هناك حاجة إلى الرجوع إلى التفاصيل في الورقة الأصلية وفي كتاب علاقة المسلمين بغير المسلمين. ويمكن الحصول على البحث الذي يغطي أيضا نماذج من التسليم للغير بالكتابة إلى sisieny@hotmail.com

سعيد صيني

هل اقتصر رب العالمين على وصف اليهود والنصارى..؟

أخي الحبيب أبو أشرف

صحيح، لقد أخطأت في تقدير سنك، ولكن أعتقد أن أسلوبك الحماسي الأنيق في المشاركة الأولى تشير إلى أنك أكثر شبابا...

قلت:" ...أما وصف اليهود والنصارى بأنهم كفار فهو جزء من عقيدتنا (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل) فإذا كان ربنا سبحانه وتعالى يصفهم بالكفار ويلعنهم فماذا نسميهم نحن في المجمل".

أقول: ولكن هل اقتصر رب العالمين على ذكرهم ملعونين؟ لقد خاطبهم بأسماء عديدة، وبدون لعنهم، مثل يا أيها الناس، اليهود والنصارى، الذين كفروا، وبأسماء قبائلهم، قوم عاد، وثمود،... فهل يجوز لنا أن نصر على كلمة "الكافرين" والاقتصار عليها، كما فهمت من مشاركتك الأولى؟

قلت: هناك ضغوط من جهات خارجية تحث على تغيير مناهج الدول الإسلامية؟!!

أقول: نعم، هناك ضغوط، ولكن هل لأنهم يضغطون علينا لتصحيح فهمنا لديننا نُصِّر نحن على البقاء على الخطأ في فهم ديننا؟ يقول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة عندما علمه الشيطان فائدة آية الكرسي، "صدقك وهو

كذوب". وقال النبي "الكلمةُ الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها". (جامع الأصول ج ٨: ٩) ومدح الإسلام وتبنى كثيرا من المبادئ الأخلاقية التي كانت موجودة في الجاهلية. وبعبارة أخرى، الباطل ليس مؤهلا لأن يكون معيارا لتحديد الحق، أي القول بأن "الحق هو ما خالف رأي أهل الباطل". فالحق أسمى وأعلى من أن يكون الباطل حكما في تحديده. فالحق نعرفه ليس بمخالفته لما ينادي به أهل الباطل، ولكن بما حدده رب العالمين، وبما يتفق مع الفطرة السليمة.

قلت: ... بل وصل الأمر بهم إلى الدعوة إلى حذف بعض الآيات من القرآن الكريم!!!!!! هل هذا صحيح أم أن معلوماتي خاطئة؟ إذا كان صحيحا فإن قلقي أو غضبي أو حماسي في محله. أما إذا كانت معلوماتي غير صحيحة فأنا أعتذر عن غضبي ..

أقول: لا أدري يا أخي الكريم، إذا كنت قد تابعت النقاش الشيق المفيد حول موضوع بغض الكافرين وعداوتهم في المنتدى. لدي قناعة بأن أعضاء المنتدى قد ملوا الحديث عن هذا الموضوع. وعموما لا أخفي عليك أن فهم المسلمين وكثير من العلماء لنصوص الكتاب والسنة في هذا الموضوع، في العصور الإسلامية المختلفة، يقلقني منذ أكثر من خمس وثلاثين عاما.

قلت: والسؤال الكبير الذي يحتاج إلى إجابة شافية، هو: هل لدينا فكرة واضحة عما نريد من طلابنا، و ماذا نريد لهم؟! وسؤال آخر لا يقل أهمية عن سابقه: هل الصورة واضحة في أذهان من يقومون على وضع مناهجنا التربوية، فيما يتعلق بالفروق بيننا وبين العالم المتقدم - كما نسميه - وقد أصبح طموحنا يتركز في اللحاق به؟ وبمعنى آخر هل يفرق واضعوا المناهج بين التعلم للتعبد، والتعلم لإعمار الأرض؟!!!

وأقول: نعم، معك حق نقد بعض، وليس كل، المناهج الدينية، وقد تحدث الكثير عنها، منذ نصف قرن، ومنهم العلماء. وقريب من ِمثالك عن فائدة تعليم

أحكام الزكاة للفقراء، قول أحدهم: ما فائدة تعليم زكاة الإبل والغنم... ل"الحُضران" الذين يمثلون غالبية سكان المملكة من الموظفين، وأصحاب العقار والتجار والعمال والصناع..؟

سعيد صيني

وقفات مع مقالة أبي عمر حول الولاء والبراء

كثيرا ما أمتعنا الأستاذ أبو عمر بلفتات وتأملات جميلة، ويبدو أن له شعبية بين إسلامي التوجه.

ولكن وددت لو أنه تريّث قليلا وقرأ أكثر قبل كتابة هذا المقال في الرسالة رقم ١٠٤٠.

لقد أحسن عندما قال " ...وإنما الخطأ هو التهور في المغالاة في هذا الأمر حتى يجعل ماليس فيه قرائن مؤامراتيه مؤامرة، فهذا هو الخطأ، ولكن هذا الخطأ لا يعالج بإلغاء المفهوم القرآني والواقعي!"

فهناك من يبالغ فينسب كل هزيمة للمسلمين بأنها نتيجة لمؤامرة أعداء الإسلام والمسلمين، فيقال لهم وهل المسلمون حجارة شطرنج يلعب بها المتآمرون من "الكفرة" بتلك السهولة؟

وقد أحسن إذ لم يجعل الشبه بين كثير من المسلمين والكافرين في كثير من المبادئ وطرق التفكير والسلوك... دليلا على انحراف المسلم عن دينه. فالباطل لم يكن مؤهلا لأن يكون معيارا يفصل بين الحق والباطل، أي القول بأنه إذا وافق الشيء الباطل فهو باطل وإذا خالفه فهو حق. وإنما المعيار هو كتاب الله وسنة نبيه الكريم، وما يستنبطه علماء المسلمين منهما، دون ادعاء العصمة لفهمهم للنصوص غير قطعية الدلالة.

وودت لو أن أبا عمر تأكد من حادثة معالي الدكتور الشثري، فقد تأكد لي أنها استقالة قُبلت. وليس "فصلا من الوظيفة".

وأكثر ما يعنيني في الموضوع هو موضوع مدلول الولاء والبراء وجهاد الطلب. فقد أُجريت دراسات تم فيها استقراء جل (إن لم يكن كل) نصوص القرآن الكريم والسنة الموثقة ذات العلاقة فتبيّن أن أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو السلم، ذلك المناخ المناسب للدعوة إلى الإسلام. وقد قدم الباحث ملخصا لنتائج تلك الدراسات في مؤتمر رابطة العالم الإسلامي عام ١٤٢٨ للهجرة وكان نصه المنشور تحت عنوان "الخطاب الإسلامي بين الرفض والتسليم".

سعيد صيني

أقول لأخي الدكتور بندر خيرا

أولا - جزاك الله خيرا على إفادتي عن موقع قول ابن تيمية الموجود في ج ٢٨: ٢٠٩وما أشرت إليه في ج ٤: ٥٤ أيضا هو كما ذكرت، ولكن القول الأول أعظم لأنه يضيف إلى العداوة، "ولو أحسن إليك"، أي يقول بما يعني أن الله سبحانه وتعالى يُعلّم المسلمين الجحود والنكران، فيخالف أمره تعالى بالعدل والإنصاف ون كان هناك بغض. ويخالف حب النبي صلى الله عليه وسلم لعمه وثنائه على زوج ابنته، وثقته العالية في ابن الأريقط، وثنائه على المطعم بن عدي الذي مات كافرا. وهذا إذا صدقت نسبة هذا القول إليه.

أشكرك لأنك وهبتني دليلا قويا على دعوتي إلى ضرورة التفريق بين الكتاب والسنة، من جهة، والاجتهادات البشرية وإن كانت لعلماء عظام، لم يدعوا أحدهم العصمة لرأيه. ويشبه هذا تعليق الدكتور فقيه على تغميض الإمام أحمد عينيه إذا رأى نصرانيا، فكأنه أكثر ورعا والتزاما من نبي ربي العالمين وأصحابه البررة، إذا صدقت النسبة.

ومن المعلوم أن العداوة أو الجهل دفعت بالعض لنسبة أوال وأفعال إلى نبي الله هو بريء منها براءة الذئب من دم يوسف عليهم السلام جميعا.

ثانيا - ألاحظ أن الحوار، وليست المساجلة الشعرية التي قد تنتهي بالخصومة و...، تدور حول ضرورة بغض الكافر وإن كان محايدا "وإن أحسن إليك" وحول استبعاد حب المسلم للكافر، وإن كان الله أثبت ذلك لنبيه وللزوجين، الذي قد تكون فيه الزوجة كافرة. وهذا ما بدا واضحا في مشاركات كثير من الاخوة.

وهنا أخينا الدكتور بندر يؤكد، ما قاله الآخرون وه الإقرار بإمكانية الشفقة على الكافر والبر به والإحسان إليه، ولكن مع البغض والكراهية له شخصيا، وربما أيضا عداوته.

فالخلاف حول إمكانية الجمع بين مشاعر أو تعاملات متضادات.

"كنتُ ذكرتُ أن الشعور بالنفرة والكراهية للكافر، لا ينافي مشاعر الشفقة والرحمة والرغبة في الإحسان إليه والرغبة في هدايته. وقد اعترض على ذلك أخي د. الصيني، وذكر أن هذا جمعٌ بين متضادين، وأنه من غير الممكن الجمع بين هذين المعنيين في القلب تجاه شخصٍ واحدٍ"

فالخلاف ليس حول إثبات الشفقة والإحسان، ولكن حول إمكانية الجمع بين شعورين متضادين. وقد أورد أخي بندر ظن أنه يجمع بين هذين الشعورين المتضادين في شخص واحد، والحقيقة، إن المثال يجمع بين شعورين متضادين ولكن أحدهما تجاه الشخص وهو الشعور بالشفقة والإحسان تجاه الشخص الذي يرتكب المحرمات، والشعور بالكراهية والنفرة من الشيء الذي يفعله.

وتصور أنك تكره شخصا وتنفر منه حقيقة، أو كما يقول البعض تبغضه وتعاديه، هل تحسن إليه؟ لو أحسنت إليه فنك تثبت للآخرين أنك لا تكرهه أو تنفر منه أو تبغضه وتعاديه شخصيا. نعم يمكن الجمع البغض والعدل والإنصاف، أو أداء واجب الدعوة فنعم، وذلك لأننا مأمورون بالإنصاف والعدل حتى مع من نبغضهم، ومأمورون بدعوة الآخرين إلى الإسلام، وإلا تلحقنا مسؤولية جهلهم بالإسلام وكفرهم.

قال أخي بندر: ولو سألنا د. الصيني: هل تحب للكفار ((المحاربين)) أن يُسلموا، فيَسلَموا من عذاب جهنم؟ بالتأكيد سيقول لنا الدكتور: نعم. فلو قيلَ له: فأين كراهيتك لهم؟ وكيف تجمع بين كرههم ومحبة هدايتهم؟!

أقول: أنت هنا تجمع بين شيئين مختلفين: كره الكافر المعادي ومحبة الهداية له؛ وهو يختلف عن الجمع بين كرهه ومحبته في وقت واحد. ومن قال أني أكره المحاربين؟ ومع هذا أقول بأني أقتدي بسنة خاتم النبيين رسل رب العالمين، إني أشفق على المعادين، وأتمنى أن أتكمن من هدايتهم أو على الأقل منع شرهم عن الإسلام والمسلمين، ما داموا عل قيد الحياة. والشفقة لا تمنع من محاولة رد كيدهم في نحورهم ومعاقبتهم في حدود العدل وقدرتي. فرب العالمين عندما شرع لنا العقوبات ومنها الحدود ليس لأنه يبغض عباده ويعاديهم، ولكن ليؤدبهم، ويرشدهم إلى الطريق الذي يؤدي بهم إلى الفوز في الدنيا والآخرة.

ولهذا يمنح عبده فرصة التوبة الصادقة إلى آخر لحظة في حياته، ويفرح بتوبة عبده أكثر مما يفرح أحدهم الذي أضل ناقته ويأس ثم وجدها. (البخاري: الدعوات) مما يصور حرص النبي صلى الله عله وسلم على نجاة المخلوقات المكلفة من النار يقول: "فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيه"[1]. ويعتب الله نبيه لجزعه لس فقط لهداية عمه الذي أحسن ليه ولكن المخلوقات المكلفة جميعها ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس:٩٩] والآيات التي تبين أن الله أرسل محمدا مبلغا ومبشرا ونذيرا، وليس مكرها للناس على الحق كثيرة[2]. وقد يعاتب الله رسوله إذا قلق أكثر مما ينبغي لرفض الناس الإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ

(١) البخاري: الرقاق.

(٢) انظر مثلا: النساء: ٧٩ - ٨٠؛ الإسراء: ٥٤، ١٠٥؛ الفرقان: ٥٦؛ سبأ: ٢٨.

﴿ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ [الكهف:٦][1]. وقد يعاتبه ربه إذا أبدى حرصا شديدا وتألم لعدم إيمان عمه أبي طالب الذي دافع عنه وبالتالي عن الإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦]. وقد يقال: إن الرسول.

وقد شاركت في رسالة سابقة عن الدعوة وأرفقت بها ترجمة لخطاب من قسيس مسيحي حريص على مساعدة المسلمين على أداء حقوق ربهم عليهم، وعلى تلبية طلبات بعض المساجين من غير المسلمين الذين يرغبون التعرف على ما في قراءة القرآن الكريم.

وأقول بعد استعراض جميع النصوص ذات العلاقة بهذا الموضوع لم أجد في الكتاب والسنة الموثقة نصوصا قطعية الدلالة تقول ببغض الكافرين جميعا، ومنهم المحايدين والمساندين للمسلمين، وبتحريم أي درجة من المحبة للكافرين، وإن كان الإشفاق عليهم. وإذا وجد أحد الإخوة الأفاضل نصا قطعي الدلالة ودون تجريد لسياقه الطبيعي يقول بغير هذا فأنا أشكره جدا.

سعيد صيني

١٤/ ٨/ ١٤٣١هـ

شكرا لشيخنا على وتعريف البراءة

لقد أثار تعليق شيخنا سيلا من التساؤلات وبعض الأفكار التي لم تخطر في البال من قبل. وسأقتصر على بعض هذه التساؤلات.

أولا:

يقول شيخنا "إذا نص الحق، جل وعلا بكلامه الذي هو أفصح كلام، على البراءة من صاحب المعتقد الكفري، بل وجعلها قسما مستقلا غير البراءة من عمله، كيف بالله تصرف معنى الآية وتقول إن البراءة من الكافر ليست دائمة".

---

(١) وانظر فاطر: ٨.

وذلك تعليقا على القول "لقد أضيفت البراءة مما يعبدون إلى البراءة من عابديها، وليس العكس، وذلك باعتبارهما أشياء مستقلة، فالبراءة من الفعل لا تقتضي البراءة ممن يقوم به دائما".

وأقول: ألسنا متفقين على أن البراءة من صاحب المعتقد الكفري مستقل عن البراءة من المعتقد الكفري؟

يقول: "تقرأ قول المولى سبحانه (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا) ثم تتبعها بكلام أشبه بالفلسفة".

وذلك تعليقا على تفسير قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾ [الممتحنة:٤] بأن البغضاء قد تبقى مخفية دون ترجمة حسية. وقد تترجم في هيئة عبارات أو سلوك سلبي فتظهر للآخرين لتسمى "العداوة". وقد يحدث السلوك العدائي، بدون بغض، من باب المزاح أو لغرض التربية أو بغير قصد.

وأقول: أليس من الطبيعي ومن الفطرة أن يكون شعور الداعية ومنطلقه هو المحبة والإشفاق، وأن يكون ردة الفعل من المدعو العداوة والبغضاء؟ ألا تؤكد قصص الأنبياء في الكتاب والسنة هذه الحقيقة؟ أليس من الطبيعي أن يبدأ قوم إبراهيم عليه السلام بعداوته وبغضه والإصرار عليها فتتحول إلى مشاعر متبادلة؟

يقول بأسلوب المعاتبة الرقيقة: "يا رجل ارجع إلى تفسير أئمة الإسلام".

وأقول: يا شيخنا هل ادعى أحد العلماء، ومنهم القرطبي وابن عاشور أن آراءهم وفهمهم للنصوص معصومة من الخطأ؟ أليس من الطبيعي أن لا يدّعوا ذلك؟ ألم يفت على مئات العلماء عبر أكثر من عشرة قرون صدق قول الإمام أحمد "ما يدعي الرجل فيه الإجماع هذا الكذب. من ادعى الإجماع فهو كذب"؟ ألا تمتلئ كتب الفقه إلى يومنا هذا باستشهادات من "الإجماع" المصدر الوهمي الذي لا إسناد له يوصله إلى جميع المجمعين؟(بحث ملحق بالمقال والحث على نقده)

ثانيا: أتساءل ماذا يقصد شيخنا بكلمة البراءة؟

أ. المعنى المستقرأ من استعمالاتها ومشتقاتها في الكتاب والسنة، أي الفصل بين المتبرئ والمتبرأ منه؟

ب. أم المعنى السائد المترسخ في أذهان غالبية العلماء وطلبة العلم في هذا الزمان، أي العداوة والبغضاء؟

ثم أتساءل: إلى أي نوع من البراءة تندرج المشاعر أو المعاملات التالية التي وردت في الكتاب والسنة والسيرة النبوية:

١- وصية الله بالوالدين في آيتين مستقلتين، وإن كانا مشركين بقوله تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت:٨] (١)؟

٢- محبة النبي لعمه الكافر التي أثبتها الله في كتابه الكريم ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦]؟

٣- المودة والمحبة الفطرية التي أثبتها الله بين الزوجين، مع احتمال أن تكون الزوجة كافرة من أهل الكتاب ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً...﴾ [الروم:٢١]؟

٤- وصية النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مصر وكانوا كفارا "إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط (عملة كانت سائدة في مصر)، فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحما"؟

٥- قول النبي "إن آل أبي فلان... ليسوا بأوليائي، إنما وليّي الله وصالح المؤمنين، ولكن لهم رحم أبلها ببلالها". يعني أصلها بصلتها؟

٦- إذنُ النبي لثمامة أن يبيع قريشا ما تحتاجه من الحنطة، عندما سألته قريش بحق الرحم أن يأذن له بذلك. وكان ثمامة سيد بني حنيفة قد حلف أن لا يفعل إلا أن يأذن النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك؟

---

(١) انظر [لقمان: ١٤ - ١٥].

٧- إطلاق النبي سراح أبي العاص ابن الربيع بشرط إرسال زينب إلى أبيها، والتوسط بإرجاع المسلوب منه إليه، والثناء عليه، إذ قال: "...أما بعد فأنكحت أبا العاص ابن الربيع فحدثني وصدقني، قبل أن يسلم؟

٨- إجازة النبي الأمان الذي أعطته أم هاني لمشركين من ذوي رحمها، عند فتح مكة؟

٩- إذن النبي لأسماء رضي الله عنها بإكرام أمها عندما قدمت عليها في المدينة مع أنها كانت مشركة؟

١٠- السماح لوفد نجران، رغم إصراره على الكفر، بأداء الصلاة في مسجده عليه الصلاة والسلام؟

١١- مساعدته الأراشي الذي كان كافرا للحصول على حقه عند أبي جهل؟

١٢- ثقة رسول رب العالمين في عبد الله ابن أريقط الذي كان مشركا واعتمدا عليه في الهجرة إلى المدينة متخفيان؟

١٣- استعانة النبي بعبد الله بن أبي حدرد السلمي الذي كان يومها مشركا ليتجسس على جيش المشركين؟

١٤- نصيحة النبي لأصحابه المضطهدين بالهجرة إلى الحبشة وهي دولة كافرة مسيحية. فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه المضطهدين: "لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق"؟

١٥- موافقة النبي على قرار خزاعة (مسلمهم ومشركهم)، أن يكونوا حلفاء للمسلمين بعد انعقاد صلح الحديبية وأن يشاركوا في فتح مكة؟

١٦- إهداء عمر بن الخطاب أخيه المشرك ثوبا، بالرغم من الحزم المعروف عن الخليفة الراشد، حتى أن الشيطان كان يهرب من طريقه؟

ثالثا:

أتساءل: هل التحريف نتج عن ضغط الواقع، أم أن التحريف للنصوص الجلية نتجت عن الكسل الذي نبّه إليه خادم الحرمين الشريفين بطريقة عفوية؟

١- أليس الأصل أن نجمع جميع النصوص التي وردت فيها كلمة "البراءة"ومشتقاتها في الكتاب والسنة، ثم نستقرئ منها المدلول الجوهري للكلمة، بدلا من النظر في بعض هذه النصوص من منظار بعض العلماء الذين نُجلّهم ولم يدّعوا العصمة وترديد فهمهم؟

٢- أليس من المفروض أن نستعين بمعاجم اللغة العربية بدلا من ترديد أقوال بعض العلماء غير المعصومين؟

ولعل هذه التساؤلات تكفي ليظهر الحق عند أحد التلامذة النجباء للشيخ بن باز والشيخ الألباني، أثابهما الله خير المثوبة. وأقف هنا لأعود إلى البحث الذي أعمل فيه، ومن أراد المزيد فيمكنه الرجوع إلى كتاب "حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين أو "العلاقة بين المسلمين بغير المسلمين"، أو الفصل الثاني من كتاب "تساؤلات جدلية حول الإسلام وتعليقات" وكلها معروضة في الإنترنت.

سعيد صيني

٩/ ١١/ ١٣٥هـ

أخوة الإنسانية وأبو طارق

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

جزاك الله خيرا على دعوتك لي بأن يشملني الله برحمته حيا (وأضيف وميتا) وأدعوا لك بمثلها. وأشكرك وجميع من شارك في الحوار حول القبة الخضراء وييسر مهمة الحوار. فقد حثني ذلك على البحث في الموضوع لتصبح الرؤية في الموضوع في غاية الوضوح.

تقول: "قال الأستاذ سعيد صيني رحمه الله حيًا: أن العلاقة بين البشر هي علاقة أخوة. انتهى والسؤال: ما دليله من الكتاب أو السنة؟"

أقول: دليلي قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾. (الحجرات: ١٣) وأنت تعرف أن

أول ذكر هو أبونا آدم، وأول أنثى هي أمنا حواء. ومن يشتركون في الأب والأم هم إخوة (على الأقل في الإنسانية).

تقول: ...علمًا بأن التوقيع على معاهدة إلغاء الرق في هذا العصر هي فتح من الله على المسلمين لما هم فيه من ذلة وصغار وغثاء كغثاء السيل لتركهم دينهم

أقول: نعم. أنا أوافقك على أن من أسباب ذل المسلمين عدم تطبيقهم لأوامر رب العالمين، ولكن أضيف أيضا أن من الأسباب الرئيسة الأخرى أنهم يمنحون علوم الكفاية جهدا أكبر ويخلصون في دراستها مع تقصير كثير من "علمائهم" وطلبة العلم الشرعي في فهم كتاب الله وسنة نبيه الكريم.

ومع هذا أستدرك وأتساءل: هل نحن فعلا أحرار، ولاسيما المسلمون الذين أنعم الله عليهم برغد العيش أو الأغنياء؟ إن الكافرين بستعبدوننا ويغزوننا بمنتجاتهم المادية والفكرية... فهم يستعبدوننا بأسلوب جديد يجعل المستعبَد يتخلى عن حريته وهو يضحك ملء شدقيه، وذلك لأنهم يستفيدون من عقولهم لخدمة أنفسهم والآخرين مع ترجيح مصالحهم الشخصية. أما نحن المسلمون فنعطل العقول التي منحها الله لنا ولا نستفيد مما يوفره الكافرون من وسائل تيسير البحث، لدرجة أننا نعجز عن فهم بعض أمور ديننا فهما صحيحا.

أخي الكريم لقد سعدت بالتحاور معك، لإخلاصك لما تقتنع به ولصراحتك. لهذا أبعث لك كتابا تم إعداده للتعريف المختصر بالإسلام وللدفاع عنه، مستخدما المنطق المبسط والأمثلة الواقعية من الحياة اليومية.

أرجو التكرم على أخيك بقراءته قراءة دقيقة وتزويده بما تعتقد أنه من السلبيات في الكتاب، علما بأن الكتاب موجه لغير المسلمين وللمتشككين من المسلمين.

وجزاك الله خير الجزاء.

أخوك

سعيد صيني

في ٢٠/ ٧/ ١٤٣٣هـ

التهنئة بالسنة الجديدة

لقد ترددت في التعليق على حكم تهنئة النصارى بالسنة الجديدة، وذلك أني غارق في كتابات الفقهاء عبر العصور حول المعاملات التي ينطبق عليها الربا، ولأني بعثت إلى المجموعة بملخص لنتائج دراساتي في العلاقة بين المسلمين وغيرهم، قبل أسبوع تقريبا، ويندرج فيه الرأي في هذه التهنئة.

ولكن ما دار من نقاش حول رأي الدكتور حاتم الشريف والدكتور عبد الله بن بيه، أرغمني على التعليق في الموضوع مرة أخرى. ولا شك أني أفدت من مشاركات الإخوة الأفاضل: عبد الله زقيل، وناصر العلي، ونعيم الحكيم، ومشاري الشثري، وإبراهيم السكران... فجزاهم الله خيرا. فبعض ما ورد في النقاش من نقاط منهجية يجب التعليق عليها، في رأيي غير المعصوم، وذلك إبراء لذمتي أمام رب العالمين.

وأركز على النقاط التالية:

أولا: أهمية قراءة النص المقدس بعناية، مستعينا بالوسائل التي طوّرها علماء الأصول وبالتأكد من مدلولاتها اللغوية بدقة كافية... وبالتأكد من سياقاتها، سواء السياق العام للمسألة أو السياق الخاص للنص. فأغلب الخطأ في فهم النصوص المتعلقة بعلاقة المسلمين بالكافرين، مثلا، كانت نتيجة للتهاون في القراءة المتأنية لنصوص القرآن الكريم، ولتجاهل دراسة سياقاتها اللازمة. ومن أبرز الأمثلة ما جرى لآيات الجهاد، والولاء والبراء. وأُلحِق بمشاركتي هذه للمرة ... نسخة من بحث "علاقة المسلمين بغير المسلمين"، ومن بحث "هل السلام وسيلة جهاد؟" وأرجو أن يتكرم الأخ مشاري الشثري، وغيره من المهتمين بالموضوع، بنقده نقدا علميا بعد قراءته قراءة متأنية بعيدا عن الآراء السائدة الجارفة. فبعض التصورات المسيطرة في ساحة الدراسات الإسلامية للجهاد وللولاء وللبراء يتناقض مع ما ورد في نصوص الكتاب والسنة، ويتهم رب العالمين بتشريع ما يسند الأقوياء الغاصبين

على الضعفاء المسالمين، وبالتشجيع على النفاق، ويلزم المراقب على الممتحنين بإملاء الإجابات الصحيحة عليهم وإرغامهم على كتابتها في أوراق الأجوبة، أثناء فترة الامتحان...!

ثانيا: التيقن من أن أحدا من العلماء، حقا، لم يدع بأن فهمه للكتاب والسنة معصوم أو أن الرأي المجمع عليه في عصر ولو بالسكوت (عدم الاعتراض) معصوم. وكذلك لا تدعي ذلك أي لجنة فقهية، مؤهلة، سواء أكانت أهلية أم حكومية. فقول النبي صلى الله عليه وسلم "لم يكن الله ليجمع أمتي على الضلالة "[1] يعني أن الحق لن يتجاوز أمته كلها. فقد يجتمع ٩٩٪ منهم على فهم ويشذ عنهم فهم، يسنده الكتاب والسنة أكثر مما يسند رأي المجموعة. فالإسلام دين الفطرة ويمثله القرآن الكريم والسنة الموثقة الموجود بين أيدينا، وجاء بلسان عربي مبين. والنصوص التي تثبت بدرجة عالية من المصداقية مصدرها رب العالمين أو نبيه الكريم، وتعد معصومة. فإذا كانت قطعية الدلالة، أي صريحة، فأحكامها معصومة. أما النصوص التي تحتاج إلى الاستنتاج وإلى الجهود البشرية، فالأحكام المستنتجة تتأثر بالاجتهادات البشرية غير المعصومة. ومن أدلة عدم العصمة أن تصدر هيئة علمية معتمدة رسميا فتوى مبنية على الاستنتاج فتجد الدولة نفسها مضطرة للأخذ بفتوى تخالفها.

ولهذا نحن نحترم العلماء بقدر جهودهم وغزارة علمهم وقلة خطأهم، ونستعين باجتهاداتهم في فهم الكتاب والسنة، ولكن لا نعتبرها بديلا، أو مساويا للكتاب وللسنة الموثقة. وندعو للأحياء منهم بالتوفيق والسداد، وللأموات منهم بحسن الثواب والمغفرة، ونحاول تصحيح أخطائهم حتى يقل عدد من سيضل بسبب أخطائهم. ومن واجب محبتنا لهم التحقق من الأقوال المنسوبة إليهم قبل ترديدها كما تردد أسطوانة التسجيل ما تم تسجيله.

---

(١) السخاوي، المقاصد، رقم ١٢٨٨ وحسنه؛ وانظر ابن ملقن تذكرة المحتاج ج ١: ٥٢.

ثالثا: التأكد من صدق نسبة قول محدد إلى كبار العلماء. فهناك ضرورة للتفريق بين نصوص الكتاب والسنة الموثقة المنسوبة إلى خالق الكون ونبيه، من جهة واجتهادات العلماء، من جهة أخرى. فالمنسوب إلى العلماء لا يخضع لمناهج التحقيق الصارمة التي تخضع لها نصوص القرآن الكريم والسنة. ومن أمثلة الأقوال المشكوك في نسبتها إلى بعض عظماء العلماء ويرددها طلبة العلم عبر المشايخ والمؤلفات ما يلي:

القول المنسوب إلى الإمام أحمد: "لا أقدرُ أنظر إلى من افترى على الله وكذبَ عليه"، يتهم الإمام التقي بأنه يدعي أنه أكثر ورعا من النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه البررة، إذ لم يثبت أنهم فعلوا ذلك.

القول المنسوب إلى العلامة ابن تيمية "الكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك "[1]، يتهم هذا العلامة بأنه يجهل الآيات الصريحة في وجوب العدل والأمر بالإحسان إلى الكافرين غير المعادين، ويفتري على الله بأنه يأمر عباده بالجحود والنكران، ويتهم هذا العالم بأنه يخالف سنة رب العالمين مع عمه والمطعم بن عدي والعاص...

أما القصة العجيبة المنسوبة إلى الصحابي الجليل ابن عمر ترفضها البديهة ويرفضها العقل. ويكفي أن تتصور أنك التقيت بشخص لا تعرفه وسلّم عليك، ثم بعد لحظة... قال لك "رد علي سلامي". ما الذي يخطر في ذهنك فورا: ١) ربما أنه يمزح، ٢) ربما أن في عقله خلل، ٣) أما إذا قال لك ذلك بشي من العنف فربما ترد عليه "من قال لك تسلم عليّ". إذا كانت هذه هي ردة الفعل الفورية هل يجوز نسبة مثل هذا الفعل إلى صحابي جليل مثل ابن عمر رضي الله عنه، ولاسيما أن القصة ليست في صحيح البخاري، ولكن في الأدب المفرد؟

(١) ابن تيمية، القاسم، الجزء ٢٨: ٢٠٩.

رابعا: ضرورة التمعن بالحصيلة اللغوية المؤهلة للفتوى في نصوص الكتاب والسنة في المسألة موضوع الدراسة أولا، ثم استعراض أقوال العلماء، وليس العكس. فإن النتيجة الحتمية للتركيز على أقوال العالم الذي يثق فيه الباحث قد تكون خطيرة جدا، لا يتصورها العاقل. فما يحصل بطريقة تلقائية هي أن ١) يتبنى وجهة نظر هذا العالم، ٢) ثم يقرأ النصوص ذات العلاقة بمنظاره هو، ٣) ثم يبحث عن النصوص التي تؤيدها، وإن كانت بعيدة، مثل قرابته لآدم عليه السلام. ويتصيد الأقوال التي تؤيد هذا الرأي، بدون تحقق من صحتها ولو باستخدام البديهة والعقل، ويتجاهل النصوص المعارضة ويقلل من شأن الآراء المخالفة... فيبتعد الباحث عن الحق أكثر وأكثر دون أن يشعر.

ولتجسيد هذه الحقيقة المُرّة أضرب مثلا محسوسا من الواقع. جاء أحد المصلين وقد أقيمت الصلاة في المسجد الحرام فوجد حوالي العشرين مصليا يصلون في الساحة الخارجية فقرر الالتحاق بهم. وعندما وقف بجوار أحدهم رأى أنه يقف على الخط المرسوم، ولكن انحرفت البقية بالتدريج ليكون آخرهم على زاوية ٩٠ درجة من القبلة. وعندما حاول تعديلهم بتنبيههم إلى الخط المرسوم تردد البعض وسارع البعض إلى التصحيح. والسؤال: كيف حدث هذا مع وجود الخط أمام ناظرهم؟ يبدو أن الثاني أخطأ بشيء من التهاون فاقتدى به الذي جاء بعده...إلخ ولو كلف أحد العشرين مصليا نفسه بالنظر إلى الخط المرسوم لما حدث هذا. وبعبارة أخرى، لو لم يقتدي التالون بالأولين بطريقة عمياء لما حصل هذا الخطأ. وهذا مجرد مثال محسوس بسيط فكيف بما يحدث في عالم المعنويات المتشابكة وبالغة التعقيد؟

ومثاله أن يقول بعض العلماء أن الرسوم الجمركية مكوس ومحرمة، فيعتمد عليها أحدهم فيجيز التحايل عليها ودفع الرشوة للتحايل عليها...

ويعتمد المفتي على قول بعض العلماء بصحة عقد النكاح بنية الطلاق، في مقابل قول البعض بفساده، وإن كانا جميعا يرفضان النكاح بنية الطلاق. ولكن

الطرف الأول أفتى بصحة العقد حرصا على حقوق المرأة ونسلها إن خلّفت من هذا النكاح، وليس بجوازه، في غياب أي نص يبيح ذلك، وثبوت كونه غش في الأعراض. وهو أعظم من الغش في المال.

خامسا: كتاب الله وسنة نبيه الموثقة متوفرة لكل أحد، وفهمهما ليس حكرا على أحد أو مجموعة من العلماء، سواء أكانوا متفرقين أو تجمعهم مؤسسة أهلية أو حكومية. فوسائل التحقق من النصوص والاستنتاج منها (أصول الحديث والفقه) والأدوات اللغوية متوفرة لكل مجتهد، وليست حكرا على أحد، ويمكن لأي لأحد أن يتمكن من استيعابها واكتساب مهارة تطبيقها. بل ويمكنه المساهمة في تطويرها. فهي جهود بشرية متميزة وقابلة للتطوير ما دام هناك بشر يستخدمون ما منحهم الله من كفاءات، وليس قرآنا منزلا وسنة نبوية اكتملت، لا تقبل الإضافة إلى أصولها.

سادسا: يؤكد العلماء القاعدة التي يعبر عنها صاحب عمدة القاري... "أن الحرمة متأخرة عن الإباحة لأن الأصل في الأشياء الإباحة، والتحريم عارض"[1]. وهذا يعني أن المحرم عند غياب النصوص هو المطالب بإحضار الدليل أو الدليل الأقوى، وليس القائل بإباحته. وفي حالة غياب النصوص الصريحة التي تسند أحد الرأيين، لابد أن يتوفر لأحدهما سند من النصوص والأدلة العقلية أقوى من الآخر. فمثلا، أدلة جواز التهنئة تستند إلى تمييز رب العالمين أهل الكتاب عن غيرهم من المشركين، وسماح نبيه الكريم لوفد نجران بأداء صلاتهم في مسجده. ولا أظن أن مسلما يجرؤ فيقول أن هذا يعني الاعتراف بديانتهم المنحرفة... فهي لإيجاد المناخ الودي المناسب للدعوة إلى الحق والمحفز على قبول الدعوة إلى الحق. وقد سخّر رب العالمين لتأليف قلوب غير المسلمين وسائل عديدة، منها أن جعل لهم نصيبا في زكاة المسلم و... وهناك ضرورة للتفريق بين التهنئة تأليفا للقلوب أو ردا لإحسان... وبين التهنئة اعترافا بصحة المناسبة أو المشاركة في الاحتفال أو

(١) عمدة القاري ج ٥: ٤٩.

المناسبة للاستمتاع، حتى بدون حضور حفلاتهم الرسمية، مثل تزيين المنزل بشجرة عيد ميلاد المسيح...

هذا، والله أعلم

سعيد صيني

١١/ ٢/ ١٤٣٣ هـ

تهنئة غير المسلمين بأعيادهم

وقفت حائرا أمام حث عميد المجموعة على التعليق بعبارة "سؤال لمشايخ المجموعة" لأني لست شيخا إلا من حيث السن. فلست شيخا التي تجمع ب "مشايخ"، ولست شيخا التي تجمع بـ "الشيوخ"...

ولكني باحث أهتم بهذه القضية جدا، ولهذا أكتب هذا التعقيب. وأقول وبالله التوفيق. إن السؤال الذي يخطر في الذهن فورا، قبل الإجابة على سؤال أخينا يوسف الدالي هو ما هي ظروف التهنئة؟

هل هي تهنئة عامة لجميع المسيحيين؟ هل هي تهنئة خاصة لجار، أو لصديق أو لزميل عمل أو دراسة أو... وأحرص على مكافأته لمساندته قضايا المسلمين... أو على الأقل- لموقفه الحيادي من الإسلام وطمعا في أن أؤلف قلبه ليسلم، ولو بعد حين، ولو على يد مسلم آخر، ولو بقراءة كتاب جيد عن الإسلام بعد حين...؟

فإذا كانت الظروف تندرج في الحالات الثانية فإليك ما وجدت من خلال دراسة نصوص الكتاب والسنة، التي سجلتها في كتاب "علاقة المسلمين بغير المسلمين" الكمتوفر على الإنترنيت.

توفير الظروف الودية

يندرج تحت جميع المبادئ في التعامل مع غير المسلمين أن الإسلام يشجع

توفير العلاقة الودية بين الإخوة في الإنسانية، ولاسيما الذين يشتركون في العيش في وطن واحد أو يكثر التعامل بينهم. ويُسخِّر لذلك الوسائل العديدة، ويبيح استعمالها ما لم تؤثر بطريقة سلبية على المسلم أو المسلمة، مثل أن تجعله ينحرف عن التعاليم الإسلامية المتعلقة بالعقيدة أو السلوك.

وعلى سبيل المثال، منح رب العالمين مكانة خاصة لأهل الكتاب: فأجاز الأكل من طعامهم وذبائحهم، إلا أن تكون حرمتها منصوصا عليه؛ وأجاز الزواج من المحصنات من إناثهم، وأذن بالصلاة تجاه بيت المقدس، قبل أمرهم بالتوجه إلى البيت الحرام. ولم ينكر الله تعالى على المسلمين فرحتهم بانتصار الروم الذين هم من أهل كتاب، على الفرس الذين يعبدون النار. ومثاله جعل لتأليف قلوب غير المسلمين جزءًا من زكاة المسلمين. ومن الأمثلة البارزة أيضا لوسائل تأليف القلوب إذن النبي صلى الله عليه وسلم لوفد نجران أداء صلاتهم في مسجده، أي مسجد المسلمين. وعندما سب أحد المسلمين بعض أموات الكافرين من أقرباء بعض المسلمين قال النبي صلى الله عليه وسلم: "فلا تسبوا موتانا فتؤذوا أحياءنا"[(١)]. وقام لجنازة يهودي[(٢)].

وكل هذا ليس اعترافا من الله ونبيه بدياناتهم وإقرارا لهم على معتقداتهم، بعد أن جاء الإسلام، ولكن توفيرا للظروف الذهنية والنفسية اللازمة للتأمل في الحق بذهن صاف، يتحرر من الضغينة أو من التحيز.

وانطلاقا من هذه الحقائق والمبادئ، أباح بعض العلماء تهنئة غير المسلمين بأعيادهم، تأليفا لقلوبهم، وتمهيدا لدعوتهم إلى الإسلام[(٣)]. ويمكن القياس على فعل النبي، صلى الله عليه وسلم، أن ينوب المسلم زميله في العمل لتمكينه من

(١) أحمد، مسند أحمد: (٢٧٣٧).

(٢) سورة المائدة: ٥؛ التوبة ٦٠ ؛ ابن القيم، زاد ج ٣: ٦٢٩؛ البقرة: ١٤٤؛ الروم: ٢ – ٥؛ البخاري: الجنائز، من قام لجنازة.

(٣) انظر: قيس آل مبارك،؛ **المنيع**؛ أبو مليح؛ الخطيب.

الاحتفال بعيده، واستجابة المسلم لدعوة جاره أو صديقه غير المسلم بحضور الحفل الذي ليس فيه طقوس دينية أو أنشطة محرمة في الإسلام قطعا، ويأمن فيه المسلم من التورط في اعتقاد أو قول أو فعل محرم.

وهذا يختلف عن احتفال المسلم بأعياد غير المسلمين طواعية، باعتبارها عيدا ومناسبة للترويح، وسواء أكانت المشاركة فردية أو أسرية أو رسمية. فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعليقا على احتفال أهل المدينة في الجاهلية بيومين "قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر". ولقول عمر ابن الخطاب: "لا تعلموا رطانة الأعاجم ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم فإن السخطة تنزل عليهم". بيد أنه يلاحظ أنه من الضروري فهم القول المنسوب إلى عمر رضي الله عنه أن المقصود ب "لا تدخلوا على المشركين..." هو المشاركة للمتعة وليس مجرد الحضور لضرورة المجاملة، وتأليف القلوب. أما بالنسبة لتعلم "رطانة الأعاجم" فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيدا بتعلم لغة اليهود[1]. وليس هناك أي نص في القرآن أو السنة يمنع العرب من تعلم اللغات غير العربية أو يلزم غير العرب بتعلم العربية. وإذا كانت العربية هي لغة القرآن والسنة وأهل الجنة، فإن على من يريد تأهيل نفسه لاستنباط الأحكام من الكتاب والسنة أن يتقن العربية. وبالتأكيد لا يحتاج من يستحق دخول الجنة إلى تعلمها في الحياة الدنيا".

سعيد صيني

١/ ٢/ ١٤٣٣هـ

هل ورد نص على أفضلية استعمال "كافر"؟

لم أطلع على هجوم الدكتور وجدي غنيم على الداعية الدكتور طارق السويدان،

(١) الصنعاني ج ٢: ٧٠، ويقول رواه النساء وأو داوود بأسناد صحيحة؛ البيهقي ج ٩: ٢٣٤؛ الأحوذي، تحفة الأحوذي ج ٧: ٤١٣.

ولكني أؤيد ما نبّه إليه الدكتور هاني فقيه بما ورد في إحدى الدراسات التي تتحدث عن هذه النقطة بأدلة من الكتاب والسنة. ورد في الدراسة ما نصه:

يرتكز المنهج الإسلامي في الدعوة على دعامة الرفق والتسامح. يقول تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [النحل:١٢٥، ١٢٦]. ومع أن الله يعلم علم اليقين أن فرعون لن يهتدي فإنه يأمر موسى وهارون عليهما السلام باستعمال الرفق لعله يهتدي في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه:٤٤]. ويقول تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت:٤٦].

ولهذا كان منطلق الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوة الناس هو الشعور المخلص بالإشفاق عليهم وحب الخير لهم. فقد ورد في صحيح مسلم أنه "لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٤] قال انطلق نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى رضمة من جبل فعلا أعلاها حجرا ثم نادى يابني عبد مناف، إني نذير. إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله، فخشي أن يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه". محذرا إياهم العدو[1].

... وهذه الصفة واضحة في قصص الأنبياء كما هي واضحة في سيرة خاتم الأنبياء وسيد المرسلين والدعاة الذين يتبعون سنتهم. انظر مثلا النبي صالح يقول: ﴿... يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ ﴾ [هود:٦٣] والنبي شعيب يقول: ﴿...يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ [هود:٨٨].

---

(١) مسلم: الإيمان وأنذر عشيرتك.

ويقول مؤمن آل فرعون: ﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾ [غافر:٤١][1].

ولهذا فإن شعور المسلم تجاه غير المسلمين - ابتداء - ينبغي أن يكون هو شعور النبي صلى الله عليه وسلم نفسه تجاه المدعوين وهو الرحمة والإشفاق وحب الخير لهم.

ومن الرفق في الدعوة مادام الكافرون مسالمين[2] مناداة الكافرين بالأسماء التي يحبونها أو - على الأقل - لا تستثيرهم. لهذا كان من سنة أنبياء الله ورسله مناداة الكافرين بالألقاب المحببة إليهم. فمثلا يخاطب إبراهيم عليه السلام أباه فيقول بكل أدب: ﴿... يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم:٤٢]. ويقول نوح عليه السلام لابنه الكافر بكل حنان ﴿... يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [هود:٤٢]. ويقول عيسى عليه السلام لبني إسرائيل ﴿... يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

ويأمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عله وسلم بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران:٦٤]. ويخاطب النبي عليه الصلاة والسلام عمه الذي كان محاطا برؤساء قريش "يَا عَمِّ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلا اللَّه"[3]. ويخاطب صفوان بن أمية وهو كافر

(١) وانظر الآيات من ٢٨ - ٤٤.

(٢) مثلا: سورة هود: ٦٣، ٨٨؛ سورة غافر: ٤١؛ ر مثلا:؛ صيني، كيف نشرك غيرالمسلمين في نعمة الإسلام.

(٣) سورة مريم: ٤٢؛ هود: ٤٢؛ الصف: ٦؛ آل عمران: ٦٤؛ الترمذي: تفسير القرآن رقم ٣١٥٦.

بكنيته فيقول "انْزِلْ أَبَا وَهْبٍ". وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأسقف نجران: "أسلم يا أبا الحارث"، تأليفا له وترغيبا له في الإسلام[١].

وبهذا يبدو واضحا أن الإسلام يستحسن مناداة غير المسلمين المسالمين بالأسماء المحببة إليهم أو - على الأقل - بالأسماء التي لا تستثيرهم ضد الإسلام والمسلمين. فإذا كان الإسلام قد جعل للمؤلفة قلوبهم سهما في زكاة المسلمين فمن باب أولى مناداتهم بما يحبون من الأسماء تأليفا لقلوبهم.(التوبة: ٦٠) كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنعام:١٠٨]. وانطلاقا من هذه الحقيقة من المستحسن أن لا ننادي غير المسلمين بأسماء يكرهونها وإن كان في ظننا هي أفضل من التي يحبونها. فمثلا يحب كثير من النصارى تسميتهم بالمسيحيين بدلا من كلمة النصارى، مع أن الأخير أفضل في نظرنا. فالنصارى من النصرة للمسيح، وفيه مدح لهم أما المسيحية فتنسبهم إلى المسيح بدلا من نسبتهم إلى دين الله. أما قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون: ١ - ٦]. فجاء في سياق الذين يجادلون بالباطل ويصرون على المجادلة.

ولعل من الأسماء المحايدة "الآخر" و"غير المسلمين" التي لم يرد تحريمها في الكتاب أو في السنة، وتندرج في المباح؛ كما أنه لم يرد فضل خاص في استعمال كلمة "كافر" لغير المسلمين في الكتاب أو السنة. ومن ضرورات الرفق في الدعوة التمييز بين موقف المدعو من الإسلام والمسلمين عندما نخاطبه سواء في اتصال شخصي أو عام. بل أثبت الله في كتابه الكريم أخوة الكافرين للمؤمنين، ومثال ذلك

(١) مالك: النكاح ٩٩٧؛ ابن القيم، أحكام أهل الذمة ج ٢: ٧٧٠.

قولـــه تعالـــى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ...﴾ [الأعـــراف:٦٥] و﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعـراف:٧٣] و﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعـراف:٨٥] و﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الـــــــشعراء:١٠٦] و﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [الشعراء:١٦١][1].

ويأمر الله نبيه الكريم بالصبر وضبط النفس في قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾﴾ [المزَّمل:١٠، ١١]. ويقـول تعـالى أيـضا: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٤].

ولأن الأصل هو الإشفاق على الكافرين كان من الطبيعي أن يدعو النبي صلى الله عليه وسلم لثقيف بالهداية رغم محاربتهم له. وعندما طلب منه البعض الدعاء على قبيلة دوس، كان رده: "اللهم اهد دوسا وأت بهم"[2]. وذلك بدلا من الدعاء عليهم.

ومع ما لقيه الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه من أذى شديد فإنه لم يرد لهم الهلاك. فعندما رفض قومه دعوته وبلغ به الهم مبلغه جاءه جبريل بملك الجبال الذي قال له: "يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين (الجبلين)؟ فكان ردّ النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا". وعندما أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم الراية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، في غزوة خيبر، وقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال له صلى الله عليه وسلم: "انفذ على رسلك

(١) العطار ص ٦٢ - ٦٦.

(٢) ابن هشام ج ٤: ٩٨؛ البخاري: الجهاد، الدعاء للمشركين.

حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فو الله لإن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم"[١].

وعندما اشتد غضبه على بعض الكافرين لإمعانهم في أذية المسلمين ومحاربة الإسلام ودعا عليهم، ذكّره الله بأن مهمته تقتصر على تبليغ الرسالة وذلك في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾ [آل عمران:١٢٨، ١٢٩]. ومن هذا القبيل أيضا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ ...﴾ [المائدة:١٠٥][٢]، فبعد أن يبذل المسلم جهده في الدعوة ليس عليه أكثر من أن يهدي نفسه.

ومما يتسق مع هذه القاعدة العامة قوله صلى الله عليه وسلم لقومه من أهل مكة وقد أسلموا أمرهم إليه بعد أن نصره الله عليهم: "لا تثريب عليكم اليوم. اذهبوا فأنتم الطلقاء" وعفا عن ما صدر منهم من إيذاء ومحاربة سابقا، إلا عددا محدودا كانوا قد ارتدوا وبالغوا في العداوة والسخرية بالإسلام. وكما يقول آل محمود: "ولم يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن المسلم منهم والكافر حتى أسلموا جميعا من تلقاء أنفسهم". وعفوه صلى الله عليه وسلم عن هوازن ورده سباياهم عليهم ينطلق أيضا من القاعدة نفسها[٣].

فالمنهج الإسلامي في الدعوة إلى الإسلام هو البدء في عرض الإسلام بلطف يسمح حتى باستخدام الاستعطاف، ثم الحوار إن لزم الأمر بلين ونفس طويل

---

(١) البخاري: بدء الخلق، إذا قال؛ البخاري: فضائل الصحابة، مناقب علي.

(٢) وانظر صحيح البخاري: التفسير، ليس لك.

(٣) ابن القيم، زاد ج ٣: ٤٠٧ – ٤١٣؛ آل محمود، مجموعة ج ٢: ٦١؛ العسقلاني ج ٧: ٦٤١ لحديث مرسل أورده في تعليقه؛ ابن هشام ج ٤: ٩٨ – ٩٩.

يتصف بالتسامح. ثم إيقاف الحوار إذا تحول إلى مناظرة بإعلان "لكم دينكم ولي دين". فالمناظرة هي بداية مرحلة التحدي وغالبا ما تؤدي إلى التحدي والعداوة في نهاية المطاف. وهي - في هذا السياق - تقتصر فائدتها على دحض حجج المغالط، وتثبيت المؤمن، وإيقاظ المتردد من غفوته...

وعلى المسلم أن يوازن بين اللطف في الدعوة الذي يتسق مع الرحمة التي يدعوا إليها، وبين إظهار الإسلام بمظهر العزة اللائقة به. ويتم ذلك أولا بحرص المسلم على تطبيق التعاليم الإسلامية وأداء واجباته باعتزاز مقرون بالامتنان لله الذي هداه، وبالإشفاق على من حرم نفسه منها. وهذا يختلف عن ليس الاعتزاز الرون بالتكبر والعجرفة. وقبل أن يلوم المسلم الرافضين للإسلام على كفرهم يجب أن يلوم نفسه ويؤنبها على التقصير في حق الدعوة، وعدم تبليغ الإسلام بالصورة المناسبة والوسيلة المناسبة.

سعيد صيني
٢٣/ ١/ ١٤٣٣هـ

اختلاف الثقافة أو الدين وقادة الفكر

قرأت خلال أسبوعين عددا من المقالات وخبرا واحدا فأثارت قراءات وذكريات كثيرة، ولكني كنت منشغلا ببحث حول "غول الإجماع". وقد انتهيت من مسودته الأولى، سأحاول التعليق على تلك المقالات، تحت ثلاثة عناوين: اختلاف الثقافة أو الدين، الفرق الدينية والوطن الواحد، دور قادة الفكر.

اختلاف الثقافة أو الدين

لم يترك الإسلام مجالا من مجالات الحياة إلا وقد وضع لها القواعد العامة اللازمة. والعلاقة بين المسلمين وغيرهم من أكثر هذه المجالات أهمية. ولهذا وضع لها الإسلام القاعدة العامة الواضحة.

وتتمثل القاعدة في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧] وفي قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ...﴾ [البقرة:٢٥٦] فقد منح الله الإنس والجن حرية الاختيار للدين، التي تمثل واحدة من العناصر الأساسية للمحاسبة والتكليف. وجعل الحساب على الاختيار عقب انتهاء فترة الاختبار (الحياة الدنيا) بشرط تجنب الاعتداء على الآخرين ومعتقداتهم. يقول تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾ [يونس:٩٩][(١)].

وانطلاقا من هذه الحقيقة، جعل الله القاعدة العامة في طريقة التعامل بين المختلفين المسالمين، أو المعادين في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩﴾ [الممتحنة: ٨، ٩][(٢)].

كما هو واضح تؤكد الآيات السابقة بأنه ينبغي على المسلمين أن لا يجبروا أحدا على رحمة الإسلام وأن يقصروا جهودهم على الدعوة إليها، وأن يتركوا المحاسبة على الكفر إلى الخالق... فالله تعالى لا ينهى المسلمين عن القسط إلى من يرفض الإسلام لنفسه وبره، إذا كان مسالما أو مناصرا للمسلمين، وذلك في الحدود التي لا يضحي فيها المسلم بمصيره في الحياة الأبدية. فهذه المعاملة تسهم في توفير علاقة طيبة، ومناخ مناسب لإشراكه في نعمة الإسلام، فلعله يسلم يوما.

وإذا كان لا ينهانا عن البر بالكافر، فإن معاملته بالإنصاف والعدل واجبة على المسلم في جميع الأحوال. والعدل في الإسلام لا يتلوّن حسب الأهواء. وحتى في

(١) سورة البقرة: ١١٩؛ العنكبوت: ١٨.

(٢) والآيات الأخرى ص ٢٠ - ٢٤.

حالة حدوث العداوة، فقد تتبدل إلى المودة، إذ يقول تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [الممتحنة:٧]. وبدون شرط الإسلام.

فالأصل أن الإسلام يهدف إلى تحقيق السلام للمخلوقات المكلفة في الدارين: الدنيا والآخرة معا. وإذا رفض بعض الأطراف التعاون لتحقيق هذا السلام الشامل فإن الإسلام جاهز أيضا للتعاون على تحقيق السلام في مستوى الحياة الدنيا فقط مع هذه الفئة. وذلك في الحدود التي لا تُعرِّض مصير المسلمين إلى الخطر، ولاسيما في الحياة الأبدية.

ولم يأت الإسلام ليفرق بين الناس، وليزرع بينهم العداوة والبغضاء، بسبب هذا التنوع، أي بخلاف ما يفعله كثير من قادة الفكر أو السياسة. فالإسلام لا يتجاهل أهمية الروابط الفطرية والمكتسبة، وإن لم تكن في إطار العقيدة المحددة (إسلامية، مسيحية، بوذية...) بل، يحث على توطيد هذه العلاقات الفطرية بين المخلوقات ويعمل على تقويتها ويشجع على أداء حقوقها، في حدود أهميتها النسبية، ما دام ذلك يحقق لها السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة أو يحقق السعادة في الدنيا فقط بالنسبة للبعض، دون اصطدام بسعادة الآخر في الآخرة.(ابن هشام ج ٢: ١٠٧ - ١٠٨) ويؤكد هذه الحقيقة تكريم الإسلام الإنسان عموما، ومراعاة حق الرحم ومراعاة حقوق الروابط المكتسبة.

ومن هذه الروابط رابطة الإنسانية، حيث أثبت الله أخوة الكافرين لمن جاءهم من الأنبياء، واحترام الأموات، والمحبة الفطرية بين أفراد الأسرة، بصرف النظر عن الانتماء الديني. وأثبت الله محبة المتلقي للإحسان للمحسن إليه، وضرورة التعامل بالحسنى، وأجاز تبادل الهدايا، وحث على النصرة في الحق، وعلى حقوق الجار والضيف...[1].

(١) انظر مثلا Islamic Foundation of Cross Culture relations أو كتاب علاقة المسلمين بغير المسلمين.

وهناك حالات استثنائية، ومنها حدوث العداوة بين التوجهات الثقافية، أو المذهبية، التي يحرم على المسلم الحق أن يبدأها.

اختلاف الدين والوطن الواحد

لقد عرف الإسلام التعددية في أول وحدة سياسية إسلامية نشأت في المدينة. فقد كانت وحدة متعددة الأعراق (قبائل الأنصار وقبائل المهاجرين، واليهود)، ومتعددة الدين (المسلمون واليهود والوثنيون).

ويراعي الإسلام حقوق الأفراد وحقوق الجماعة، سواء أكانت أغلبية أم أقلية، ويوازن بينهما، ولكن بنسب متفاوتة مناسبة لكل منهما. فيمنح الجماعة حقوقا لا يمنحها للفرد. ويمنح الأغلبية حقوقا لا يمنحها الأقلية في الشؤون الجماعية التي يتعذر فيها التعدد، والتوحيد فيها ضروري.

ولهذا يجب على الحكومات أن تلاحظ هذه الحقيقة في قوانينها لتسهم في وحدة الوطن الواحد واستقراره. ويجب على الأفراد والأقلية ملاحظة الحقيقة نفسها. فالأصل أن يؤدي المواطن واجباته تجاه الوطن قبل المطالبة بحقوقه فيه.

ويمنح الإسلام للأقلية في الشؤون الفردية (مثل العبادات) والحقوق المدنية (مثل عقود النكاح والإرث) حقوقها المناسبة في ظل المبادئ العامة للدستور الذي تقره الأغلبية.

ومع إقرار الإسلام بميزات الأغلبية فإنه يحرص على حقوق الأقلية، إذ يقول نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم "أَلا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوِ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" والمقصود بالمعاهد معناه الشامل فيدخل فيه من له ذمة الله ورسوله، سواء أكان مواطنا أم مقيما[1].

(١) انظر العسقلاني ج ١٢: ٢٧٠ - ٢٧٢.

ونتيجة لهذه المبادئ التي طبقها حكام المسلمين بصفة عامة استمرت الدولة الإسلامية في بلاد الشرق الأوسط مدة طويلة، واستمرت المسيحية واليهودية تحت حكمها قرونا طويلة، بل وانتعشت فيها. ولهذا أيضا حافظت الأغلبية الهندية على ديانتها الهندوسية خلال حكم المسلمين لها سبعة قرون. ولهذا اعتنقت أغلبية دول شرق آسيا الإسلام، غم أن الجيوش الإسلامية لم تصل إليها. ولهذا كانت الدول الإسلامية في شمال أفريقيا خير ملجأ لليهود الذين فروا من أسبانيا بسبب الاضطهاد المسيحي لهم.

الفرق الدينية والوطن الواحد

برزت، في العصر الراهن، ظاهرة، بعضها لها جذور قديمة، ولكن تعاظم خطرها في ظل الوحدات السياسية المستقلة وحركة الهجرات الجماعية، ونمو الأطماع الدولية السياسية والاقتصادية. فنشأت ما يسمى بالأقليات الثقافية أو الدينية المرتبطة عبر الحدود الوطنية بقيادات أجنبية. وقد أسهم في نمو هذه الظاهرة وسائل الاتصال والمواصلات الحديثة، وازداد خطرها لصعوبة الاحتفاظ بالخصوصية الثقافية، ومنها الدينية؛ ولطغيان المؤامرات الدولية في العالم، يسودها سياسة الغاب، ليس للحصول على لقمة العيش فقط، ولكن للحصول على المزيد إلى ما لا نهاية.

وحتى بين أصحاب الديانة الواحدة ظهرت حركات أو تحزبات سياسية، مثل السلفية والصوفية، والوهابية والإخوانجية... وهي مسميات أو دمغات أو إكليشات صنعتها الفئات نفسها أو صنعها الآخرون. وهي قابلة للاستعمال للمدح أو للذم، يحرص أعداء الإسلام على استغلالها لإذلال المسلمين. وكثير من المسلمين مستسلمون لهذه الخدع ويتنازلون عن مصدر سعادتهم في الحياة الأبدية "بكل كرم"! وذلك بدعم هذه الانقسامات المدسوسة - أحيانا - لخدمة مصالح شخصية لبعض القيادات الفكرية والسياسية.

ولـو ألقينـا نظـرة علـى الانتمـاءات داخـل الـوطن الواحـد لوجـدنا أن قـضية الانتماءات متنوعة، ويمكننا التمييز بين نوعين منها:

١- الانتماءات الفكرية (اللادينة، والغربية) أو الدينية (مثل الإسلامية والمسيحية،) والمذهبية في ظل الديانة الواحدة. وهي انتماءات لا تتقيد بحدود الوحدات السياسية.

٢- والتحزبات السياسية المرتبة بالوطن المحدد.

ويـصطدم النـوع الأول مـن الانتمـاء - فـي العـادة - مـع الانتمـاء إلـى الوحـدة السياسية المحددة، مثل مسلم يعيش في دولة غير مسلمة والعكس، أو شيعي يعيش بين أغلبية تأخذ برأي جمهور علماء المسلمين والعكس. وبهذا تتصادم المصالح الوطنية العليا والعامة مع الانتماء إلى الإسلام أو إلى العقيدة الشيعية.

وهنا من الضروري التفريق بين عدد من الحالات:

١- حالة ينطبق عليها "لكم دينكم ولي ديني"، أي هناك مسيحي، وهناك مسلم.

٢- حالـة تنـدرج تحـت الاختلافـات التـي لا يترتـب عليهـا لعـن كـل طـرف الآخـر أو يـصمه بـالكفر، مثـل "أنـت إخـواني وأنـا سـلفي" فـالجميع يـؤمن بكتـاب الله الـذي حفظـه قـراء المـسلمين، وبنبيـه الأمـين ويـؤمن بـأن زوجاتـه أمهـات المـؤمنين وأن أصـحابه الآلاف هـم الـذين حفظـوا الـدين ونقلـوه إلـى الأجيـال التالية.

٣- حالة انتماء الفئتين إلى دين واحد، ولكن كل فئة تطعن في صحة انتماء الطرف الآخر للدين "المشترك". بل، في الوقت الذي تَعظم الفئة الأولى رموز الفئة الأخرى تقوم الفئة الأخيرة بتحقير ولعن رموز الفئة الأولى، وتزرع الأحقاد والضغينة وتحث على الإضرار بالفئة الأولى، وإن كان في السر أو في الدروس الخاصة.

والحالة الأخيرة تختلف كلية عن الحالة الأولى والثانية، وتتسم العلاقة بين طرفيها بالتعقيد الشديد، وذلك لأسباب. ومنها أن الدروس السرية مهما حاولت التقية في تغطيتها فهي لابد وأن تطفوا على السطح، ولاسيما في سلوك وألسنة

الأتباع المحرومين من الثقافة العامة، ومن القدرة على استخدام العقل والمنطق. ويضاف إلى ذلك أن التربية، منذ الصغر على موقف محدد، يصعب التخلص منه أو السيطرة عليه، مهما كانت غير منطقية و... ولا ينجح في التغلب عليه إلا أصحاب العقول المتميزة وذوي الإرادة القوية. ولا يجرؤ على انتقادها من المنتمين إليها علنا إلا من توفرت عنده الجرأة النادرة، واكتسب الحرية الحقيقية والاستقلال.

ولهؤلاء وجود... والأمل في نموهم بسبب انتشار الثقافة والوعي الشامل بالمصالح الشخصية والوطنية. ولم يخلوا التاريخ من هذه النماذج، فقد أشار إلى بعضها الأستاذ محمد ابن المختار الشنقيطي. في مقاله "السنة والشيعة بين التواصل والانقطاع".

ومن أسباب تعقد هذه الحالة إذا بدأت إحدى الفئات لعن الرموز العظيمة للفئة الأخرى، فإنه من الطبيعي أن ترد الفئة المقابلة بطريقة تلقائية، دفاعا عن رموزها إما بمعاقبة الذين ينالون من أعراض ومكانة رموزهم، أو بمبادلتهم البغض والعداوة، أو على الأقل بالإشفاق عليهم في أحسن الأحوال. وتنعدم الثقة في التعامل أو تضعف، ولاسيما إذا كانت الفئة التي تبيح لعن رموز الطرف الأول، تعتقد أن النفاق أو التقية وسيلة يثاب من يستعملها للدفاع عن معتقداتهم. وردة الفعل قد تأتي من إخوتهم المواطنين أو من الجهات الرسمية.

فينتج عن فقدان الثقة، إذا أكدتها كثير من التجارب، حرمان المنتمين إلى الفئة التي بدأت العداوة، إذا كانوا أقلية، من الحقوق التي يستحقها المواطن الذي يؤمن بأن مصلحة الوطن المشترك وإخوته المواطنين فوق كل انتماء، وأن المصلحة العامة التي تؤمن بها الأغلبية فوق المصالح الشخصية والخاصة.

وهنا يكون موقف المثقف من فئة الأقلية حرجا جدا ونسأل الله له حسن البصيرة والثبات على الحق. فهو، من جهة، يقف حائرا بين مصلحته الشخصية المرتبطة بمستقبله في وطنه وبالمواطنين الآخرين الذين يشاركونه خير الوطن وشره، ويسهمون في عزه أو في ذله. ومن جهة أخرى، ينازعه انتماءه الفكري

الضاغط... ولاسيما إذا استغلته القوى الخارجية المحاربة لوطنه أو لحكومته. وهنا يتميز العاقل واليقظ عن غيره، فهو يدرك أنه عندما يجد الجد يتخلى عنه من استغلوه وورطوه في وطنه مع بني وطنه وحكومته، بينما هم آمنون في أوطانهم. وإن هو لام المحرضين من الخارج سيردون عليه برد إبليس على من أغواهم: "إنما دعوتكم فاستجبتم لي".

وأما إذا تجاوز الأمر إلى خيانة الوطن المشترك الذي ينعم بخيراته التي تمنعه من الهجرة، فالمسألة تصبح خطيرة، ولا تقره القيم الأخلاقية الإنسانية، مهما كانت فلسفتها أو ديانتها. وأبرز علامة لهذه الخيانة هي الاستعانة بأعداء الوطن والتعاون معهم بأي شكل من الأشكال ضد مصلحة الوطن المشترك.

وصحيح أن مصطلح "المصلحة العامة للوطن" مطاط، ولكن يمكن تجسيده في معيار قوي هو: هل المعيشة في الوطن أكثر سعادة وأفضل مستقبلا من العيش خارجه؟ إذا كانت الإجابة: نعم، فإن العاقل يصمم على نيل حقوقه بالطرق السلمية، دون الاستعانة بجهات خارجية ويلح في جهوده الإصلاحية بطرق حكيمة. وسيتحقق ما يريده، بإذن الله، إن كانت مصلحته الشخصية لا تتعدى على المصلحة العامة للوطن كله. وهذا ما فعله سيد الخلق حتى انتشر الإسلام في كافة أرجاء الأرض.

وتنطبق القاعدة نفسها على المقيم مؤقتا في غير وطنه، فالمثل يقول "يا غريب كن أديب" والأخلاق الإنسانية والإسلامية تقول "إما أن تكسب عيشك بأدب، أو تغادر سالما". وتذكرني هذه الحقيقة بأحد الإخوة الذي ناشد الأقلية المسلمة في دولة غير مسلمة، في خطبة الجمعة، بشكر الأكثرية على الاستضافة، وحثهم على رد الجميل ببذل شيء من الجهد لإشراكهم في نعمة الإسلام بدون إكراه أو خداع.

ونقول للضيف الذي يسهم في تنمية الوطن ويجمع نقودا لنفسه وأهله ويدعي أنه يريد المساهمة في إصلاح نظام وطننا: "جزاك الله خيرا على نيتك الحسنة. نحن لا نحتاج مساعدتك في هذا المجال، ووفر جهودك لإصلاح وطنك".

وأحيانا، لا تقصد الأقلية المسلمة، معاداة الأكثرية غير المسلمة، ولكنها تردد أو تعلم أبناءها، عن حسن نية، بعض المفاهيم الخاطئة للجهاد والولاء والبراء والتفسيرات الخاطئة لنصوصها. ومن الطبيعي أن يترتب على ذلك إثارة الشكوك حول المدرسة الإسلامية، وتهمتها بالترويج للترويع (للإرهاب) terrorism. وقد تتأثر بعض الأجيال المتحمسة والمتذمرة من سياسة بعض الدول الغربية فيترجموا هذه المفاهيم إلى أفعال تضرهم وتضر الأقلية المسلمة والإسلام.

وبالمناسبة سمعت إشاعة بأن بعض الشيعة في المدينة المنورة يقولون بأنهم هم أحفاد الصحابة، وطيبة الطيبة هي لهم من عهد أجدادهم. وأنا واثق بأنها إشاعة مغرضة ضد إخوتنا الشيعة، وذلك لأن الشيعي الذي يدعي بأنه من نسل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يفترض احتمالين، لا ثالث لهما، هما:

١- أن من شيمة الشيعة لعن أجدادهم ديانة. وهذا أستبعده من خلال تعاملي مع كثير من الشيعة في المستويات التعليمية المختلفة والطبقات الاجتماعية. فالمثقفون اليقظون يقرون بأن كثيرا من مشايخهم يلقنونهم لعن رموز غالبية المسلمين وكسب الأجر من أذية من يخالفونهم، ولكن أجداهم فلا.

٢- أن الشيعة يعتبرون الصحابة أعداء للإسلام، وكأنهم لا يزالون على قيد الحياة، فيجوز الدعاء عليهم أو لعنهم لاكتفاء شرهم. وكما نعلم لقد انتقل الصحابة إلى ربهم منذ قرون، بعد أن فدوا الإسلام بأموالهم وأرواحهم... ولهم أعمالهم ولنا أعمالنا، نحن الأحياء.

دور قادة الفكر والسياسة

لقد قلنا أن الأصل في العلاقة بين المختلفين عقيدة أو حضارة أو فكرا أو مذهبا هي العلاقة السلمية، ولكن هل يترك الطامعون في المال والجاه من قادة الفكر ولاسيما السياسيون، العلاقة سلمية في حال سبيلها؟

عندما نستقرئ التاريخ نلاحظ أن قادة الفكر ولاسيما السياسيون هم الذين يخلقون الاختلافات ويشعلونها. وهم الذين يسخرونها لتحقيق المصالح الشخصية تحت شعار المصلحة العامة للفئة التي يطمع في استغلالها و"حلبها". وفي الوقت نفسه قادة الفكر والسياسيون منهم، هم القادرون على إطفاء نيران الاختلافات بطرق سلمية أو - على الأقل- التخفيف من أخطارها.

سعيد صيني

٥/ ٦ /١٤٣٥هـ

هل خطر الحكم الإسلامي كخطر الحكم المسيحي في أسبانيا

يتحدث بعض اخوتنا عن خطورة النظام الإسلامي على أصحاب الديانات الأخرى. وقد أعذرهم لعدم توفر الفرصة لقراءة التاريخ بعناية وبنظرة محايدة. لقد تبيّن لبعض إخوتنا من المسيحيين في مناسبات، منها المؤتمر الذي تبنه مملكة البحرين عنوان الحوار الإسلامي المسيحي عام ٢٠٠٢ أن الحقيقة تقول عكس ذلك. فكان المؤتمر ينطلق من قول النبي محمد صلى الله عليه وسلم "الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ"[1].

فالحقيقة تؤكد بأن من يعش في بعض البلاد الإسلامية التي يشترك فيها المسلمون مع اخوتهم المسيحيين يرى مثالا رائعا للتعاون التلقائي غير المتكلف بين أتباع الديانتين، سواء يسكنون عمارة واحدة أو يعملون في مؤسسة واحدة، أو يتعاملون لتبادل مصالح مشتركة...

وليس غريبا أن نرى ذلك فإن هذه العلاقة الودية التعاونية بين المسيحيين والمسلمين تمتد إلى قرون عديدة وتستند إلى أسس مشتَركة خاصة قوية كثيرة، وإن كانت تواجهها أيضا بعض العقبات الخاصة والعامة، ولكن مع حسن النية وحسن الاتباع للتعاليم الدينية ليست هناك عقبات يستحيل تذليلها.

---

(١) صحيح البخاري: أحاديث الأنبياء.

أولا: الأسس المشتركة الخاصة

عندما نتأمل في الأشياء المشتركة بين المسيحيين والمسلمين نجد أشياء كثيرة يصعب حصرها، وعلى رأس هذه الأشياء هو انتسابهم جميعا إلى آدم عليه السلام، حيث يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحُجُرات:١٣]. فأصل الناس جميعا واحد، لهم أب واحد وأم واحدة، ويتكاثرون بالطريقة نفسها، ويتشابهون في التكوين الأساسي: العضوي والروحي والعقلي والنفسي والسلوكي؛ ويتشابهون كذلك في الدوافع والاحتياجات الأساسية للإنسان.

والتشابه لا يقف عند هذا الحد، ولكن يتعداها إلى التشابه في التشريعات الأساسية، وفي المبادئ الأخلاقية الأساسية، مثل حب الخير وكراهية الشر، وحب العدل وكراهية الظلم.

وإضافة إلى ذلك فإن هناك أشياء خاصة متشابهة منها:

أولا. الاتفاق على المكانة الخاصة لعيسى عليه الصلاة والسلام. فالإسلام يعتبره نبيا ورسولا ذا مكانة خاصة، فمثلا يقول تعالى ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥﴾ [آل عمران:٤٥] ويقول تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾ [آل عمران:٥٩].

ثانيا. الاتفاق على طهارة مريم العذراء ومكانتها العالية، وهذا ظاهر مثلا في قوله تعالى: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾ [التحريم:١٢].

ثالثا. تخصيص الإسلام أهلَ الكتاب ومنهم المسيحيين بمجموعة من الميزات عن غيرهم. ومنها:

١- إباحة أكل المسلمين لطعامهم إلا ما ورد نص في تحريمه[١].

٢- إباحة زواج المسلم من نسائهم[٢].

رابعا. خصّ القرآن الكريم المسيحيين بمدح لم يحظ به أهل الكتاب الآخرين، وذلك في قوله تعالى: ﴿...وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المائدة:٨٢].

خامسا. جعل النبي صلى الله عليه وسلم أحد ملوكهم موضع ثقة لأصحابه المضطهدين حيث أمرهم ناصحا: "لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملِكا لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق"[٣]. وكانت نصيحته صلى الله عليه وسلم في مكانها. فقد رحّب بهم النجاشي في أرضه وردّ مبعوث قريش الذي جاء ليستعيدهم خائبا[٤].

سادسا. أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم خيرا بأهل مصر وكانوا أقباطا بقوله: "إنكم ستفتحون مصر، ...فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحِما". وذلك لأن هاجَرَ أم إسماعيل عليهما السلام، الجد الأعلى للنبي صلى الله عليه وسلم، كانت من مصر. وكذلك كانت مارية، إحدى أمهات المؤمنين[٥].

سابعا. شهد التاريخ الإسلامي تقدير كثير من خلفاء المسلمين لذوي الكفاءات العالية من المسيحيين.

---

(١) سورة المائدة: ٥.

(٢) سورة المائدة: ٥.

(٣) ابن هشام ج ١: ٢٨٠.

(٤) البخاري: مناقب الأنصار، هجرة الحبشة وانظر: العسقلاني ج ٧: ٢٢٧ - ٢٣٠؛ ابن هشام ج ١: ٢٨٠ - ٢٩١؛ والندوي ص ١٣١ - ١٣٥.

(٥) مسلم: فضائل الصحابة، وصية النبي؛ وانظر: الصالح ج ١: ٢٥٤ - ٢٥٥.

ثامنا. وفي العصر الحاضر يضع المسلمون يدهم في يد إخوانهم المسيحيين ليسهموا في تنمية البلاد التي يعيشون فيها كمواطنين أو ذوي مصالح مشتركة. ووصل بعض المسيحيين - في البلاد الإسلامية بالأغلبية- إلى مناصب رفيعة، بل قاموا بتمثيل بلادهم في مؤتمرات إسلامية على مستوى الوزراء، وربما ترأسوا بعض اجتماعاتها.

تاسعا. إن من يراجع الكتاب المقدس عند المسيحيين، والقرآن الكريم مراجعة فاحصة يتضح له أن الدين المسيحي والإسلام بريئان من الحروب التي نشبت وتنشب بين أتباعها. فمن يقوم بإشعال هذه الحروب وتأجيجها هم دائما بعض أتباع الديانتين.

ثانيا: العقبات الخاصة والعامة

لا شك أن العلاقة بين المسيحيين والمسلمين رغم توفر عوامل قوية تعززها فهي مثلُ أيّ رابطة إنسانية محاطةٌ بالعقبات، ومن هذه العقبات الخاصة ما يلي:

أولا - الاختلاف الجذري حول الطريقة الصحيحة التي تحقق السعادة في الحياة الأبدية في الآخرة. فالمسيحيون المنصفون عموما يحترمون محمدا عليه الصلاة والسلام بصفته مصلحا اجتماعيا، وبصفته نبيا للمسلمين، ولكن ليس بصفته رسولا ملزمون بالإيمان برسالته وبتطبيق تعاليمه. ومن جهة أخرى، فإن صميم عقيدة المسلمين يقتضي توقير عيسى عليه الصلاة والسلام بصفته نبيا من أنبياء الله الواجبُ الإيمان بهم، ولكن يرون الإسلام مكملا ومعدلا لرسالته، ولا يخلعون عليه أي صفة من صفات الألوهية.

ثانيا - الإسلام مجموعة شاملة من المعتقدات الملزمة والعبادات والمعاملات والأخلاق، وذلك لأن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم كان رسولا نبيا، وزوجا، ووالدا، ورئيس دولة، وقائد جيش... وفي المقابل فإن المسيحية تكاد تقتصر على

بعض المعتقدات والعبادات المحدودة، ولاسيما بعد أن أصبحت التشريعات المتعلقة بالمعاملات تخضع لتصويت الأغلبية.

ثالثا - الطبيعة الدعوية للديانتين. فكلاهما حريصتان على إقناع الآخرين باتباع سبيليهما لتحقيق النجاة والفوز في الحياة الأبدية خاصة.

وأما الأسباب العامة فمنها ما يلي:

أولا - الصراع بين الخير والشر جزء طبيعي من الحياة في هذه الدنيا الفانية، دار الاختبار. فأعوان الشر لا يزالون نشطين في محاربة الخير، وفي ترويج الشر. ومن الشر إثارة الفتن والعداوة بين البشر حتى يخسر الجميع بانتصار الشر وهزيمة الخير.

ثانيا - استغلال بعض القيادات وخاصة السياسية الاختلاف في الدين لتحقيق مصالحهم الشخصية التي أضعفُها إشباع الغرور بالنفس، ومن أبشعها الحصول على المكاسب المادية من مروجي أسلحة الدمار وصانعيها، وذلك بالمساهمة في خلق القلاقل والحروب في أرجاء الأرض.

وقد يتسبب في الصراع - أحيانا - أفراد عاديون ولكن قادة الرأي هم الذين يقومون بتصعيدها واستغلالها لتحقيق مصالحهم الشخصية.

ثالثا - عدم التأني في تشخيص الواقع بالنسبة لسلوك الآخرين وأقوالهم والتسرع في رد الفعل، أي التفاعل مع الأحداث بعاطفية بدلا من التعامل معها بعقلانية.

رابعا - الحسد والحقد الأعمى عند بعض الأشخاص من أتباع الديانات قد يكون سببا في الابتداء بالعدوان وإشعال نار الحرب.

خامسا - الجهل بالتعاليم الدينية الصحيحة بين أتباع الأديان، أو سوء فهم النصوص المتعلقة بالعلاقة بين البشر في الكتب السماوية بسبب تجريدها - غالبا - من سياقاتها الطبيعية. فيؤدي ذلك إلى الخروج بتفسيرات مخالفة للمعنى الأصلي الذي يظهر جليا لو تأملنا هذه النصوص المقدسة في ظل سياقاتها.

ثالثا: الحلول مع حسن التطبيق للتعاليم الدينية

هناك حلول ينبغي للأطراف المتحاورة في البيئة المحددة والظروف المحددة الاتفاق عليها بالتفاهم، ولكن هناك حلول عامة يمكن إيجازها فيما يلي:

أولا - هناك حاجة ملحة إلى جهود العلماء في الديانتين بصورة مستقلة أو بالتعاون لتحقيق التوعية اللازمة –كما جاء في الكتب المقدسة- في مسألة التعايش السلمي والتعاون لنشر الخير وتحقيق العدل في الأرض والتكاتف لدفع الشر والظلم، وتذكير القيادات السياسية بالقيم الأخلاقية الدينية.

ثانيا - أن يدرك المسيحيون والمسلمون بأن أوجه الاتفاق لا حصر لها فيركزون عليها ويتعاونون فيها، وأن أوجه الاختلاف معدودة ويمكن حصرها والاتفاق على طريقة التعامل معها.

ثالثا - أن يدرك المسيحيون والمسلمون بأن الاختلاف ليس كلُّه شر، وأن الاتفاق ليس كلُّه خير، وأنه لا غناء عنهما لتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة. والمهم هو كيف نسخرهما لتحقيق مصالحنا في الحياة المؤقتة وفي الحياة الأبدية.

رابعا - أن ندرك بأنه ليس من مسؤولية أحد - في هذه الحياة - محاكمة الآخرين على ما يختارونه طريقا للنجاة في الآخرة، ما لم ينقض عهدا قطعه على نفسه (مثلا التزم بالإسلام ولم يعمل به) أو يؤذي الآخرين. فالله سبحانه وتعالى يقول ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦]. وهو أحكم الحاكمين. وهو الذي سيحاسبهم يوم الحساب. فهو مالك يوم الدين.

خامسا - أن يتم تحديد الأشياء المختلف عليها ونقول فيها كما ورد في القرآن الكريم: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾ [الكافرون:٦]. ونركز على الأمور التي يمكن الاتفاق فيها من أمور الدنيا.

ومن الواضح أن هذا التفريق يسهل تطبيقُه في مجال المعتقدات والعبادات عموما، وذلك لأنها أشياء يغلب عليها أن تكون فرديةُ الصبغة.

أما في مجال المعاملات فيحتاج الأمر إلى جهود كبيرة، وذلك لأن المعاملات لا تكون إلا مشتركة بين طرفين أو أكثر. فتتشابك فيها حقوق الأفراد، وحقوق الأطراف المعنية بصورة مباشرة (مثل العقود بين الأفراد المحددين) وحقوق الجماعة. كما تتشابك فيها حقوق الأقلية مع حقوق الأغلبية، في حالة تعذر الإجماع. وتتشابك فيها المعاملات الإلزامية بالمعاملات الاختيارية...

ولو تُرك أمر التشريعات للملتزمين من رجال الدين المسيحيين والمسلمين، المحافظين على قدر كبير من الفطرة السليمة والفاهمين لكتبهم المقدسة، فإن الأمر سيكون أكثر يسرا، وذلك للتطابق الكبير بين كثير من القيم الأخلاقية في القرآن الكريم وسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام وكثير من القيم الموجودة في الكتاب المقدس عند المسيحيين، حتى في صورته الراهنة.

أما إذا تُرك أمر التشريعات الأساسية للأغلبية الشعبية التي ربما فقدت كثيرا من فطرتها السليمة وانحرفت عن قيم الكتب المقدسة وتلوثت ببعض قيم هذا العصر فإن المشكلة ستكون أكثر تعقيدا وخطورة بالنسبة للتشريعات في بعض مجالات الحياة...

وهنا قد يتبادر إلي الذهن سؤال كبير، هو: ماذا عن نوع نظام الحكم؟ فأقول ولي الآن حوالي عشر سنوات أبحث في هذا الموضوع بصورة متقطعة:

لقد وهِم البعض بان النظام الوراثي يتعارض مع الإسلام. وهذا الوهم غير صحيح. كما وهِم البعض بأن النظام الديموقراطي هو النظام الإسلامي الشوري. وهذا الوهم غير صحيح. والأدلة على ذلك كثيرة ليس هذا مقام سردها.

ووهِم البعض بأن النظام الإسلامي للحكم لا يحقق العدالة الاجتماعية لغير المسلمين، حتى مع الفهم الصحيح والتطبيق الصحيح. وهذا الوهم غير صحيح. ومن الأدلة التي تؤكد عدم صحته استمرار الدين المسيحي وربما ازدهاره في البلاد التي تعاقبت عليها حكومات إسلامية كثيرة عبر القرون الطويلة. وتظهر هذه الحقيقة جلية بمقارنة وضع الإسلام في البلاد المسيحية، حيث يغلب عليه الغياب

والانقطاع قرونا عديدة، حتى بدأ يظهر من جديد حديثا في ظل االنظم التي تقصر حرية الدين على حرية العبادة وبعض اللاوائح التي تندرج ضمن الأحوال الشخصية.

وكذلك من الأدلة طريقة استقبال المسيحيين المحكومين من بني عقيدتهم الروم للفاتحين المسلمين بعد تعاملهم معهم دليل على أن العدل لا يرتبط بالدين بقدر ما يرتبط بفهم أتباع ذلك الدين وتطبيقهم لتعاليمه.

وأسأل الله أن يسدد خطانا لما فيه الحق وأن يبارك جهودنا التي يتحقق بها العدل في الأرض.

والسلام عليكم.

سعيد صيني

من أسباب الحركات الإرهابية

من خلال قراءتي لكثير من المقالات التي تدور حول أسباب الفكر "الإرهابي" أو على الأصح الإرعابي. بين بعض القيادات الإعلامية، التي نعول عليها في نشر الحق ودحض الباطل، ألاحظ تراشقا بالتهم، بدلا من التعاون على التشخيص الجيد للواقع المر.

فهل المسألة مناقشة واقعية، تهدف إلى الوصول إلى بعض الأسباب الجذرية للفكر "الإرهابي" (الإرعابي) [1] ومعالجتها؟ أم المسألة تراشق بسهام التطرف؟ فقد يكون التطرف تمسحا بالثقافة اللادينية وتمجيدا لبريق الحضارة العلمانية، وغفلة أو جهلا بالمعتقدات الدينية التي ننتمي إليها؟ وقد يكون التطرف إعتقادا بأن بعض علمائنا معصومون ويمثلون الكتاب والسنة، ويحتكرون فهمهما، وإن خالف بعض آرائهم النادرة، العقل والفطرة، في قضايا مصيرية.

(١) هناك خطأ شائع كلمة terrorisme تترجم إلى "إرهاب" وترجمتها الصحيحة "إرعاب". وأما الإرهاب فترجمتها هي intimidation.

فمن المعلوم أن شبابنا المتحمسون... الذين تصطادهم الجماعات المنحرفة، فيضحون بأرواحهم لقتل المسلمين باسم الإسلام، لا يولدون أشرارا. ولكن فكرهم الضال هو نتيجة عوامل عديدة، منها: نوع المعلومات الدينية والثقافية التي تلقوها، وأوضاعهم النفسية، مثل شعورهم بالفشل في الحياة أو شعورهم بالظلم والإحباط بسبب بعض القرارات التي تتخذها بعض الحكومات المحلية أو الدولية أو تمارسها على الضعفاء. ولا يختلف الأمر أكان الظلم بسبب الغفلة البريئة، أو الجهل المصحوب بتجاهل النصيحة والتنبيه.

فقد صادف أن أخذ أحدهم عددا من النسخ في زيارته إلى إندونيسيا من كتاب "العشر الأخير"، وأعطى كمية منه لإمام مسجد. فجاءه إمام المسجد محتجا، في اليوم التالي، قائلا: هل يرضيك أن يخرج المصلون الشباب المتحمسون من المسجد ليقاتلوا بعض أقاربهم وجيرانهم من غير المسلمين؟ فهناك أسر هي خليط من الديانات، ومنها أسرة - نبذل جهدا في إسلامها - أسلم الابن فيها والابنة تتردد بين الإسلام والبقاء على دين والدها المسيحي... والأم بوذية.

قال له صاحب الهدية: ما سبب سؤالك هذا؟

قال: ورد في كتابك قول النبي صلى الله عليه وسلم "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله". وترجمته الحرفية بالإندونيسية...

فتألم صاحب الهدية، لأن يرد هذا النص، دون غيره، في الكتاب الدعوي المفيد جدا، والذي يتم توزيعه بالملايين، وبدون التنبيه إلى سياقه الخاص. لقد ورد هذا القول النبوي لحقن دم شخص أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله، ثم تراجع، عندما علم أنه يشهد أن لا إله إلا الله. فمع أنه كان كافرا شديد العداوة للمسلمين، فإن شبهة أنه أصبح مسلما، بقوله لا إله إلا الله، كانت كافية لحقن دمه.

وهي غفلة، لا أشك في براءتها. فوراء الكتاب جهود مخلصة لنشر الثقافة الإسلامية التي يحتاجها المسلمون الجدد، أو من لم تتوفر لهم الفرصة للحصول على الضروري منها. وهي جهود مشكورة، وتسد ثغرة كبيرة.

وفي المقابل، ومما هو جدير بالإشارة، في هذا المقام، أن جهودنا قاصرة في توعية بعض اخوتنا المواطنين بالحسنى في مجال المعتقدات المنحرفة عن الحق. وهي قاصرة في تحصين المسلمين في الدول التي تغزوها بعض الدول المعادية للإسلام، بدون وعي، وتعادي المملكة بوعي. فهذه الدول المعادية تنشط، منذ سنين، في نشر معتقداتها المنحرفة عن الإسلام بجهود دعوية سلمية في أمان، وتشتري بعض المسلمين من ذوي الضمائر الميتة فتسخرهم لتحقيق أهدافها... فتكسب إلى صفها الشعوب الإسلامية التي تجهل حقيقة معتقداتها.

وأما الذين يمثلون الحق فيغطون في نوم عميق، ولا يصحون إلا وقد أحاط الأعداء بهم من كل جانب... ومن المؤلم أن بعض الأصوات قد بُحّت، وبعض الجهود الفردية المحدودة قد غمرت بسبب كثافة الجهود الرسمية للعدو، وبسب عزوف من يمثلون الحق عن المبادرة بالجهود السلمية اللازمة الحثيثة بعيدة الهدف.

ويحدث كل هذا في غمرة النشوة بتحقيق بعض الأهداف الأقل أهمية، وفي غمرة الانشغال بالشئون اليومية العلاجية، بدلا من الاهتمام بالجهود الوقائية المبكرة.

وأسأل الله أن لا يحرم أصحاب القرار المخلصين لهذا الدين ولهذه البلاد ومستشاريهم من القرارات الصائبة والآراء الصائبة، في الوقت المناسب.

سعيد صيني

٢٨ /١٠ / ١٤٣٦ هـ

ما هو البديل للحد من الإساءة إلى الإسلام؟

عميد المجموعة ينادي بإصدار قرار أممي للحد من الإساءة إلى الإسلام.

وأقول: صحيح أن للقرار المقترح إيجابياته وسلبياته، وسلبياته ترجح بالنسبة للإسلام، لأن أصحاب الديانات الأخرى ستطالب بذلك أيضا. وهنا الخطورة.

لعلي أستعيد نقاشا في الموضوع عقب محاضرات عن ظاهرة إساءة أعداء المسلمين إلى الإسلام، حيث اقترح أحد الحاضرين بأن العلاج لهذه الحالة هو مقاطعة منتجات الدول التي تحدث فيها الإساءة. واقترح آخر بأن العلاج هو القيام بمظاهرات أمام سفارات وقنصليات الدول التي تسمح بذلك.

فقيل في التعليق على الاقتراح الأول:

١- لا يقر الإسلام معاقبة الجماعة لجريمة ارتكبها الفرد، أو عقوبة الأبرياء من المناصرين والمحايدين لجرائم ارتكبها أفراد أو مؤسسات، ربما استأجرتها قوى خارجية، من خلف الكواليس...

٢- لا يُعتمد على "التجار" الذين لا يمانعون في إغراق أسواق المسلمين بمنتجات "غير المسلمين" الضرورية وغير الضرورية ليسلبوا المسلمين أموالهم التي يكسبونها من عرق جبينهم وكدهم. بل وأحيانا يضحون بواجباتهم تجاه ربهم ومخلوقاته ليكسبوا تلك العملات التي لا تنفع إلا في الحياة المؤقتة. ومؤيدا هذه الحقيقة التي تنطبق على كثير من التجار، ربما أغلبيتهم: قال أحدهم ساخرا: "ها ها. التجار مستعدون لبيع أوطانهم ومواطنيهم وآخرتهم في سبيل كسب الدولارات!"

أما في التعليق على الاقتراح الثاني فقيل:

١- ليس من الحكمة منح أعداء المسلمين فرصة أو أدلة لتهمة الإسلام والمسلمين بالغوغائية و"الإرهاب" (الإرعاب) و... يضاف إلى ذلك أنه من المعلوم أن أعداء الإسلام لا يتورعون عن دفع ملايين الدولارات لصناعة مثل هذه الأدلة أو لتأجيجها وتضخيمها. ويسهم كثير من المسلمين في تضخيمها وتأييدها عن حسن نية...

٢- من المشاهد والثابت أن الذين يعبرون بهذه الوسيلة يميلون إلى العاطفة في ردود الفعل، بدلا من العقل. فمثلا يخرب البعض ممتلكات الآخرين ويشجعها البعض الآخر أو ينظر إليها البعض الثالث برضا (وإن كان في القلب فقط)

للدفاع عن الإسلام. وهذا مع أننا نقصر في أداء عباداته وفي بذل الجهد اللازم لفهم فروضه وواجباته و... وكثيرا ما نتحمس للدفاع عن المخطئين ونتحمس لحقوقهم الظاهرة الوقتية على حساب حقوق المجتمع وأغلبيته وحقوق المذنبين المستقبلية في مستوى الدنيا والآخرة. كما أننا نتجاهل الواقع الذي يؤكد بأن الشر فيه خيارات متعددة، والخير كذلك. فليس هناك ما يسمى خير كله أو شر كله، والعاقل، بخلاف العاطفي، لا يتجاهل هذه الحقيقة فيختار ويؤيد خير الموجود، بدلا من رفضه والمصارعة من أجل المستحيل... فيعين بذلك أعداء الإسلام والمسلمين، بدلا من تأييد الحق المتوفر وتحسينه.

وهنا ارتفعت أصوات محتجة: فما هو البديل؟

فجاءت الإجابة المستفادة من اليهود الصهاينة الخبثاء! وما المانع من الاستيراد منهم؟ فنحن نستورد تقريبا كل شيء (الخير والشر) من غير المسلمين لندفع الجوع والظمأ... ولندافع عن أنفسنا.

إن الصهاينة يدرسون الأنظمة المحلية ذات العلاقة فيستفيدون منها في إرعاب وتخويف من "يسيء" إلى معتقداتهم وادعاءاتهم و... بل ويعملون بجد لاستحداث قوانين محلية تدين العداوة للساميين مثلا (طبعا يخرج منها العرب أبناء عمومة اليهود). ومثال تلك العداوة إنكار خرافة الذبح الجماعي لليهود المتهم به هتلر.

فهذا البديل لا يحتاج إلا إلى القليل من المخلصين من رجال القانون الماهرين، ومساندة قليل من "التجار" الأسخياء المخلصين، وقابل للتحقيق وثبت جدواه في الحد من الإساءة إلى الأقليات ومعتقداتها.

سعيد صيني

الإسلام المعتدل والكاثوليكية المتطرفة

لقد أثارت القصة التي رواها لنا الأستاذ عبد العزيز آل محمود - جزاه الله خيرا - عن مأساة غرناطة وطغيان الكاثوليكية المتطرفة بعض المحاورات التي طُرحت في

عدد من ندوات ومؤتمرات الحوار بين ممثلي الأديان. ولعلي أسجل خلاصتها في المشاركة التالية بعنوان:

موقف الكتاب والسنة من أهل الكتاب

إن من يعش في بعض البلاد الإسلامية التي يشترك فيها المسلمون مع إخوتهم المسيحيين يرى مثالا رائعا للتعاون التلقائي غير المتكلف بين أتباع الديانتين، سواء يسكنون عمارة واحدة أو يعملون في مؤسسة واحدة، أو يتعاملون لتبادل مصالح مشتركة... وهذه العلاقة الودية التعاونية بين المسيحيين والمسلمين تمتد إلى قرون عديدة وتستند إلى الفطرة السليمة والأسس المشتَركة القوية، وإن كانت تواجهها أيضا بعض العقبات التي يصطنعها بعض قادة الرأي عن حسن نية أو لتحقيق مصالح شخصية.

ومن الأسس المشتركة أنه عندما نتأمل في الأشياء المشتركة بين المسيحيين والمسلمين نجد أشياء كثيرة يصعب حصرها، وعلى رأس هذه الأشياء هو انتسابهم جميعا إلى آدم عليه السلام، حيث يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجُرات:١٣]. فأصل الناس جميعا واحد، لهم أب واحد وأم واحدة، ويتكاثرون بالطريقة نفسها، ويتشابهون في التكوين الأساسي: العضوي والروحي والعقلي والنفسي والسلوكي؛ ويتشابهون كذلك في الدوافع والاحتياجات الأساسية للإنسان.

والتشابه لا يقف عند هذا الحد، ولكن يتعداها إلى التشابه في التشريعات الأساسية، وفي المبادئ الأخلاقية الأساسية، مثل حب الخير وكراهية الشر، وحب العدل وكراهية الظلم.

وإضافة إلى ذلك فإن هناك أشياء خاصة متشابهة منها[1]:

(١) انظر: الموضوع السابق بعنوان "الإسلام المعتدل والكاثوليكية المتطرفة".

أولا. الاتفاق على المكانة الخاصة لعيسى عليه الصلاة والسلام. فالإسلام يعتبره نبيا ورسولا ذا مكانة خاصة.

ثانيا. الاتفاق على طهارة مريم العذراء ومكانتها العالية.

ثالثا. تخصيص الإسلام أهلَ الكتاب ومنهم المسيحيين بمجموعة من الميزات عن غيرهم. ومنها:

١- إباحة أكل المسلمين لطعامهم إلا ما ورد نص في تحريمه.

٢- إباحة زواج المسلم من نسائهم.

رابعا. خصّ القرآن الكريم المسيحيين بمدح لم يحظ به أهل الكتاب الآخرين.

خامسا. جعل النبي صلى الله عليه وسلم أحد ملوكهم موضع ثقة لأصحابه المضطهدين حيث أمرهم ناصحا بالهجرة إليه.

سادسا. أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم خيرا بأهل مصر وكانوا أقباطا.

سابعا. شهد التاريخ الإسلامي تقدير كثير من خلفاء المسلمين لذوي الكفاءات العالية من المسيحيين.

ثامنا. وفي العصر الحاضر يضع المسلمون يدهم في يد إخوانهم المسيحيين ليسهموا في تنمية البلاد التي يعيشون فيها كمواطنين أو ذوي مصالح مشتركة. ووصل بعض المسيحيين - في البلاد الإسلامية بالأغلبية - إلى مناصب رفيعة، بل قاموا بتمثيل بلادهم في مؤتمرات إسلامية على مستوى الوزراء، وربما ترأسوا بعض اجتماعاتها.

تاسعا. إن من يراجع الكتاب المقدس عند المسيحيين، والقرآن الكريم مراجعة فاحصة يتضح له أن الدين المسيحي والإسلام بريئان من الحروب التي نشبت وتنشب بين أتباعها. فمن يقوم بإشعال هذه الحروب وتأجيجها هم دائما بعض أتباع الديانتين.

ويلاحظ، في ظل الحقائق السابقة، أن العلاقة بين الإسلام والمسيحية هي علاقة حميمة، يمكن بسهولة بناؤها على قوله تعالى ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون:٦].

ويمكن حل مشكلات الاختلاف في الدين بطرق، منها الحوار للاتفاق على طرق التعامل مع المختلف فيه، وطرق تعزيز المتفق عليه. وبصورة عامة، يمكن الاسترشاد بما يلي:

أولا - هناك حاجة ملحة إلى جهود العلماء في الديانتين بصورة مستقلة أو بالتعاون، لتحقيق التوعية اللازمة - كما جاء في الكتب المقدسة - في مسألة التعايش السلمي والتعاون لنشر الخير وتحقيق العدل في الأرض والتكاتف لدفع الشر والظلم، وتذكير القيادات السياسية بالقيم الأخلاقية الدينية.

ثانيا - أن يدرك المسيحيون والمسلمون بأن أوجه الاتفاق لا حصر لها فيركزون عليها ويتعاونون فيها، وأن أوجه الاختلاف معدودة ويمكن حصرها والاتفاق على طريقة التعامل معها.

ثالثا - أن يدرك المسيحيون والمسلمون بأن الاختلاف ليس كلُّه شر، وأن الاتفاق ليس كلُّه خير، وأنه لا غناء عنهما لتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة. والمهم هو كيف نسخرهما لتحقيق مصالحنا في الحياة المؤقتة وفي الحياة الأبدية.

رابعا - أن ندرك بأنه ليس من مسؤولية أحد –في هذه الحياة- محاكمة الآخرين على ما يختارونه طريقا للنجاة في الآخرة، ما لم ينقض عهدا قطعه على نفسه (مثلا التزم بالإسلام ولم يعمل به) أو يؤذي الآخرين. فالله سبحانه وتعالى يقول ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾[البقرة:٢٥٦]. وهو أحكم الحاكمين. وهو الذي سيحاسبهم، عقب انتهاء فترة الاختبار. فهو مالك يوم الدين.

ومن الواضح أن هذا التفريق يسهل تطبيقُه في مجال المعتقدات والعبادات عموما، وذلك لأنها أشياء يغلب عليها أن تكون فرديةُ الصبغة.

أما في مجال المعاملات فيحتاج الأمر إلى جهود كبيرة، وذلك لأن المعاملات لا تكون إلا مشتركة بين طرفين أو أكثر. فتتشابك فيها حقوق الأفراد، وحقوق الأطراف المعنية بصورة مباشرة (مثل العقود بين الأفراد المحددين) وحقوق الجماعة. كما تتشابك فيها حقوق الأقلية مع حقوق الأغلبية، في حالة تعذر الاتفاق في الأمور التي لا تحتمل التعدد، وتتشابك فيها المعاملات الإلزامية بالمعاملات الاختيارية...

ولو تُرك أمر التشريعات للملتزمين من رجال الدين المسيحيين والمسلمين، المحافظين على قدر كبير من الفطرة السليمة والفاهمين لكتبهم المقدسة، فإن الأمر سيكون أكثر يسرا، وذلك للتطابق الكبير بين كثير من القيم الأخلاقية في القرآن الكريم وسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام وكثير من القيم الموجودة في الكتاب المقدس عند المسيحيين، حتى في صورته الراهنة.

سعيد صيني

١٤٣٦/٢/١٦هـ

عصر اختلاط الحابل بالنابل

لعله من المناسب، في هذا التاريخ، قبل البدء في تسجيل بعض انطباعاتي عن المنشور بين المجوعة خلال شهر رمضان، أن أقول:"كل رمضان وأنتم في خير أوفر وشر أقل" بعد الزحمة، وكل عيد جديد وأنتم كذلك قبل الزحمة. ومعذرة لإضافة عبارة "شر أقل" في التهنئة. فقد أصبح الشر في العصور المتأخرة يمثل جزءا كبيرا من الواقع، وتزداد ضخامته يوما بعد يوم، ويستحيل تجاهله. ومثاله أن تذهب لفحص سيارتك التي تعمل بصورة جيدة وأجهزة الأمان فيها مكتملة، فيقول لك الفاحص هناك بقع في "البوية" ولا يمررها حتى تصبغ السيارة...مع أنك تريد بيعها. أليس هذا شرا نتج عن اختلاط ضوابط الأمان مع الشكليات في عقلية الفاحص المتسقة مع النقاليد المتفشية؟

إذا كان المثل أعلاه قديم، ومعروف قبل مجيء الإسلام، فإن مدلوله أصبح ظاهرة خطيرة في هذا العصر، نعيشها في حياتنا العلمية واليومية: الفردية والجماعية، ولاسيما السياسية...

ومن المعلوم أن هذه الظاهرة إذا سيطرت بين مجموعة من قادة الرأي وأصحاب القرار تشيع بيننا ظاهرة حب الخليط من الحق الناصع ومن الباطل الخالص أو الممزوج بشيء منه، أو كراهيته، دون تمييز بين مكوناته. بل قد يتجاوز الموقف منه إلى مستوى الدفاع عن هذا الخليط أو مقاومته بأساليب دموية وتدميرية.

وبهذا يلتبس الأمر على الأجيال الصاعدة والقادمة ممن يعتمدون على جيلنا في الحصول على المعلومات المفيدة والآراء التي يرجح صوابها.

والأمثلة، في هذا الزمان، على اختلاط الحابل بالنابل كثيرة. وأركز على عينة منها.

تبرئة الإسلام من جهاد الطلب وإنكار جهاد الدفع المشروع:

من صور اختلاط الحق بالباطل النسبي أو الكلي الخلط بين تبرئة الإسلام من جهاد الطلب والإنكار على بعض الأشكال المشروعة لجهاد الدفع. وأضيف المشروعة لأن جهاد الدفع لم يشرعه رب العالمين إلا بعد فترة ليست قصيرة من عمر الدعوة الإسلامية. واختار نبي الإسلام في مناسبات عديدة البدائل الأخرى، ومنها قبول الصلح المجحف في "غزوة" الحديبية. وقرر عليه الصلاة والسلام، في ظرف آخر، مواجهة جيش قريش الذي يفوق بثلاثة أضعاف مجموعته الصغيرة التي خرجت لاسترداد بعض مع استولت عليه قريش من ممتلكاتهم.

فالرأي السديد في حكم البدء بالجهاد الدفاعي أو استئنافه لا يُبني فقط على مشروعية الدفاع عن النفس وحدها، ولكن أيضا على دقة تشخيص الواقع والنتائج المتوقعة. والجهة المسؤولة عن هذا القرار هي الجهة التي تبدأ أو تستأنف الجهاد الدفاعي... ولعل تعليق الأمير تركي الفيصل ينطلق من هذه الحقيقة.

وأما جهاد الطلب فسيتم بيانه في التعليق على مشاركة الدكتور بندر. وأقول: أهلا وسهلا، بعد غياب طويل، جاء بعد حصوله على الدكتوراه، (درجة الاجتهاد في الشريعة، بالمصطلح الإسلامي)، ودرجة الفلسفة في... بالمصطلح الغربي، وبارك الله في جهوده الحوارية الداحضة للباطل والمثيرة للأفكار النافعة.

يقول الدكتور بندر:

"كان من أعظم جناياتِ الاتجاهات العصرانية إنكارها مفهوم (جهاد الطلب)، واليوم نرى من يتجه – باسم السُّنة والسلفية- إلى تقريراتٍ تنتهي عملياً إلى إسقاطِ (جهاد الدفع) في زماننا بحجَّة الشفقة على دماء المسلمين العاجزين عن مقاومة عدوٍّ أعلى تسليحاً منهم".

وأقول: لا أشك أن أخي المتخصص في الشريعة لا يجيز للأستاذ أن يملي الإجابات الصحيحة على طلابه أثناء الاختبار، فضلا عن إجبارهم عليها. فالاختبار وسيلة تمييز بين المحسنين في استثمار الإمكانات التي توفرت لهم وبين المسيئين لها. ومن هذه المنح الخدمات التعليمية والأساتذة المهرة و... ولا تكون المحاسبة إلا بعد خروج الطالب من قاعة الاختبار. وأما إن تسبب في إزعاج المختبرين معه والإضرار بمصالحهم فتجب محاسبته وعقوبته في الحال.

ولا أشك أن أخي الدكتور بندر يؤمن بأن هذه الحياة هي دار اختبار، وأن الحساب على الاختيار بين الإيمان والكفر إنما يتم بعد انقضاء فترة الاختبار. أما إن ظلم الإنسان آخرين فقد تُعجل له المحاسبة أثناء الامتحان في الدنيا، وتُعجّل له العقوبة... وبعبارة أخرى، فإن الحياة الدنيا تشبه قاعة الاختبار ومدتها المحددة لكل فرد، وذلك للتمييز بين المحسنين والمسيئين لاستغلال النعم الربانية، ومنها العقل والهداية وحرية الاختيار النسبية.

ولا أشك أن جهاد الطلب عند المتخصصين في الشريعة الإسلامية يعني أن ندعو الإنسان إلى الإسلام، ونقاتله إن رَفض، وإن أدى إلى قتله. وبعبارة أخرى، يجب إجبار الطالب أثناء الامتحان على كتابة الإجابات الصحيحة للأسئلة

المطروحة عليه، وتهديده بشدة إذا لم يكتب الإجابات الصحيحة التي نُمليها عليه أثناء الاختبار.

لهذا علّق أحد الذين اطلعوا على حوارات المجموعة سابقا، في هذا الموضوع، عند قراءته لما كتبه دكتورنا "عنزة ولو طارت"؟

فقلت: مهلا . من خلال محاوراتي مع الأخ بندر وحواراته الأخرى، ثبت لي أنه باحث مُطّلع ويحسن استخدام العقل. ولا ينطبق عليه المثل الذي ذكرت. فقصة المثل تقول بأن رجلين تنازعا عن ماهية شيء كان بعيدا عنهما. فقال أحدهما إنها "عنزة" وقال الآخر "رخمة" (نوع من الطيور الضخمة). فرميا بحصوات تجاهه فطار... فقال الأول "عنزة ولو طارت"!

ولهذا أفسّر ما قاله الدكتور الشويقي بأنه تعبير عن ما يحز في نفسه، حيث أمضى أكثر من عشرين عاما في المؤسسات التعليمية الإسلامية. كان يتعلم خلالها أن معنى قوله تعالى ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦] هو إجبار الطالب في قاعة الامتحان على الإجابات الصحيحة التي نمليها عليه.

ولا ألومه في ذلك. فكم يحز في نفسي أن لا أكتشف المدلولات الصحيحة لنصوص القضاء والقدر التي تحل ألغازها إلا بعد قراءات كثيرة، ومناقشات مع مسلمين ومسيحيين وملحدين...، وتفكُّر يمتد إلى أكثر من ثلاثين عاما. ويحز في النفس أن لا أكتشف المدلولات الصحيحة للمصطلحات الإسلامية التي تمثل القواعد الأساسية للعلاقة بين المسلمين وغيرهم (الجهاد والولاء والبراء) إلا بعد جهد ومدة مماثلة. لقد حفلت تلك الأعوام بالقراءة المكثفة لعشرات المؤلفات القديمة والحديثة، في الموضوع، كما تخللتها مصارعات أو مصادمات كلامية مؤلمة... كما يحز في النفس أن لا أكتشف أن الإجماع مصدر وهمي وأن الربا المحرم لا ينطبق إلا على الأعيان الستة في النص النبوي وعلى ما يقوم بوظيفة تيسير التبادل بين السلع والخدمات وتخزين الثروات.... إلا بعد قراءة عشرات المراجع في الفقه وأصوله، تغطي حقبة تمتد إلى أكثر من عشرة قرون. ومما يؤلمني

أكثر التساؤل الذي يقول: كيف يحدث كل هذا على مرأى ومسمع مئات العلماء عبر هذه القرون، ولموضوعات أساسية في ديننا؟

ومن أمثلة الخلط في هذا المجال، ينبه الدكتور السالم إلى أن أنصبة الزكاة التي وردت في كثير من كتب الفقه الحديثة تحتاج إلى إعادة نظر. فمقادير الزكاة المنصوص عليها بالنسبة لزكاة بعض الحيوانات والزروع الثابتة اختلطت بالاجتهادات الظنية المتعلقة بوسائل تبادل السلع والخدمات (التقديرات النقدية). فأصبحت الأدلة الظنية الاجتهادية مساوية في نظر كثير من المسلمين بالمقادير المنصوص عليها من حيث ثباتها على حالة واحدة، وذلك بالرغم من التغيّرات التي تطرأ عليها، سواء ما يتعلق بأسمائها أو قيمها المعرضة للتأرجح عبر المكان والزمان بشكل واضح.

الخلط بين الأسلمة والخضوع للاكتشافات العلمية

ومن الصور الشائعة خلط جهود أسلمة الاكتشافات العلمية بجهود إخضاع الشريعة الإسلامية لهذه الاكتشافات بدون وعي أو بحسن النية.

ولعل أكثر ما أخرجني من عزلتي تلك المشاركة الجميلة لأخينا إبراهيم الدميجي، حيث نبّه إلى خطأ يكثر حدوثه بين قادة الأسلمة أو المنبهرين بدون حدود بالإنتاج العلمي المحايد (اللاديني). ويتمثل الخطأ في إخضاع التعاليم الربانية للاكتشافات العلمية أو النظريات "العلمية". ومثاله أن رب العالمين وضع وسائل مميزة لإثبات نسبة المولود المشكوك في نسبته إلى أب محدد. وهي وسائل شرعية توفر للمولود المذكور مستقبلا آمنا وبيئة أسرية آمنة. وأما الاكتشافات العلمية الحديثة فهي مفيدة جدا، ولكنها قد تسهم في هدم المستقبل الآمن للطفل ولأسرته، إذا تم تطبيقها بطريقة حرفية، دون إخضاعها للتعاليم الربانية عند الاستفادة منها. فهي بالنسبة للشريعة الإسلامية وسائل مساندة، وليست وسائل تشريعية مسيطرة.

وتعيد هذه القضية الذاكرة إلى موضوع إخضاع الوسائل المنصوص عليها في تحديد بداية شهر رمضان ونهايته، ويوم عرفة للنظريات والمعادلات البشرية المبنية على ظواهر طبيعية واتفاقات بشرية. ومن المؤسف أني أقرأ لبعض المتخصصين في الفلك هجوما عنيفا على مخالفيهم، غافلين عن الحقيقة التي تؤكد بأن ركنين من الأركان الثلاثة لمعادلاتهم هي صناعة بشرية قابلة للتعدد (موقع الصفر المكاني والصفر الزماني). والأصل أن نستفيد من التقدم العلمي بإخضاعه للوسائل الربانية المنصوص عليها في الكتاب والسنة. وبعبارة أخرى، الأصل أن نخضع الحساب الفلكي لخدمة الرؤية المنصوص عليها، وليس العكس. وهو توجه يسود بين بعض المتحمسين للتقدم العلمي الغربي بسبب التقصير في اكتساب الضروري من المعلومات الشرعية الإسلامية في المجال نفسه.

اختلاط "الخلافة الإسلامية" بالمؤامرات الدولية

ومنها اختلاط النيات الحسنة والحماس المخلص لصيغ من الإسلام قد تكون صحيحة أو باطلة بدرجات متفاوتة بالمؤامرات التي تنفذها أجهزة الاستخبارات المعادية للإسلام.

ولعل من أبرز ما يمثله، في العالم العربي والإسلامي، اليوم، ما يحيط بنا من صراعات دموية - نسأل الله أن يلهم مسؤولينا القرارات الوقائية اللازمة للتعامل معها بكفاءة، ولاتقاء شرها. لقد اختلطت فيها وسائل التدمير بوسائل الإصلاح، وامتزجت فيها دماء المجرمين بالدماء الزكية والبريئة، واختلط فيها الدفاع عن "كرامة الإنسانية" على أرض محددة، ومنها "حرية التعبير..." بالعمليات الانتقامية والتدمير. واختلطت فيها القضايا الثانوية بالأساسية. واختلطت فيها المصالح الفردية بالمصلحة العامة، مثل، نذبح الكثير من الأبرياء لتحقيق أحلام قليل من "المصلحين" المفادين بأرواحهم...

ومن زاوية أخرى، اختلطت فيها المؤامرات الدولية المعادية للإسلام والمسلمين بالدوافع الإسلامية الصادقة، المشربة بفهم يجانب الصواب للمبادئ الإسلامية في العلاقات الدولية.

ولعل أفضل مثال لهذه الحالة حركة "داعش" التي اختلطت فيها مخططات الاستخبارات الأجنبية بالفكر الإسلامي أو السلفي المتحمس. فظهرت مبادئها الرئيسة، في ظل الأخبار المشكوك في دقة بعضها والتصريحات المشكوك في بعض مدلولاتها، بصورة: "عش" أو "لا تعش".

فهذه المبادئ تقول "للسلفي" والصوفي والإسرائيلي "عش"، وتقول للشيعي والمسيحي "لا تعش". فاختلط الحق بالباطل بطريقة عجيبة، واختلطت درجات الحق بدرجات الباطل بطريقة أعجب، في إطار الحق.

وقد سألني أحد الزائرين من الدعاة في القارة الأسيوية، ماذا نقول للشباب عندما يسألونا: هل نبايع "الخليفة" الذي ظهر في بلاد "العراق والشام"؟ فقلت له اسألوهم: هل لديهم معلومات مؤكدة عن حقيقة الوضع من مصادر متعارضة؟ وهل أدوا حقوق الله وحقوق أوطانهم وأهليهم وذويهم... كلها فبقي معهم مزيد وقت وجهد و... يريدون استثماره في شيء مجهول؟

الإجابة المنطقية طبعا: لا.

فالنصيحة إذن هو حثهم على التوجه إلى الله الذي يعلم الحقيقة ولا تخفى عليه خافية، ثم يبتهلوا إليه، ويدعوا بالنصر لمن ينصر الحق على من يعارض الحق، أو بالنصر لمن هو أقرب إلى الحق من الطرف الآخر، ويخلصوا الدعاء بأن يهدي الله المسلين جميعا إلى الحق.

ثم يستثمروا أوقاتهم وجهودهم وأموالهم في أداء واجباتهم تجاه رب العالمين، ثم تجاه عباد الله وأنفسهم وأهليهم وذويهم... قبل فوات الفرصة...

اختلاط القرارات الأساسية بالثانوية

ومن هذه الصور الخلط بين الوسائل التي تعزز الشعور بالوطنية وتقوي الروابط الوطنية بالقرارات واللوائح التي تضعف أو تمزق الروح الوطنية عند جزء كبير من المواطنين، والمقيمين الذين يحتاجهم الوطن، وتبث الأحقاد المتبادلة...

فهناك خلط للقرارات (الأنظمة واللوائح) الفرعية بالجذرية، وهناك خلط للقرارات الجذرية التي تنمي روح الوطنية عند الأغلبية بالقرارات التي تهدم ما تبنيه القرارات الجذرية الصائبة.

لا يشك أحد أن جميع أصحاب القرار المخلصين حريصون على تأمين الرخاء والعزة والأمن لهذا الوطن لأطول مدة ممكنة، في ضوء العوامل التي تخرج عن سيطرتهم. ولكن تختلط العوامل الثانوية بالأساسية، والعوامل المؤقتة بالدائمة، والأنظمة واللوائح العلاجية بالوقائية.

ومن المعلوم أن الأصناف الأولى تشبه بالنسبة للصرح الوطني، عملية الترقيع وإصلاح البويات وتزيين النوافذ، لا تتجاوزها... ومن أمثلتها التكثير من المنح وزيادة الميزانيات والإكثار من الأنظمة التحذيرية، والتخويفية... التي تزيح المسؤولية من ظهر الدولة إلى ظهور الأفراد،.(هذا وهذا ممنوع ومحذور... وهذا مطلوب من المواطن ومن المقيم) .

وأما الأصناف الثانية فهي تشبه إعادة صب العمود المائل أو المصاب بالشرخ، وإعادة بناء الجدران المتصدعة بلبنات صلبة بدلا من اللبنات الهشة التي تم البناء بها، في غياب الكفاءات أو الإمكانات المطلوبة. وعلى رأس الأصناف الثانية منح الحقوق المطلوبة شرعا وعقلا وعرفا للمحرومين منها. ومن أمثلتها: مكافأة المجتهدين وتمييزهم عن المقصرين، وتوفير البيئة اللازمة لضمان إخلاص أغلبية التركيبة السكانية الموجودة في الوطن ولا يستغني عن جهود أفرادها أو ولائهم. ومثاله منح حقوق المواطنة لمن أثبت الزمن أن الوطن في حاجة إليهم لتوفير الاحتياجات اللازمة لأمان الوطن وازدهاره ودوام أمنه... وذلك بدلا من الإعلانات التي تحث على الوطنية، وبدلا من تكليف الطالب بمادة تاريخية إضافية باسم التربية الوطنية... وبدلا من إصدار الأنظمة واللوائح التي تهدف إلى "تحصين" بعض الوظائف من "المتهمين بالإفساد"، بدون أدلة والتي هي، في الواقع، تبث الفرقة وتزرع الضغينة المتبادلة... وتهز الولاء.

فمن المعلوم أن الوطنية لا تُشترى بالنقود، بقدر ما تُشترى بحسن المعاملة وأداء الحقوق الفردية والجماعية، في ظل الشريعة الإسلامية وفي ظل الأعراف الإنسانية، وفي ظل المنطق أو العقلية اليقظة.

وإني لأعجب لدرجة اعتزاز المواطن الأمريكي بوطنه، رغم أنه يدفع أحيانا ثلث راتبه ضرائب دخل، ويدفع ما بين ٧ - ٩٪ ضريبة على كل ما يشتريه للاستهلاك، ويدفع ضريبة سنوية على المنزل الذي يملكه قد يصل إلى ٥٪ من قيمة العقار. وهنا تخطر في الذهن أسئلة كثيرة:

هل القرارات التي تصلح خُمُس اللبنات التي نبنى بها حصن الوطن أكثر أهمية أم إصلاح اللوائح التنظيمية في مجالات خاصة محدودة التأثير؟

ما السبب الرئيس في اختلاط الحابل بالنابل؟

أمام هذه الأوضاع التي اختلط فيها الحابل بالنابل يخطر في الذهن السؤال السابق.

وحسب قناعتي الشخصية المبنية على تجارب وقراءات في السنوات الماضية أن السبب الرئيس في هذه الحالة، أولا، هم قادة الرأي في كل مجال من مجالات الحياة: في مجال الدين والتعليم، والسياسة...

وإذا تأملنا في المجالات السابقة بدقة سنجد أن أثر قادة الفكر الديني في الدول الإسلامية تتحمل المسؤولية الكبرى. فهم الذين يمثلون شريعة رب العالمين في الأرض، بالنسبة للعلاقات الفردية والجماعية داخل الوطن الواحد والانتماء الفكري أو الديني الواحد، وعبر الدول وعبر الانتماءات الفكرية والعقدية المتعددة. وتلاميذهم وأتباعهم المخلصين يتأثرون بآرائهم وربما يطبقونها بتطرف إذا لم تتم المتابعة.

ومما يسهم في انتشار الآثار السلبية لبعض آراء قادة الفكر الإسلامي ذلك الخلط في طريقة تدريس نصوص الكتاب والسنة المقدسة بطريقة تدريس الجهود البشرية غير المعصومة في فهمهما واستنتاج الأحكام الشرعية منهما. فالأولى هدفها

تنمية وسائل حفظ الأصل وحمايته من التحريف المتعمد وغير المتعمد. وأما الثانية فهدفها تنمية القدرة على المراجعة والنقد لتصويب أخطاء الجهود المخلصة السابقة، ولإنضاج ما يحتاج إلى تطوير وتحسين.

وللحقيقة فإن العوامل المنتجة لظاهرة اختلاط الحابل بالنابل لا تُعد ولا تُحصى، ولاسيما في هذا العصر. فبسبب وسائل الاتصال الحديثة أصبح العالم قرية صغيرة. وأصبح بإمكان أي فرد أو مجموعة محايدة أو مُصلحة أو مُفسدة (جهلا أو عمدا) إيصال رسالتها ومعلوماتها الصحيحة أو المضللة إلى أي موقع في العالم، عبر الحواجز السياسية وعبر جدران المنازل والغرف...

وأسال الله حماية جميع أصحاب القرار المخلصين في كافة المجالات وكافة المستويات من الوقوع ضحايا للمعلومات والآراء المضللة، ومن القرارات التي يختلط فيها الحابل بالنابل. آمين.

سعيد صيني

٢٨ /١٠/ ١٤٣٥هـ

عدم التحرج من الثناء على غير المسلمين

يعترض البعض على مدح غير المسلمين.

وأقول: من باب الإنصاف أن لا يتحرج المسلم من الثناء على عمل أو معروف قام به غير المسلم. ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة حيث أشار بصيغة الثناء إلى حلف الفضول ومن دعا إليه، ومن أسدى إليه معروفا من المشركين مثل المطعم بن عدي، والعاص بن الربيع والثناء على ملك الحبشة، بل وعيادته صلى الله عليه وسلم الغلام اليهودي الذي كان يخدمه عندما مرض الغلام.

ومن دعائم الإنصاف والواقعية في التعامل أن لا نجعل الاختلاف في العقيدة هو المعيار الأول دائما في التعامل مع غير المسلمين. فقد وثّق الرسول صلى الله

عليه وسلم بعض المشركين واستعان بهم في هجرته إلى المدينة وفي الحصول على أخبار العدو في غزوة حنين، كما سبق بيانه.

ومن دعائم الإنصاف أن نحترم العقود الصريحة والضمنية مثل شروط حصولنا على تأشيرات الدخول إلى البلاد غير الإسلامية أو استقدام الخبرات أو العمالة بالشروط التي يقرها الإسلام. ولكن من المفروض أن لا يُخضع المسلم نفسه إلى عقود لا تحقق مصلحة مرجحة مباحة له.

سعيد صيني

الاستغفار لغير المسلم وشكره إذا أحسن إلينا وإلى البشرية

هناك مسألتان ذات علاقة بالموضوع:

١- الاستغفار أو الدعاء له بالرحمة بعد الموت.

٢- شكره ومكافأته إن كان حيا أو الثناء على عمله إن كان ميتا.

وبالنسبة للأولى، أي الاستغفار له أو الدعاء له بالرحمة فلا يجوزا. وذلك لما أورده الأخوة من أدلة، وعلى رأسها الدليل المباشر الذي أورده أبو عبد العزيز الحربي. وهو قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة:١١٣، ١١٤].

وسبب نزول الآية حسب قول ابن إسحاق قول النبي صلى الله عليه وسلم عند موت عمه كافرا: أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك. وسبب نزول الآية في رواية أخرى: عن بن مسعود قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فخرجنا معه حتى انتهينا إلى المقابر فأمرنا، فجلسنا ثم تخطينا القبور حتى انتهينا إلى قبر منها. فجلس إليه فناجاه طويلا ثم ارتفع نحيب رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا فبكينا

لبكائه. ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم أقبل، فلقيه عمر بن الخطاب فقال: ما الذي أبكاك يا رسول الله؟ قال لقد أبكانا وأفزعنا، فأخذ بيد عمر ثم أومأ إلينا فأتيناه فقال: أفزعكم بكائي؟ فقلنا: نعم يا رسول الله. قال: فإن القبر الذي رايتموني عنده قبر أمي آمنة بنت وهب، وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي ثم أستأذنته في الإستغفار لها فلم يأذن لي[١].

وبالنسبة للثانية، فيرد في الذهن ثناء النبي صلى الله ليه وسلم على حلف الفضول، وبطريقة غير مباشرة على من عقدوه. ويرد في الذهن تعبير النبي صلى الله عليه وسلم عن امتنانه للمطعم ابن عدي، وحرصه على الوفاء ورد جميل أسداه إليه[٢]. فهو جائز.

ولكن ماذا لو قال أحدنا: "الله يرحمه"، لا يقصد الدعاء بالرحمة له، وإنما تعبيرا عن الشعور بالامتنان له، ولاسيما أن الأعمال والأقوال بالنيات؟

أقول: لعله يندرج في المكروه، والله أعلم.

سعيد صيني

٢٥/ ٤ / ١٤٣٢هـ

البغض تلخيص في استبانة أي الرأيين ترجح؟

هناك احتجاج من البعض على هذا المنتدى وطريقة إدارته، و"مسلموا" اليوم من أكثر الناس مهارة في نقد جهود الآخرين، والتقصير في أداء واجباتهم.

والحقيقة جهد أخينا الدكتور عبد العزيز قاسم جهد مشكور في توفيره هذا المنتدى الذي يهدف بشكل رئيس إلى الوصول إلى الصواب أو أرجحه. وأقول المنتدى، وليس "المساجلات الشعرية" التي نحب أن تكون مقتصرة على الشعراء الذين لهم شعبية بيننا ونناصرهم.

---

(١) ابن إسحاق ج ٤: ٢٢٢؛ مصنف عبد الرزاق ج ٣: ٥٧٢.

(٢) سعد، ج ١: ١٢٢ - ١٢٤؛ البخاري: ج ٣: ١١٤٣.

وهو يديرها - وفقه الله -، بطريقة توفِّر درجة عالية من التنوع والحرية، تفوق درجة الحرية التي تمنحها كثير من الوسائل الإعلامية التي تنادي بالتحرر حتى من الدين أو ضوابطها. فكثير من الآراء والمعلومات التي تم نشرها مفيدة. وقد يشعر الإنسان بالحرج من نشرها في وسائل الإعلام العامة. وكم من رأي تم نشره في هذا المنتدى مما رفضت نشره بعض وسائل الإعلام التي تنادي بحرية الرأي. يضاف إلى ذلك أنه ذكي جدا في خدمة منتداه، وذلك بعرضه آر اء ناقديه فيه شخصيا بثقة كاملة.

وعموما فإن من يتصور أن هناك حرية مطلقة، يغفل عن الحقيقة التي تؤكد أن الإنسان مُخيّر في الأمور التي يحاسب عليها، وغير مخيّر في أمور كثيرة لا يحاسب عليها. وبعبارة أخرى، من يريد أن يعيش وتبقى مصالحه ومصالح الناس محمية من الإزالة الكلية، أو العقوبة في الحياة الأبدية، لا بد أن يراعي ضوابط الدين الذي ينتمي إليه، والضوابط البشرية للبيئة التي يوجد هو فيها، لتنمو وتزدهر مصالحه ومصالح الكثيرين فيها، سواء أكانت من الضوابط التي يمكن التصريح بها أم لا يمكن. فمثلا حتى رئيس أعظم دولة في العالم، لا يملك الحرية المطلقة مع أن الدولة التي يرأسها وصلت بجهود قسم كبير من مواطنيها إلى سلطة دولية تمكنها من طباعة أوراق تسميها دولارات، لا تغطية كافية لها من الذهب أو الصادرات، تدفعها إلى شعوب العالم لتأخذ خيراتها الطبيعية وعرق جبينها.

فأين للإسلام هذه النسبة الكافية من المسلمين الذين يرفعون رايته، ويهبون شعوب العالم خيراته الربانية؟ وأين الذين يبذلون الجهود الكافية لفهمه، وأين الذين تتوفر لهم الإمكانيات الضخمة لنشره فلا يبخلون بها؟

وأعود إلى موضوع العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، فأقول جزى الله أبا أسامة خير الجزاء فقد استفدت من جميع المشاركات في الموضوع بطريقة وأخرى، وأشكر أخي يندر الشويقي إذ أهداني دليلا قويا، يؤيد دعوتي المستمرة للباحثين في الموضوعات الشرعية إلى ضرورة التفريق بين أدلة الكتاب والسنة الموثقة، وبين اجتهادات العلماء مهما بلغ علمهم.

ولهذا قررت قبل العودة إلى الأعمال التي انتزعتني هذه المحاورات المثيرة منها، التعبير عمليا عن تقديري لجهود أبي أسامة والمجموعة بأفكارها المتنوعة. فعملت على تلخيص الآراء المطروحة في هيئة استبانة، تقارن بين رأيين مختلفين في المواضيع التي تم طرحها حتى تاريخه، وهي آراء لا تمثل أشخاصا محددين بقدر ما تمثل توجهات، أي قد يقول أحد المشاركين برأي يمثل رأي (أ) وفي نفس المشاركة يقول برأي يمثل الرأي (ب). وقد يثير الملاحظة نفسها أكثر من واحد، دون الرجوع إلى التعقيب عليها في المرات السابقة.

وتتمثل الموضوعات الرئيسة المضمنة في الاستبانة المرفقة.

هناك احتجاج من البعض على هذا المنتدى وطريقة إدارته، و"مسلموا" اليوم من أكثر الناس مهارة في نقد جهود الآخرين، والتقصير في أداء واجباتهم.

والحقيقة جهد أخينا الدكتور عبد العزيز قاسم جهد مشكور في توفيره هذا المنتدى الذي يهدف بشكل رئيس إلى الوصول إلى الصواب أو أرجحه. وأقول المنتدى، وليس "المساجلات الشعرية" التي نحب أن تكون مقتصرة على الشعراء الذين لهم شعبية بيننا ونناصرهم.

وهو يديرها – وفقه الله – بطريقة توفِّر درجة عالية من التنوع والحرية، تفوق درجة الحرية التي تمنحها كثير من الوسائل الإعلامية التي تنادي بالتحرر حتى من الدين أو ضوابطها. فكثير من الآراء والمعلومات التي تم نشرها مفيدة. وقد يشعر الإنسان بالحرج من نشرها في وسائل الإعلام العامة. وكم من رأي تم نشره في هذا المنتدى مما رفضت نشره بعض وسائل الإعلام التي تنادي بحرية الرأي. يضاف إلى ذلك أنه ذكي جدا في خدمة منتداه، وذلك بعرضه آراء ناقديه فيه شخصيا بثقة كاملة.

وعموما فإن من يتصور أن هناك حرية مطلقة، يغفل عن الحقيقة التي تؤكد أن الإنسان مُخيّر في الأمور التي يحاسب عليها، وغير مخيّر في أمور كثيرة لا يحاسب عليها. وبعبارة أخرى، من يريد أن يعيش وتبقى مصالحه ومصالح الناس محمية من

الإزالة الكلية، أو العقوبة في الحياة الأبدية، لا بد أن يراعي ضوابط الدين الذي ينتمي إليه، والضوابط البشرية للبيئة التي يوجد هو فيها، لتنمو وتزدهر مصالحه ومصالح الكثيرين فيها، سواء أكانت من الضوابط التي يمكن التصريح بها أم لا يمكن. فمثلا حتى رئيس أعظم دولة في العالم، التي وصلت بجهود قسم كبير من مواطنيها إلى سلطة دولية تمكنها من طباعة أوراق تسميها دولارات، لا تغطية كافية لها من الذهب أو الصادرات، فتدفعها إلى شعوب العالم لتأخذ خيراتها الطبيعية وعرق جبينها.

فأين للإسلام النسبة الكافية للمسلمين الذين يرفعون رايته، ويهدون شعوب العالم خيراته الربانية؟ وأين الذين يبذلون الجهود الكافية لفهمه، وأين الذين تتوفر لهم الإمكانيات الضخمة لنشره؟

وأعود إلى موضوع العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، فأقول جزى الله أبا أسامة خير الجزاء فقد استفدت من جميع المشاركات في الموضوع بطريقة وأخرى، وأشكر أخي يندر الشويقي إذ أهداني دليلا قويا، يؤيد دعوتي المستمرة للباحثين في الموضوعات الشرعية إلى ضرورة التفريق بين أدلة الكتاب والسنة الموثقة، وبين اجتهادات العلماء مهما بلغ علمهم.

ولهذا قررت قبل العودة إلى الأعمال التي انتزعتني هذه المحاورات المثيرة منها، التعبير عمليا عن تقديري لجهود أبي أسامة. فعملت على تلخيص الآراء المطروحة في هيئة استبانة، تقارن بين رأيين مختلفين في المواضيع التي تم طرحها، وهي آراء لا تمثل أشخاصا محددين بقدر ما تمثل توجهات، أي قد يقول أحد المشاركين برأي يمثل رأي (أ) وفي نفس المشاركة يقول برأي يمثل الرأي (ب). وقد يثير الملاحظة نفسها أكثر من واحد، دون الرجوع إلى التعقيب عليها في المرات السابقة.

وتتمثل الموضوعات الرئيسة المضمنة في الاستبانة المرفقة.

مقدمة الاستبانة المقترحة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين محمد وعلى سائر أنبيائه الدعاة المشفقين على الكافرين، وعلى أصحاب نبينا ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

هذه خلاصة لحوار حول ضرورة بغض الكافرين، أو الاضطرار إلى الجمع بين متضادين (البغض والعداوة والمحبة لبعضهم) أو الإشفاق عليهم وجواز منح بعضهم درجات من الحب.

والخلاصة ليست سوى حصاد الحوار الذي دار في منتدى الدكتور عبد العزيز قاسم. وقد شارك فيه عدد من المهتمين بالقضية تنطبق عليهم الصفات التالية:

تنوع في درجات الحرص على القراءة في الموضوع، والفهم، والتخلص من المعتقدات الراسخة في الأذهان لاشعوريا، وتنوع في اعتبار الحوار مساجلة: إما انتصار أو هزيمة وانتقام...

تنوع في درجات الإلمام بأصول الاستنباط، من الكتاب والسنة، ودرجات تطبيقه، وتنوع في درجة سيطرة العقل على العاطفة أثناء الحوار.

وأقدم شكري لكل من شارك في هذا الحوار، ولمن وفّر هذا المنتدى، وذلك لأني استفدت من جميع المشاركات، بدرجات متفاوتة وبطريقة وأخرى، في توسيع مداركي حول الموضوع، وفي التعرف على جوانب من الواقع كنت لا أتخيلها. وأرجو أن يثيبنا الله على قدر نياتنا وجهودنا.

وأعتذر عن إسناد الأقوال إلى أصحابها، لأن الهدف هو تصوير الواقع، وليست الشهرة أو التشهير، وأرجو أن يحرص المخلصون للحق التكرم بتعبئتة الاستبانة وتزويدي بها وبملاحظاته على بيردي sisieny@hotmail.com

سعيد إسماعيل صيني

١٤٣١/٠٣/١٥هـ

استبانة أي الرأيين ترجح؟

أولا - مصادر الأدلة:

رأي (أ) يساوي بين اجتهادات العلماء العظام الأجلاء الكبار والقرآن والسنة أو يكاد.

رأي (ب) يرى ضرورة التفريق بين نصوص الكتاب والسنة الموثقة المنسوبة إلى خالق الكون ونبيه، من جهة واجتهادات العلماء، من جهة أخرى. فالآراء المروية عن العلماء لا تخضع لمناهج التحقيق الصارمة التي تخضع لها نصوص القرآن الكريم والسنة. والعلماء العظماء لا يدّعون أن آراءهم معصومة من الخطأ. يضاف إلى ذلك أن النقل أحيانا يجرده من سياقه الذي يخصصه، فيظهر وكأنه حكم عام. ومن أدلة عدم العصمة، إذا صدقت النسبة إليهم، مع احتمال أن الأعداء والجهلة من الأتباع قد ينسبون إليهم ما لم يقولوه، القول المنسوب إلى الإمام أحمد: "لا أقدرُ أنظر إلى من افترى على الله وكذبَ عليه" وكأنه يدعي أنه أكثر ورعا من النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه البررة، فلم يثبت أن فعلوا ذلك. وكذلك القول المنسوب إلى العلامة ابن تيمية "الكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك"[1]. فهذا القول يخالف الآيات الصريحة في وجوب العدل، ويتهم الله بأنه يأمر عباده بالجحود والنكران، ثم يخالف سنة رب العالمين مع عمه والمطعم بن عدي والعاص...

فنحن نحترم العلماء بقدر جهودهم وغزارة علمهم وقلة خطأهم، ونستعين باجتهاداتهم في فهم الكتاب والسنة، ولكن لا نعتبرها بديلا، أو مساويا لهما. وندعو للأحياء منهم بالتوفيق والسداد، وللأموات منهم بحسن الثواب والمغفرة، ونحاول تصحيح أخطائهم حتى يقل عدد من سيضل بسبب هذه الأخطاء.

---

(١) مجموع فتاوى، القاسم ج ٢٨: ٢٠٩.

أي الرأيين تُرجِّح: ـــــ (أ) أو ـــــ (ب)

ثانيا - أصول الاستنباط من الكتاب والسنة:

رأي (أ) يقول بأن اللغة ليست أداة من أدوات الاستنباط، ولكن آراء السلف الصالح. ويقول أن الصحيح هو "العقل الموزون بالنقل" أي أن المنقول هو يحكم العقل دائما.

يقول بأن الحالات الفطرية التي يتصف بها جميع البشر هي الخاصة، وأما الحالات المكتسبة التي تتنوع بحسب الظروف هي الأصل، وتمثل الحكم العام في أصول الاستنباط، وتنسخ حكم الحالات الفطرية.

يقول بأن الآيات التي تصف الكافرين هي التي لها الحكم العام، أما الآيات التي تصف الفطرة التي فطر الله الناس عليها، مثل حب الزوجين لبعضهما وحب من يحسن إلينا حكمها خاص.

رأي (ب) يقول من شروط الاستنباط من الكتاب والسنة الإلمام الكافي باللغة العربية ومدلولاتها الصريحة وغير الصريحة، ومراعاة السياقات التي وردت فيها النصوص، حتى لا يقع المسلم في خطأ "ولا تقربوا الصلاة" بإغفال "وأنتم سكارى"، سواء أكان بسبب العجلة أو الغفلة أو الانتصار للرأي الذي يتبناه... والسياق قد يكون مباشرا أو غير مباشر...

ويُنصح المجتهد بالنظر إلى نصوص الكتاب والسنة بمنظار مستقل استنادا إلى اللغة، وليس بمنظار عالم أو علماء محددين، وذلك لأنه إذا كانت نظاراتهم مثلا خضراء سوف يرى الباحث النصوص كلها خضراء، وقد تكون - في الواقع- بيضاء. وهذا لا يلغي ضرورة الاستفادة من اجتهاداتهم. وينصح المجتهد بمراجعة أدلة العالم في ضوء الكتاب والسنة الموثقة، بدلا من ترديد أقوالهم، والدفاع عنها.

وعن علاقة العقل بالنقل فترى هذه الفئة أن دور كل منها يختلف بحسب الحال. فإذا كنا نريد التثبت من نسبة قول محدد إلى الله أو إلى نبيه، نستخدم العقل الذي أوجد منهج المحدثين وسلاسل القراءات. وإذا أردنا استنباط أحكام فإننا نقف

عند النقل قطعي الثبوت والدلالة، بدلا من ليّ أعناقها ليوافق الرأي الذي نتبناه. وبالنسبة للنص قطعي الثبوت أو ظنيها، وظني الدلالة، حيث تتعدد الأفهام نُسخِّر العقل لخدمة الحق أو الفهم الراجح أو الأرجح، وذلك بالرجوع إلى النصوص ذات العلاقة في الكتاب والسنة وإلى اللغة العربية، والاستعانة باجتهادات العلماء وأدلتهم وطرق استدلالهم.

فمن المعلوم أن خطأ تحريم المباح لا يقل خطورة عن إباحة المحرم.

والمهم هو أن يبذل المجتهد قصارى جهده في البحث والدراسة، ولكل مجتهد نصيب من الثواب، إن أصاب أو أخطأ. أما أن يكرر الإنسان ما حفظه ولا يجتهد في القراءة للتعرف على المسألة وملابساتها وفي الأدلة ذات العلاقة ومدلولاتها فإنه وشيك في أن يسهم في ضلال كثير من المسلمين ونسأل له من الله المغفرة.

فمن المعلوم أن توحيد الألوهية هو الأصل الذي فطر الله الناس عليه، والشرك المكتسب الذي يختاره بعض الناس حالة خاصة. وكذلك المحبة بين الزوجين وأولي الأرحام، وحب الإنسان للمحسن عاطفة فطرية، وهو الأصل الذي يحاكم عليه ما يخالفه، مثل البغض والعداوة للكافر المعادي للإسلام والمسلمين من أجل دينهم، ومن الناس مسلمون، ومنهم الكفار المعادون للإسلام، ومنهم المحايدون أو المساندون للمسلمين، وتقتضي عدالة رب العالمين التعامل، مع كل فئة بما تستحقها. فحسباهم على الكفر، عند خالقهم الذي منحهم حرية الاختيار في الدنيا، وعقابهم على الكفر سيكون في الآخرة. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللَّـهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بها في الدُّنْيَا وَيُجْزَى بها في الْآخِرَةِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ ما عَمِلَ بها لِلَّـهِ في الدُّنْيَا حتى إذا أَفْضَى إلى الْآخِرَةِ لم تَكُنْ له حَسَنَةٌ يُجْزَى بها وقال عليه الصلاة والسلام: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر[1].

(١) مسلم ج ٤: ٢١٦٢؛ المستدرك على الصحيحين ج ٣: ٦٩٩.

وهناك ضرورة للتفريق بين النصوص التي تصف الفطرة التي فطر الله الناس جميعا عليه، وبين النصوص التي تصف بعض الخارجين عن الفطرة بالكفر وغيره. والحكم للفطرة وليس للصفات المكتسبة التي تنحرف عن الفطرة.

أي الرأيين تُرجِّح: ـــــ (أ) أو ـــــ (ب)

ثالثا - الحفاظ على أصالة الأحكام الإسلامية:

رأي (أ) يقول: بطريقة مباشرة وغير مباشرة بأن من يخالف الرأي الذي يتبناه، يتساهل في الشريعة ويخضع فهمه للكتاب والسنة للضغوط العصرية أو ينحرف بها عن الأصل، أو لا يحافظ على نصاعتها.

رأي (ب) يقول ينبغي أن يتجاوز المجتهد مرحلة الاعتقاد بأن ما تعلمه هو كل ما هو موجود من العلم في الموضوع المحدد، وكذلك مرحلة الاعتقاد بأن الصواب هو ما تعلمه هو، وهو الذي قصده رب العالمين أو نبيه. بل، عليه أن يضع نصب عينيه أن كثيرا من الأمور نسبية، وكثير من الأدلة المقدسة قابلة للتعدد في الفهم وتخضع للترجيح، كما أن بعض أفعال النبي صلى الله عليه وسلم تتعدد صورها الثابتة، أي لا ينسخ بعضها بعضا.

وأن من الخطأ الكبير أن يدعي المسلم فضلا عن المجتهد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بأن من يخالف الرأي الذي يتبناه، يتساهل في الشريعة ويخضعها للضغوط العصرية أو ينحرف بها عن الأصل، أو لا يحافظ على نصاعتها.

أي الرأيين تُرجِّح: ـــــ (أ) أو ـــــ (ب)

رابعا - بغض الكافر ومحبته:

يقول الرأي (أ): إن البغض للكافرين جميعا وإن أحسنوا إلى المسلمين واجب، وفي أحسن الأحوال يوجب الجمع بين محبة المحسن منهم والمسالم وبغضه. وتنحصر أدلته في الأدلة العقلية التي تستند إلى بعض النصوص غير المباشرة. ولعل أقوى أدلة هذا الرأي يتمثل في قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه وقوله تعالى: ﴿...إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ

ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [الممتحنة: ٤].

ويقول إن مدلول قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦] غير واضح ومتردد.

ويقول الرأي (ب) ليس هناك أدلة من الكتاب أو السنة صريحة وقطعية الدلالة في بغض الكافرين جميعا. أما الآيات والأحاديث النبوية الصريحة في جواز منح الكافر درجة من المحبة وأقلها الإشفاق فكثيرة. ومن هذه الأدلة قطعية الثبوت والدلالة ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦] وإثبات "المودة والرحمة" الفطرية، وليست الرغبة الجنسية بين الزوجين، مع إباحة الزواج بالكافرة الكتابية[1].

أما موقف إبراهيم من قومه فالآية تقول: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا ...﴾ [الممتحنة: ٤] وبعبارة أخرى، تؤكد الآية أن العداوة كانت متبادلة، بدأها قوم إبراهيم بمعاداته، بدلا من الاقتصار على رفض الدعوة، فقوبلوا بمثلها، ولم تمنع تلك العداوة من الإشفاق الصريح على أبيه. وإن اشترط إبراهيم عليه السلام الإيمان لتوقف العداوة، فذلك لأن عدم إيمانهم كان سبب بدء الكافرين بعداوته. وأما الآية السابعة فتقول بأن العداوة قد تزول، دون قيده بالإيمان. فقد يصبحوا مسالمين أو مساندين. ﴿۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [الممتحنة: ٧].

وقد يتخيل البعض أن التشريعات السماوية قد جعلت جزءا منها للمعاقبة، لأن الله يبغض عباده ويعاديهم، ولكن هذا الفهم يحتاج إلى مراجعة، فالعقوبات في

(١) القصص: ٥٦؛ الروم: ٢١، المائدة: ٥.

جميع التشريعات والقوانين ليست للتعبير عن البغض والعداوة للمخالف، ولكن وسيلة للتربية والتأديب وترويض المخالفين، ولاسيما إذا كانت المخالفة تضر بالآخرين. وهي عقوبات لعدم التقيد بما تم الالتزام به.

ويكفي أن نقرأ الحديث النبوي الذي يرويه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، حيث يقول: أنه قُدِم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسبى، فإذا امرأة من السبى ... وجدت صبيا فى السبى أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله «أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار». قلنا لا والله وهى تقدر على أن لا تطرحه. فقال رسول الله «لله أرحم بعباده من هذه بولدها». فلا عجب أن يقول ملك الجبال لنبيه إن شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عليهم الْأَخْشَبَيْنِ. فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: "بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله من أَصْلَابِهِمْ من يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئا"[(١)].

ولهذا ينهى النبي صلى الله عليه وسلم عن سب الأموات:" لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّهُمْ قد أَفْضَوْا إلى ما قَدَّمُوا. وقوله "لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء". وفي رواية أضيف إليها "ألا إن البذاء لؤم"[(٢)].

وأما قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ واضح وضوح الشمس، وهو من النصوص قطعي الثبوت والدلالة، وغير قابل للتحريف.

أي الرأيين تُرجِّح: ـــــ (أ) أو ـــــ (ب)

خامسا – حكم الكافر المسالم ومحاسبته:

يقول الرأي (أ) إن الكفر أشد من قتل المسلم ولهذا ينبغي عليه بغضه وعداوته.

يقول الرأي (ب) وأما بالنسبة للكفر والقتل العمد للمسلم، فإن الكافر قد لا يضر إلا نفسه ومحاسبته وعقوبته عند الله، يقول تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ

(١) البخاري:٥٩٩٩؛ مسلم: ٧١٥٤.

(٢) البخاري ج ١/ص٤٧٠؛ صحيح ابن حبان؛ كنز العمال.

عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ...﴾ [الشورى:٤٨] ويقول تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾ [يونس:٩٩].

وإذا كانت هذه هي مسؤولية الرسول والنبي فمن باب أولى نحن أتباع النبي. وليتنا حاكمنا أنفسنا على التقصير في الدعوة بدلا من محاسبة الكافرين على الكفر، والتدخل في شئون رب العالمين. فهو الذي منحهم حرية الاختيار في هذه الدنيا، وأجّل حسابهم على الكفر إلى الآخرة، وذلك بدليل أنه يكافئهم على إحسانهم في الحياة الدنيا، حتى لا يبقى لهم ما يستحقونه في الآخرة. وما ربك بظلام للعبيد، وإن كانوا كافرين. وأما إذا عادوا الإسلام أو المسلمين من أجل دينهم، فعلينا تقع مسؤولية الدفاع، وينبغي أن نجتهد في إعداد أنفسنا بالوسائل اللازمة للدفاع عن ديننا وأنفسنا، وذلك بدلا من محاكمة الآخرين على اختيارهم، ومعاقبتهم ببغضهم وعداوتهم، ولم يعتدوا إلا على أنفسهم. ينبغي أولا أن نحاكم أنفسنا على تقصيرنا في واجب الدعوة، وفي الاجتهاد والعمل بإخلاص لرفع الذل والهوان عن أنفسنا.

إن أدلة وجوب الدعوة على المسلم لا تقبل النقاش وأما واجب بغض الكافرين المسالمين فأدلته ضعيفة. إن رب العالمين يأمرنا بالدعوة إلى ديننا، فهل أطعناه وبأي نسبة؟ هل بذلنا في أدائها ما يجب، حتى برأت ذممنا، ولدينا فائض من الوقت والجهد، فنضيعه في محاكمة الآخرين وقد جعل رب العالمين صلاحية محاسبتهم إليه سبحانه وتعالى وحده؟ أليس هذا نوعا من منازعة الله سلطانه؟ لقد أمر الله بالدعوة إلى الإسلام بالحكمة والمجادلة بالحسنى، واللين في القول حتى مع من علم الله أنه لن يهتدي. ويعاتب الله نبيه إذا جزع لعدم الاستجابة ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦﴾ [الكهف:٦] ويعاتبه للدعاء على الكافرين ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٢٨﴾ [آل عمران:١٢٨]. ودعا بالهداية لأم أبي هريرة التي قالت فيه ما آلم ابنها، ولدوس، بدلا من الدعاء عليهم كذلك، ولأهل الطائف أثناء القتال معهم... وأصدر

عفوا غير مشروط عن المنهزمين في مكة، رغم محاربتهم له وإخراجه والمسلمين من مكة والاستيلاء على ممتلكاتهم. ويقول نبي الرحمة وأكثر المسلمين غيرة على دين الله "يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا"، ولم يقل ابغضوا الضالين وعادوهم. ومؤكدا حب رب العالمين الهداية لعباده، وليس غضبه عليهم وعداوته، يقول نبيه: لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ من أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ إذا وَجَدَهَا[1]. وقد تعاون الصحابة وتعاملوا بالحسنى مع الكافرن، امتثالا لهدي الله الذي يفرق بوضوح بين التعامل مع الكافرين المسالمين والمساندين، ومع المعادين. (الممتحنة: ٨ – ٩).

أي الرأيين تُرجِّح: ـــــ (أ) أو ـــــ (ب)

سادسا – الولاء والبراء:

يقول الرأي (أ) كلمة "الولاء" تقتضي المحبة والنصرة، ولا شك فيه، وأن كلمة "البراء" تقتضي العداوة والبغضاء، مع أنه من أقوال بعض العلماء، لا تسنده أدلة قطعية الثبوت و الدلالة من الكتاب والسنة.

يقول الرأي (ب) إن كلمة "الولاء" تأتي ومشتقاتها في القرآن الكريم والسنة، ومعاجم اللغة لتعني وصاية طرف على طرف آخر، قد تكون متبادلة. وقد تكون اختيارية أو تكون مفروضة لعوامل خارجية. وليس هناك فرقا، من حيث المضمون، بين الوِلاية بالكسر والوَلاية بالفتح في المعنى الأساس[2].

وينقسم مدلولها في الكتاب والسنة إلى: ١) الولاية التي هي لله؛ وهي ولاية عامة على جميع مخلوقاته، وولاية خاصة بالمؤمنين من عباده تتضمن مع سيطرته عليهم الوصاية والرضاء الرباني. ٢) الولاية التي تكون بين المخلوقات.

ومن زاوية أخرى، فإن كلمة الولاية لا تتضمن بالضرورة المحبة القلبية والنصرة، وذلك لأن الله نفى الولاية تماما وثبت النصرة صراحة والمحبة الطبيعية

(١) سورة النحل: ١٢٥ – ١٢٦؛ طه: ٤٤؛ الكهف: ٦؛ آل عمران: ١٢٨؛ البخاري ج ١: ٣٨؛ مسلم ج ٤: ٢١٠٢.

(٢) مثلا: البقرة: ٢٨٢؛ النحل: ٧٦؛ الأحزاب: ٦، التوبة: ٧١، سورة الجاثية: ١٩، الأعراف: ٣٠.

ضمنيا. يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال:٧٢]. ويقول النبي عليه الصلاة والسلام "إنما الولاء لمن أعتق"[١] فحق الولاء لمن أعتق المملوكة بصرف النظر عن المشاعر التي يتبادلها الطرفان.

كما يتضح من الآيات المتعددة أن الشفاعة، والوقاية، والإرشاد، والعِشرة الخالصة، ليست من مدلولات الولاية. فقد وردت مضافة إلى الولاية. والمتأمل في الأحاديث النبوية ينتهي إلى النتيجة نفسها[٢].

وتأتي كلمة البراء المشتقة من كلمة "برأ" ومشتقاتها في القرآن الكريم والسنة ومعاجم اللغة العربية بمعنى أساس هو "الانفصال عن الشيء"، سواء أكانت تهمة أو عيبا، أودَينا، أو عن الأصل المختلف كما في أبدع. فقد وردت في القرآن والسنة بمعنى: إبداع الشيء من العدم، الإشفاء من المرض، ونفي التهمة أو العيب، ونفي العلاقة بين مجموعتين من المخلوقات، ونفي العلاقة بين المخلوقات ذوات الحياة (مثل الإنسان) وبين شيء معنوي محدد (مثل الكفر)[٣].

ولا تتضمن كلمة "البراءة" من الفعل المحدد البراءة من فاعلها، فقد ورد التفريق بينهما في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [يونس:٤١]. وجاءت البراءتان المستقلتان مضافتان إلى بعضهما بحرف عطف، في قوله تعالى: ﴿...إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾

(١) مثلا: الرعد: ١٦؛ سورة الأنفال: ٧٢؛ البخاري: العتق.

(٢) الأنعام: ٥١، الرعد: ٣٧، الكهف: ١٧، الحج: ١٣؛ انظر مثلا كلمة "ولي" في ونسك، المعجم.

(٣) ابن منظور، برأ؛ النساء ١١٢؛ الحديد: ٢٢، آل عمران: ٤٩، الأحزاب: ٦٩، البقرة: ١٦٦ - ١٦٧؛ ونسك، برأ ج ١: ١٦٢ - ١٦٥.

[الممتحنة:٤]. ولا تتضن العداوة والبغضاء لمن يقوم بفعل يستوجب البراءة، وذلك لأن الله أضاف العداوة والعداوة إلى البراءة باعتبار كل واحدة منها مستقلة عن الأخرى في قوله تعالى: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ ...﴾ [الممتحنة:٤].

أما ربط إبراهيم -عليه السلام- إزالة حالة التبري والعداوة والبغضاء بالإيمان فذلك لأن الآخرين بدؤا العداوة بسبب دعوته إلى الحق، فإذا ءامنوا انقطعت عداوتهم للمؤمنين تلقائيا. ويؤيد ذلك عبارة "بدا بيننا وبينكم العداوة" (أي أن العداوة متبادلة) وهي تختلف في مدلولها عن قول "نعاديكم أبدا حتى.." (أي من جهة المؤمنين فقط).

والأمر ليس دائما إما ولاء أو براء، ولكن هناك حالة حيادية بينهما. وبعبارة أخرى، يمكن للمخلوق المكلف (الجني والإنسي) أن يكون محايدا، أي لا يؤمن بالإسلام ولكن لا يعاديه ولا يعين من يعاديه. بل ربما يكون متعاطفا مع معتنقي الإسلام، أو لا يعلم عن الإسلام شيئا فلا يستوجب البراءة منه شخصيا، وإن كانت البراءة من كفره واجبة. ويمكن منح المحايدين والمساندين للمسلمين شيئا من الوصاية في الأمور الدنيوية ومحبتهم في حدود ضيقة.

أي الرأيين تُرجِّح: ـــــ (أ) أو ـــــ (ب)

سابعا - إمكانية الجمع بين نقيضين:

يقول الرأي (أ) يمكن الجمع بين شعوريين متضادين، مثل البغض والإحسان أو البغض والإشفاق، والمثال المضروب عقوبة من يشرب الخمر والإشفاق عليه ومساعدته ليقلع، والإشفاق على القطة إذا دهستها سيارة، مع كراهية القطط عموما. ويستند هذا الرأي إلى محاولة الجمع بين حب النبي لعمه الذي أثبته الله بصراحة، والحب بين الزوجين، والبر والإحسان إلى الكافرين غير المعادين، من جهة، والفهم السائد للولاء والبراء.

ويقول بأن الحب الفطري بين الزوجين يخرج من الحكم، ويمكن جمعه مع البغض.

يقول الرأي (ب) بأن الأمر يحتاج إلى تفصيل للأسباب التالية:

١- الحب ليس فقط أنواع بل درجات متفاوتة: حب الله الذي يجمع بين الخوف والرجاء، وحب النبي، وحب الصحابة، وحب الأم، وحب الوالدين، والزوجين...[1] وأدناها الإشفاق.

٢- الشعور السلبي تجاه الأشياء أو لأشخاص: يمكن أن يقال عنها أنها درجات متفاوتة، أدناها الكراهية التي تقتصر على إنكار الشيء، ثم البغض والحقد والضغينة، والعداوة التي تجمع بين الشعور في القلب والتعبير بالتعامل المحسوس.

٣- المعاملة أو السلوك أيضا يتدرج من السلوك الإيجابي، مثل الإحسان والبر، والمعاملة الحسنة، والإنصاف والعدل، وينتهي بلا تعامل، أي منطقة محايدة. ثم تبدأ المعاملة السلبية من اللامبالاة، النفور، التعامل بكراهية، التعامل باحتقار أو قسوة، عداوة متبادلة، وقد تتطور إلى المقاتلة بالسلاح وإزهاق النفس.

٤- الشعور بالاستثارة والغضب، وهو مستقل عن الشعور السلبي، والسلوك السلبي، وذلك لأن الغضب قد يكون مصحوبا بالكراهية تجاه سلوك يأتي به شخص عزيز جدا، مثل الولد، والوالدة، والمسلم. وقد يكون تجاه شخص. وهنا تأتي العقوبات المشروعة في الإسلام وفي القوانين، حيث لا يخلو نظام سياسي واجتماعي متكامل من هذه العقوبات. ووظيفتها ليس الانتقام أو الحقد تجاه من يخالف الضوابط الشرعية والقانونية، ولكن أدوات تربية وتدريب على الانضباط، حتى لا يعود المخالف إلى المخالفة مرة أخرى. وقد التزم بها

(١) سورة السجدة: ١٥ - ١٦؛ البخاري: الإيمان، حب الرسول؛ مناقب الأنصار، الآداب، من أحق؛ مثلا: لقمان: ١٤ - ١٥، البقرة: ١٨٧؛ الروم: ٢١.

باختياره الانتماء إلى الإسلام أو إلى دولة محددة أو الإقامة فيها، ولو بصورة مؤقتة.

أما بالنسبة للإسلام فقد كفل رب العالمين للمخلوق المكلف من لإنس والجن حرية الاختيار في دار لاختبار، أي الدنيا، على أن يتحمل مسؤولية اختياره في الحياة الأبدية.

وكثير من الناس يظنون أن الأمر: إما حب وإشفاق وإما كراهية وبغض، لا منطقة محايدة بينهما. فإذا حكم أحدهم على شيء بأنه لا يستوجب الحب والإشفاق، فإن ذلك الشيء أو الإنسان، تلقائيا، يستوجب الكراهية والبغض والعداوة... ومن هنا ينطلق التصور الذي يوجب بغض الكافر ومعاداته، وذلك لأنه لا يستوجب الحب، باعتبار الحب نوعا واحدا، ودرجة واحدة، حسب فهمه.

وكثير من الناس يختلط عليه الأمر فيعتبر البغض والعداوة والغضب شيئا واحدا، ويغفل أن الغضب على المخالف لأجل مخالفته لا يقتضي بغضه وعداوته، ولكن بغض فعله. فقد يطبق الأب أو الأم العقوبة اللازمة للمخالفة، وهو يتألم لألم ولده من العقوبة المشروعة أو الواجبة لمصلحة المعاقب.

- أما الجمع بين شعورين متضادين أو تعاملين متضادين، في وقت واحد، فمستحيل في الواقع. ولكن من الممكن، في الواقع، أن يتنازع الإنسان شعوران متضادان بصورة متبادلة: مرة هذا، ومرة تلك، وربما بسرعة لا يدركها إلا المدقق في الانتباه.
- وكذلك الأمر بالنسبة للجمع بن تعاملين متضادين، في وقت واحد، فهو مستحيل، في الواقع، ولكن يمكن أن يتناوبا، أحيانا، بسرعة، تجعل الطرف الآخر يقف مشدوها، أو يظن أن في عقل من يعامله بتلك الطريقة لوثة.
- ومن زاوية أخرى، يمكن الجمع بين تعامل سلبي، وشعور إيجابي، وهذا ما يفعله الوالدان مع أولادهما أو المدرس مع طلبته أو الجهات الأمنية مع المخالفين. وهو جمع محمود ما لم يتجاوز الحدود المقبولة، أو تؤدي إلى نتائج سلبية.

- أما الجمع بين شعور سلبي وسلوك إيجابي فهو غير محمود، وذلك لأنه يندرج تحت النفاق أو التقية في العقيدة الشيعية.

وأما الحب الفطري بين الزوجين فدليل قوي على جواز حب الزوجة الكتابية، لأن الأصل في الإسلام أنه دين الفطرة، ولم يأتي ليخالف الفطرة التي فطر الله الناس عليها، بل ليوقظها، ويساندها. وكذلك من الفطرة أن نحب أو أن نشعر بالامتنان إلى من يحسن إلينا. ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعبِّر عن هذه الفطرة، في حبه لأبي طاب وفي قوله في أسرى بدر لو كان المطعم بن عدي حيا وطلبهم منه لأطلقهم من أجله، مع أن المطعم مات على الكفر.

ولهذا يحسن الإسلام الاستفادة من هذه الفطرة البشرية فيخصص جزءا من زكاة المسلم لتأليف قلب الكافر، والبرّ به والإحسان إليه، وإنصافه، وشكره على السلوك الذي يحث الإسلام. فقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على العاص لوفائه، وعلى حلف الفضول، ووثق في ابن الأريقط فأسلمه نفسه ونفس صاحبه الصديق في الهجرة إلى المدينة. كما الإسلام السلام على غير المسلم، إلا على كافرين يستحقون العقوبة لغدرهم بالمسلمين وخيانتهم العهد، تلك الفئة التي ورد فيها الحديث المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أي الرأيين تُرجِّح: ـــــ (أ) أو ـــــ (ب)

ثامنا - أصناف غير المسلمين:

يقول رأي (أ) معاملة الكافرين وكأنهم صنف واحد، يجب بغضهم ومعاداتهم جميعا، وإن كانوا محايدين، وإن كانوا الولدين، وإن أعطونا، وأحسنوا إلينا.

يقول رأي (ب) الكافرون أصناف متعددة، وبشكل رئيس يمكن تصنيفهم في الأقسام التالية:

١- مساندون للمسلمين، مثل عم النبي أبي طالب، والمطعم بن عدي، ومن ساهموا في إبطال اتفاقية مقاطعة بني هاشم، ومثل اليهودي الذي تبرع بمبلغ عشرة ملايين، أي يعادل ربما كل ما تبرّع المسلمون في سنوات، ومساعدة القسيس

الكندي للمساجين المسلمين لأداء واجباتهم جاه ربهم والمساعدة في التعريف بالإسلام، وذلك إخلاصا لعمله.

٢- محايدون.

٣- يجهلون الإسلام، أو لم تصلهم الدعوة بالطريقة المناسبة، وذلك لتقصير المسلمين في الدعوة، وللأساليب المنفِّرة في الدعوة لبعضهم، حيث ينظرون إليهم نظرة دونية، وكأنهم يتصدقون عليه، وذلك بدلا من أسلوب الأنبياء المرغذِب الممزوج أحيانا بالرجاء والاستعطاف، مثل يا أبت، يابني،...

٤- المعادون للإسلام وللمسلمين من أجل دينهم، والمساندين للمادين منهم، صراحة أو خفية.

وعلى وجه العموم، فإن المسلمين جميعا مسؤولون أمام رب العالين عن هدايتهم جميعا، ولكل فريق من هؤلاء معاملة خاصة: الشكر والامتنان للمساندين، وتشجيع المسالمين على التعاون في أمور الدنيا المشتركة، وبذل جهد أكبر لإيصال الدعوة إلى من يجهلوها، ومحاولة تأليف قلوب المعادين، وردع من في استطاعتنا ردعه، بدون نتائج سلبية أعظم. وينبغي أن يكون شعورنا، حتى مع من يعادينا، الإشفاق عليه، وفرحتنا بهدايته، يجب أن لا تقل عن فرح رب العالمين بتوبة عبده، كما هي سنة أنبيائه، وليس البغض والعداوة.

أي الرأيين تُرجِّح: ـــــ (أ) أو ـــــ (ب)

وأختم الاستبانة بإيراد ثلاث نصوص (من النصوص العديدة) التي تصور الموقف الحقيقي لرب العالمين وأنبيائه الكرام تجاه المخلوقات المكلفة، ما داموا على قيد الحياة، أي أثناء فترة الامتحان. فإن الذكرى تنفع المؤمنين، وأرجو أن نكون جميعا منهم. ثم أطرح سؤالا لا نحتاج للإجابة عليه إلا إلى الذكاء والفطرة السليمة، ويمكن للكبار والصغار والإجابة عليه، دون الحاجة إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة. والنصوص هي:

يروي عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه قُدِم على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بسبى، فإذا امرأة من السبى تبتغى إذا وجدت صبيا فى السبى أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله «أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار». قلنا لا والله وهى تقدر على أن لا تطرحه. فقال رسول الله «لله أرحم بعباده من هذه بولدها»[١].

وتقول عائشة رضي الله عنها "أنها قالت لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: هل أتى عَلَيْكَ يَوْمٌ كان أَشَدَّ من يَوْمِ أُحُدٍ. قال لقد لَقِيتُ من قَوْمِكِ ما لَقِيتُ وكان أَشَدَّ ما لَقِيتُ منهم يوم الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي على بن عبد يا ليل بن عبد كُلَالٍ فلم يُجِبْنِي إلى ما أَرَدْتُ. فَانْطَلَقْتُ وأنا مَهْمُومٌ على وَجْهِي فلم أَسْتَفِقْ إلا وأنا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ. فَرَفَعْتُ رَأْسِي فإذا أنا بِسَحَابَةٍ قد أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فإذا فيها جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فقال: إِنَّ اللَّهَ قد سمع قَوْلَ قَوْمِكَ لك، وما رَدُّوا عَلَيْكَ، وقد بَعَثَ الله إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قال: يا محمد ... إن شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عليهم الْأَخْشَبَيْنِ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله من أَصْلَابِهِمْ من يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئا. وقال عبد اللَّهِ ابن مسعود كَأَنِّي أَنْظُرُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم يَحْكِي نَبِيًّا من الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ وهو يَمْسَحُ الدَّمَ عن وَجْهِهِ وَيَقُولُ: اللهم اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ[٢].

وينطلق السؤال من قول نبي رب العالمين "فَوَ اللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُل وَاحِد خَيْرٌ لك من حُمْرِ النَّعَمِ"[٣]. يؤكد نبي رب العالمين، وليس المكتب العقاري أوبائع الأسهم، يؤكد بأن مهمة إقناع غير المسلمين بالإسلام فرصة استثمارية عظيمة، لا مثيل لها، يكسب بها المسلم أجر أداء واجب الدعوة، وأجر الدال على الخير، إن أسلم الكافر.

---

(١) البخاري:٥٩٩٩، مسلم: ٧١٥٤.

(٢) البخاري، ج ٣: ١١٨٠؛ البخاري ج ٣: ١٢٨.

(٣) البخاري ج ٣: ١٠٧٧.

والسؤال هو:

تصوّر أنك لا تريد تفويت هذه الفرصة لتكسب العملات الصعبة (الحسنات) التي لا تنفع في الحياة الأبدية سواها. ورأس مالك هو غير المسلم، ومكسبك هو إسلامه، فهل من الكياسة في الاستثمار أن:

- تبغضه وتعاديه وتنفره وتعسر عليه الإسلام؟
- تبغضه وتعاديه، في الباطن، وتبره وتعدل معه في الظاهر، أي تستخدم معه النفاق، مع احتمال انكشاف مشاعرك الحقيقية؟
- تشفق عليه وتتمنى له قبول الإسلام وتبذل قصارى جهدك ووقتك ومالك ليسلم؟

(((وأرجو نشره بأي وسيلة، تبرئة للذمة تجاه ديننا العظيم، وأداءا لواجب الدعوة، واتباعا لسنة حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم))).

١٤٣١/١١/١٢هـ

قتل المرتد أهون من السجن المؤبد

كأني أفهم من قول فضيلة الشيخ فهد أن القتل أهون من السجن المؤبد، مع أن الموت يفوت فرصة النجاة، بالتوبة المتأخرة، وإن كان قبيل الموت الطبيعي.

وهذا يجعلني أتساءل: لماذا يحرص ذوو القاتل في إنقاذ رقبة صاحبهم، ويبذلوا مئات الآلاف لينقذوها، ولماذا يحث الإسلام على المساهمة في إنقاذ هذه الرقبة ونثني على من يسهم فيها؟

لقد تبين من الدراسة التي قمت بها أن هناك آراء متعددة في موضوع قتل المرتد، أوردت خلاصة شديدة لها في سلسلة مقالات "تساؤلات حول الإسلام" في جريدة الوطن لشهر رمضان. وأكون ممتنا جدا لمن يعلق عليها حتى يتبين لي الصواب فيها.

سعيد صيني

مشاركات استفدت منها حول حكم المرتد، ولكن...

لقد استفدت بطريقة أو أخرى من مشاركات الإخوة والأبناء الأعزاء: العودة، والزقيل، العجلان، والقحطاني، والشثري، وخوجة...وجزاهم الله خيرا. وهناك ملاحظات منهجية لابد من مناقشتها.

وتتمثل النقاط المنهجية الرئيسة في: تعريف صفة عالم أو علماء، والموقف من المخالف لنا، وكون الإسلام تعليمات متنافرة أو متناسقة، واحتمال اختلاف التطبيق عن الحكم في الأصل.

تعريف صفة "عالم"

هل العالم هو من نحترمه ونقدره وآراءه، أو على أقل تقدير من نوافقه على آرائه؟ أم العالم هو من نُطبِّق عليه مقياسا مستقلا فينطبق عليه؟ إذا كان تعريفنا له هو التعريف الشخصي الأول، فنحن في مشكلة كبيرة. ف"العالم" عند الشيعي المتعصب هو من يتقن توجيه التهمة لعرض النبي صلى الله عليه وسلم، ولعن أصحابه البررة... وعند الصوفي الغارق في الصوفية ف"العالم" هو من يعتقد بأن الله جل جلاله جزء من مخلوقاته: الإنسان والحيوان و... ولا يستغني عنهم.

وأما إذا كنا نستمد تعريف "العالم" من معيار مستقل، تتفق عليه مجموعة المختلفين في مسألة ما أو أغلبيتهم، فيكون مؤهلا للاحتكام إليه. ففي مجال الاستنباط من الكتاب والسنة - باختصار شديد - يلاحظ على العالم أنه يدرك بأن الحَكَمُ النهائي هو كلام رب العالمين وسنة نبيه، وأنه يحرص على حسر جميع الأدلة ذات العلاقة أو معظمها، ولاسيما المؤيدة لفهم معين أو المعارضة له، ثم يستقرئ منها الحكم. كما يوفّر الدليل على قدرته في التمييز بين درجات نصوص السنة، مستعينا بالكتابات المتخصصة. ويشترط فيه الإيمان بأن نصوص الكتاب والسنة عالية التوثيق مُنزّهة عن التناقض، ولكن يتفاعل بعضها مع بعض لتؤكد أن

مصدرها رب العالمين المنزه عن كل نقص. كما ينبغي أن يثبت المجتهد أن معلوماته بمدلولات اللغة العربية كافية للخوض في مجال الاستنباط.

فبدون هذا المقياس المستقل تظهر بعض عباراتنا بدون معنى، مثل "فهم العلماء الراسخين العارفين بنصوص الشريعة"، و"أجمع علماء الأمة السلف والخلف".

الموقف ممن يخالفنا

هل موقفنا ممن يخالفنا الرأي، وحتى في العقيدة، غير المعادي، هو التحقير من شأنه، وإلصاق التهم الباطلة به، بناء على قدرتنا على قراءة أفكاره، ونواياه السيئة فقط...؟ أم أن موقفنا هو الاحترام المتبادل، وتوقع الاستفادة منه؟ فإذا كانت الأولى فلا داعي للحوار معه أصلا. وذلك لأننا كما علق أخ اطلع على بعض المشاركات "هل من الضروري عصيان الله ورسوله لندافع عن الحق أو ما نظن أنه الحق؟" لقد أمرنا الله بالدعوة بالحكمة وبالموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ونفى النبي صلى الله عليه وسلم صفة الإيمان عن: "الطعّان واللّعان"[1].

وبعبارة أخرى، فإنه من الصعب تخيل وجود مسلم لديه الثقافة الضرورية في الأخلاق الإسلامية يجهل أن المناقشات، ولاسيما العلمية في أمور الدين مع أخينا المسلم أو اختنا المسلمة ينبغي أن تلتزم بتعاليم الإسلام. وينبغي أن يكون الدعاة أحرص الناس على تطبيقها، ولاسيما عندما يكون في غمرة الحماس لرأيه. ومن أمثلة العبارات التي تخالف الإسلام قولنا: "بيّنتُ فيه الأدلة من الكتاب...، بعيدا عن لوثة إرضاء الغرب، أو فهم النصوص بالهوى". وقول أحدنا عن المخالفين فهي وإن بحثت الموضوع بطريقة النظر في دلائل الكتاب والسنَّة؛ إلا أنها تضمر في داخلها حقيقةَ أنها تسعى بأي طريقة للتخلص من هذا الحكم لضرورة الخروج بالمظهر اللائق أمام الآخر. ومثله قولنا: "إن ما يخفيه الكاتب ونظراؤه أعظم وأكثر وأخطر مما طرحوه تصريحاً وتلميحاً؛ فلا مجال للتعامي عن مخططاتهم الإجرامية".

---

(١) مسلم: البر والصلة، النهي عن لعن.

ومن أكثر ما لفت انتباهي في قراءاتي، خارج المجموعة، قول احد كبار العلماء في مخالفيه "وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لاَ يَقْتُلُ من وَجَبَ عليه الْقَتْلُ من أَصْحَابِهِ فَقَدْ كَفَرَ وَحَلَّ دَمُهُ وَمَالُهُ لِنِسْبَتِهِ إِلَى رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْبَاطِلَ". لو قال هذا الكلام من اعتمد على نصوص قطعية الثبوت والدلالة، أو تحقق من رب العالمين أو من نبيه بطريقة مباشرة من مدلول الآية والحقائق المتعلقة بها، لأمكن قبول قوله هذا في مخالفيه. أما أن يأتي بعد قرون من مجيء الإسلام ويستند إلى أدلة ظنية، فمن يضمن أنه هو من ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله، بل ينسب إليه عكس ما قاله ويريده رب العالمين؟

طبيعة العلاقة بين أجزاء التشريع الرباني

ومن الواضح أن النقاش يدور حول الأصل في حكم المرتد، ومن الأخطاء الشائعة المقصودة وغير المقصودة نقد مصداقية التشريعات الربانية ومحاكمتها، بالاستناد إلى قدراتنا العقلية ذات الوسائل المحدودة في الإدراك والاستيعاب. فحاسة السمع والبصر والشم ... عند الإنسان حتى مع استعمال أحدث الوسائل التي تُقوِّيها لا تزال عاجزة عن إدراك الكثير من الأشياء التي نعيش بينها ومعها.

ومن الأخطاء أيضا أن يحيط الإنسان بجزء محدود من نظام بديع عظيم متكامل وشامل ويصدر حكما يعتبره الحكم الوحيد الذي يمثل حكم الله. مع أنه يبني حكه على نص صريح واحد، بعد تجريده من النصوص المكملة له أو المنسقة له مما ورد في الكتاب والسنة عالية المصداقية. ومثاله أن نأخذ النص المحدد، ونستنبط منه الحكم بعد وضعه في أنبوبة مستقلة عن ما يربطها من نصوص ذات صلة قريبة أو بعيدة. فمثلا عند مناقشة حكم المرتد لا يمكن فصله عن النص الصريح "لا إكراه في الدين" وما يسنده من أدلة. ومنها أن فرح الله بتوبة عبده أشد من فرح عبده الذي

فقد متاعه وزاده في فلاة، فيجدها أمامه فيخطئ من شدة الفرح فيقول:"اللهم أنت عبدي وأنا ربك"[١]. وفي المقابل، لا نستطيع فصله عن النصوص المتعلقة بضرورة الوفاء بالعهود، ومستلزمات الانتماء طواعية إلى مجموعة من الناس، ولاسيما إذا كانت الرباط عقدي.

التفريق بين أصل الحكم وبين تطبيقه في الواقع

كثيرٌ من الذين لم يعيشوا عصر النبوة أو لديهم خبرة في التطبيقات الميدانية للقوانين العامة، يفوتهم ضرورة التفريق بين الحكم في الأصل وبين التطبيق في الواقع المتنوع والمتغير بتعدد العوامل التي تتحكم فيه. ومن هذه المسائل مسألة التعامل مع المنافقين الذين أكدّ الله، ليس كفر بعضهم فحسب، ولكن ارتدادهم عن الإسلام، واستحقاقهم لأن يكونوا في الدرك الأسفل من النار، والتعامل النبوي الحكيم معهم في الواقع. فكان تعامله يعكس بصدق الهدف الجوهري ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]. ولهذا كان حرصه على مستقبل الإسلام والمسلمين أكثر من حرصه على التطبيق الحرفي للوسائل العامة التي شرّعها الإسلام في اصل لتحقيق الهدف المنشود وخدمته.

ولعل أبرز مثال لذلك، أيضا، إيقاف عمر بن الخطاب تنفيذ حد السرقة في عام المجاعة. وكذلك موافقة عمر ابن الخطاب على إسقاط "الجزية" عن نصارى بني تغلب، وإن لم يكن إسقاطا، ولكن تغييرا للتسمية وتعديلا في الكمية، إذ أخذ منهم ضعف الزكاة[٢]. وهناك فرق بين إلغاء الحكم والتعديل الخفيف لتحقيق المصلحة العامة المتيقنة.

وإذا اتفقنا على المبادئ السابقة فيمكن تلخيص الأقوال في حكم المرتد في المشاركة التالية.

---

(١) مسلم ج ٤: ٢١٠٢.

(٢) مسند الشافعي ج ١: ٢٢٤؛ أبو يوسف ص ١٢٩ - ١٣٠.

الأصل في حكم المرتد

هناك أدلة نقلية وعقلية أوردها القائلون بقتل المرتد، ومن هذه الأدلة الأحاديث النبوية التالية:

أدلة قتل المرتد ومدلولها

عن عِكْرِمَةَ قال أُتى عَلِيٌّ رضي الله عنه بِزَنَادِقَةٍ فَأَحْرَقَهُمْ فَبَلَغَ ذلك بن عَبَّاسٍ، فقال لو كنت أنا لم أُحْرِقْهُمْ لِنَهْيِ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ وَلَقَتَلْتُهُمْ لِقَوْلِ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم من بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ. وعن أبي بُرْدَةَ قال فأتى أبو مُوسَى بِرَجُلٍ قد ارْتَدَّ عن الْإِسْلَامِ فَدَعَاهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً أو قَرِيبًا منها فَجَاءَ مُعَاذٌ فَدَعَاهُ فَأَبَى فَضَرَبَ عُنُقَهُ[1].

وعن مَسْرُوقٍ عن عبد اللَّهِ قال قام فِينَا رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فقال وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَا يَحِلُّ دَمُ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله وَأَنِّي رسول اللَّهِ إلا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ التَّارِكُ الْإِسْلَامَ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ أو الْجَمَاعَةَ شَكَّ فيه أَحْمَدُ وَالثَّيِّبُ الزَّانِي وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ قال الْأَعْمَشُ فَحَدَّثْتُ بِهِ إبراهيم فَحَدَّثَنِي عن الْأَسْوَدِ عن عَائِشَةَ بمثله وقال عَلِيٌّ رضي الله عنه...سمعت رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم يقول يَأْتِي في آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ يَقُولُونَ من خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ من الْإِسْلَامِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فإن في قَتْلَهُمْ أجرا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يوم الْقِيَامَةِ[2]. ومن المعلوم أن هذه الجماعة ومنها الخوارج كانوا يستحلون دم المسلم بدون وجه حق، مستندين إلى فهمهم الخاطئ للإسلام.

---

(١) البخاري: الجهاد، لا يُعَذَّبُ بِعَذَابِ اللَّهِ، استتابة المرتدين ؛ أبو داود: الحدود، الحكم في من ارتد.

(٢) مسلم: ما يباح به دم المسلم؛ البخاري: المناقب، علامات النبوة.

وَرَأَى أبو بَكْرٍ قِتَالَ من مَنَعَ الزَّكَاةَ فقال عُمَرُ كَيْفَ تُقَاتِلُ الناس وقد قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الناس حتى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إلا الله فإذا قالوا لَا إِلَهَ إلا الله عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ على اللَّهِ فقال أبو بَكْرٍ والله لَأُقَاتِلَنَّ من فَرَّقَ بين ما جَمَعَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ تَابَعَهُ بَعْدُ عُمَرُ فلم يَلْتَفِتْ أبو بَكْرٍ إلى مَشُورَةٍ إِذْ كان عِنْدَهُ حُكْمُ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم في الَّذِينَ فَرَّقُوا بين الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَأَرَادُوا تَبْدِيلَ الدِّينِ وَأَحْكَامِهِ وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ وكان الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَشُورَةِ عُمَرَ كُهُولًا أو شُبَّانًا وكان وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ عز وجل[1].

هناك أقوال معارضة بدرجات متفاوتة

إذا أخذنا بالمقياس المستقل فإن الخلاف في مسألة حكم المرتد لا يقتصر على الاستتابة، سواء بين السلف أو الخلف، بل يشمل تطبيق حكم القتل أو عدم تطبيقه. والواضح أن جمهور المجتهدين يتجهون إلى تنفيذ القتل. ومن الأمثلة على وجود الاختلاف على تطبيق القتل، ما يلي:

أولا - يقول ابن تيمية في معرض الحديث كون الخلاف أمر طبيعي بين العلماء: "لكن قد يتنازع العلماء فى بعض الأمور هل هو من باب القرب والعبادات أم لا سواء كان من باب الاعتقادات القولية أو من باب الإرادات العملية حتى قد يرى أحدهم واجبا ما يراه الآخر حراما كما يرى بعضهم وجوب قتل المرتد ويرى آخر تحريم ذلك". (ابن تيمية، فتاوى ج ٣١: ٣٨).

ثانيا - ينسب كثيرون إلى الفقيهين الكبيرين (إبراهيم النخعي) و (سفيان الثوري) - رحمهما الله - أنهما ينكران حدَّ الرِّدة. والحقيقة أن خلاف هذين الإمامين إنما هو في مدة استتابة المرتد وليس في حكم قتله؛ فقد كانا يقولان: يستتاب أبداً، وهو قول في حقيقته يعني أن المرتد لا يقتل.(عبد الرزاق، مصنف ١٠: ١٦٦).

(١) البخاري، نهي النبي على التحريم.

ثالثا - احتمال وجود آراء معارضة، وإن كانت مبنية على تشخيص الواقع، وليس أصل الخكم: يقول العجلان مثلا: "فلئن اتفقت كلمة كثير من المعاصرين على (ضرورة) الانفكاك من تبعات هذا الحكم..."

رابعا - بالنسبة للمرتدة من المثير للانتباه أن الروايات عن عالم واحد، الحسن متعددة. فهي تتراوح بين "لا تقتل" و "تقتل". فعن عمرو "لا تقتل"، وعن أبي حرة "لا تقتل تحبس"، وعن أشعث "لا تقتل النساء إذا هن ارتددن عن الإسلام ولكن يدعين إلى الإسلام فإن هن أبين سبين وجعلن إماء للمسلمين ولا يقتلن"، وعن هشام "في المرتدة تستتاب فإن تابت وإلا قتلت"[1].

المعارضون لقتل المرتد لارتداده فقط

اختلف العلماء والمجتهدون في تطبيق قوله عليه الصلاة والسلام "من بدل دينه فاقتلوه"، حيث مال بعضهم إلى أن هذا النص للتهديد والوعيد تخويفا أكثر منه للتطبيق، وذلك للظروف التي كان المسلمون يعيشونها. وتتمثل أدلة المعارضين في نقاط، منها: القاعدة العامة للعلاقة بين المسلمين وغيرهم، التطبيق النبي للأمر المروي عنه، التعليق على أدلة القائلين بالقتل واختلافهم في التفاصيل.

القاعدة العامة

تتمثل القاعدة العامة في قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، حيث قال أنه قُدِم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بسبى، فإذا امرأة من السبى تبتغى إذا وجدت صبيا فى السبى أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله «أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار». قلنا لا والله، وهى تقدر على أن لا تطرحه. فقال رسول الله «لله أرحم بعباده من هذه

(١) ابن شيبة، مصنف ج ٦: ٤٤٢.

بولدها». وإذا كان الحديث معتمدا لدي القائلين بقتل المرتد، فإن هذا يعني أن الإسلام لم يأت لقتل الناس، ولكن لهدايتهم إلى الحق قبل أن يوافيهم الأجل، ولهذا يحرص على منحهم الفرص الممكنة لقبول الإسلام، وللتوبة. والفرص الممكنة تعني عدم اضطرار المسلمين لقتالهم أو قتلهم والتعجيل بموتهم وتفويت فرصة التوبة والإسلام المتأخر. وقد وردت أدلة الحرص على منح الفرصة المتاحة في نصوص كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿...وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة:٢١٧][1].

وكذلك لقول الرسول صلى الله عليه وسلم "إنما الأعمال بخواتيمها". ولقوله أيضا: "إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ"[2].

بل لقد بلغ الحرص على توفير فرصة الإسلام حتى لحقت الجيل الذي لم يولد بعد، حيث كان جواب قول نبي الرحمة على ملك الجبال"... إن شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عليهم الْأَخْشَبَيْنِ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله من أَصْلَابِهِمْ من يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئا[3].

وصحيح أن قوله تعالى "لا إكراه في الدين" في دار الاختبار لا يعني عدم تحمل مسؤولية الاختيار في دار القرار والحياة الأبدية، ولكن هذا يعني حصانته من العقوبة على استخدام هذه الحرية، دون تجاوزها إلى الاعتداء على الآخرين.

أما إذا تجاوز ذلك إلى معاداة الإسلام والمسلمين، فالمسلمون مضطرون إلى معاقبته، اكتفاء لشره وأمثاله، ما لم يسارع إلى التوبة طوعا قبل أن يتمكن منه المسلمون.

---

(١) البخاري:٥٩٩٩، مسلم: ٧١٥٤.

(٢) البخاري: الرقاق، الأعمال بالخواتيم؛ أحمد: سند المكثرين من الصحابة؛

(٣) البخاري، ج ٣: ١١٨٠.

التطبيق النبوي لأمره عليه الصلاة والسلام

لم يثبت في السنة النبوية أو السيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل مرتدا لم تثبت عداوته للإسلام أو للمسلمين. فكل من أمر بقتلهم كانوا ممن جمعوا بين الردة والعداوة للإسلام والمسلمين، ومنهم: عبد الله بن خطل، وعبد الله ابن أبي السرح. ومع أن النبي صلى الله عليه وسلم أمَّن أهل مكة، عند فتحها، واستثنى أربعة وامرأتين، وأمر بقتلهم، فإنه عفا عن أبي السرح. وحدث ذلك لأسباب منها وساطة عثمان ابن عفان، وعلى رأسها تدخل الإرادة الربانية المباشرة، حيث أراد النبي قتله برفضه مبايعة أبي السرح ثلاثا، ولكن لم يجرؤ صحابي على قتله فبايعه[1].

وتفسير النبي صلى الله عليه وسلم لأمره أولى أن يتّبع من فهم غيره.

وبعبارة أخرى، فإن أمره المطلق مقيد بفعله عليه الصلاة والسلام. والسؤال: أي التفسيرين أقرب للحق والفطرة والعقل:

١- تفسير قوله تعالى ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦] إلى "بل، نقتل من يرفض الإسلام: جميعهم أو بعضهم وبصورة كلية أو جزئية"؟!

٢- أو تفسير قول النبي "من بدل دينه فاقتلوه" بعد تقييد الأمر المطلق بفعله عليه الصلاة والسلام، حيث لم يقتل إلا المرتدين الذين حاربوا الإسلام واعتدوا على المسلمين وارتكبوا جريمة يستحقون عليها القتل؟

ثانيا - أليست هذه الحياة هي دار اختبار، تشبه الساعات التي يجلس فيها الطالب في قاعة الاختبار؟ وأليس الاختبار للتمييز بين المجتهد والكسول وبين من يكبح هواه وبين من يتبع هواه؟

---

(١) النسائي، السنن الكبرى المغزي، فتح مكة؛ وانظر البخاري: المغازي، غزوة الفتح، ابن عبد البر، التمهيد ج ٦: ١٦٧.

نعم، يختلف اختبار الدنيا عن اختبار الدراسة من أوجه. فالطالب يُسمح له بإنهاء الامتحان في الوقت الذي يشاء غالبا، ويُحرم على المسلم محاولة إنهاء الامتحان (ينتحر). وجميع الدارسين يتفقون على الإجابات الصحيحة المحددة ويتلهفون على الحصول عليها. أما في اختبار الدنيا فالمؤدون للاختبار يختلفون على الإجابات الصحيحة ويحتاجون إلى إقناعهم بالصحيح منها. ويُعاقب الطالب إذا حاول مساعدة الآخرين أثناء امتحان الدراسة، ويُثاب المسلم إذا حاول ذلك في اختبار الحياة الدنيا. فالصراع مستمر بين الحق والباطل وأنصارهما، والباطل قد يغري البعض بحلاوته فيضحي بالحق... وتُعجّل محاسبة الدارس في حياته، أما محاسبة المخلوق المكلف فتؤجل إلى ما بعد مماته. بيد أن الاختبارين يتفقان على أن الهدف الأساس هو اختبار الممتحَنين للتمييز بين المجتهدين والمقصرين منهم، ولتحقيق العدالة القصوى عند توزيع المكافآت أو العقوبات.

وإذا كانت الدنيا دار اختبار، فهل يجوز أن نرغم الطالب أثناء فترة الامتحان على الإجابات الصحيحة؟ وهل يقبل المعلم المخلص العاقل أن يكلف أحدا ليراقب طلابه أثناء أدائهم اختبارا في مادته، فيطبق عليهم "مبدأ الإكراه في الدين"، ويرغم الطلاب على الإجابات الصحيحة؟

وأما بالنسبة للمرتد هل يملك الطالب حرية تغيير إجاباته من الصحيح إلى الخطأ أو العكس أثناء فترة الاختبار؟ وهل يرضى أساتذتنا الكرام أن ينبه المراقب الطالب إلى أن إجابته الأولى هي الصحيحة، ويجبره على عدم تغييرها؟

والسؤال الآخر: ألا نعتقد أن قتل المرتد يُعد تعجيلا بموته وحرمانه من فرصة التوبة المتأخرة؟ ألا يُعدُّ ذلك ظلما إذا لم يرتكب جريمة تستحق القتل، مثل معاداة الإسلام أو المسلمين من أجل دينهم، أو قتل النفس؟

وكيف يتفق حرمان الإنسان من التوبة المتأخرة مع قول النبي صلى الله عليه وسلم "لله أرحم بعباده من هذه بولدها"، وذلك تعليقا على قول الصحابة بأن الأم لن تطرح ابنها في النار إذا استطاعت أن لا تطرحه؟ وكيف يتفق مع حرص نبي

الرحمة على توفير فرصة الإسلام للأجيال التي لم تولد بعد لمشركي قريش؟ فقد ثبت أنه أجاب "بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله من أَصْلَابِهِمْ من يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئا، وذلك عندما سأله ملك الجبال: إن شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عليهم الْأَخْشَبَيْنِ؟[1]

ثالثا - إن العاقل يدرك بداهة أن الأقوياء، وليس الضعفاء، هم القادرون على إجبار الآخرين على معتقداتهم. فهل نتهم رب العزة والجلال بأنه يسن تشريعات تساند الأقوياء المتسلطين على الضعفاء المسالمين؟ تعالى الله عما نصف بحسن نية وفهم يجانب الصواب لكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

والسؤال العريض: أيهما أكثر عدالة التفريق بين المجتهدين والمقصرين؟ أم المساواة بينهما؟

وأخيرا: هل الإسلام الذي جاء قبل أربعة عشر قرنا أحق بأن ننسب إليه التشريع الأكثر عدالة؟ أم إلى العلمانية (اللادينية) التي ظهرت في القرون المتأخرة؟

وأقول: يا فرحة القُوى الكافرة المتسلطة على المسلمين، اليوم، بهذا التشريع الدولي "الإسلامي"! ويا فرحة حكومات الأغلبية الكافرة أو المنحرفة عن دينها التي تضطهد الأقلية المسلمة في بلادها أو التي "ترتد" عن أديانها وتسلم! فنحن نمنحهم بهذا الفهم... لكتاب ربنا ولسنة نبينا مبررا شرعيا "إسلاميا" لطغيانهم ولظلمهم الضعفاء من المسالمين، سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين، وذلك إضافة إلى مبرر عدالة المعاملة بالمثل!!!]

اختلاف علماء المسلمين ومجتهديهم

اختلف القائلون بقتل المرتد في حكم المرأة المرتدة مثلا، وعلى مدة الاستتابة، رغم الاتفاق على ضرورته. فقد قال البعض بأنها تمتد إلى نهاية العمر لقوله سبحانه

(١) البخاري:٥٩٩٩، مسلم: ٧١٥٤؛ البخاري، ج ٣: ١١٨٠.

وتعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ﴾ [البقرة:٢١٧] [وليس يقتل] ﴿وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ...﴾ [البقرة:٢١٧] وكذلك اختلفوا في من يملك صلاحية التطبيق إلى غير ذلك من التفاصيل المتعلقة بالواقع، مثل السن والحرية وطريقة الانتماء إلى الإسلام: وراثة أو قناعة...[1].

ويمكن اختصار تعليقهم على النصوص التي استشهد بها القائلون بقتل المرتد فيما يلي: ١) رواية ابن عباس جاءت في سياق الاعتراض على حرق الزنادقة الذين ادعوا ألوهية علي رضي الله عنه كجزء من مؤامرة يهودية لإفساد الإسلام. فيمكن حمل عبارة "من بدل دينه فاقتلوه" على معنيين: كونه حكم مطلق، وكونه "يكفي عقوبتهم بقتلهم". والعارف بدقائق اللغة يدرك الفرق بينهما. ٢) وأما ما ورد في رواية عبد الله ابن مسعود "التارك لدينه المفارق للجماعة" فترك الدين جاء مقترنا بمفارقة الجماعة. ٣) وراوية علي عن الخوارج، فالتاريخ يشهد بأنهم بادروا بقتال أمير المؤمنين، الخليفة الرابع والمسلمين. ٤) وأما قول أبي بكر الصديق وقتال مسيلمة الكذاب فقد اختلط فيه تحت عنوان "أهل الردة" نوعان رئيسان: من آمنوا ببعض الكتاب (ركن الصلاة) وكفروا ببعض (ركن الزكاة). فإلزامهم، ولو بالقوة، حتى يؤمنوا بأركان الإسلام كلها من واجبات ولي أمر المسلمين. والنوع الآخر هم الذين ارتدوا وقرروا محاربة الإسلام فكان قتالهم ضروري للحفاظ على الإسلام، ولتحذير المغترين بهم، ولاسيما أن بعضهم قد انضم إلى المعادين للإسلام...

ويضاف إلى ذلك القول بأن "من بدل دينه فاقتلوه" مطلق مقيد بقوله عليه الصلاة والسلام "التارك لدينه المفارق للجماعة"، ولاسيما إذا أخذنا "المفارق" بمعنى الخارج على الجماعة، وليس عنها فقط.

---

(١) الترمذي: الحدود، ما جاء في المرتد؛ سورة البقرة: ٢١٧؛ مثلا: ابنُ قدامة الحنبلي، المغني ج ١٠: ٨٠.

خلاصة الرأي في حكم المرتد

صحيح أن المرتد تنطبق عليه القاعدة العامة، من جهة، ولكن ينطبق عليه أيضا أن دخل في عهد استحق بها حقوقا والتزم بها بواجبات، ثم ينقض العهد من طرف واحد. فأضر بذلك المجموعة التي دخل معها في معاهدة تعاون لصالح الحياة الدنيا والآخرة، ولو بطريقة غير مباشرة. فقد يفسد غيره أو يشجع غيره على ذلك، وإن كامم بدون قصد ومحاولة. فهو يستحق شيئا من العقوبة.

ويقول عدد من العلماء إن "الجناية بالردة أغلظ من الجناية بالكفر الأصلي فإن الإنكار بعد الإقرار أغلظ من الإصرار في الابتداء[1].

والسؤال الأول:

هل هناك احتمال بأن قول النبي صلى الله عليه وسلم "من بدل دينه فاقتلوه" للتهديد والوعيد الشديد، ولاسيما في الظروف التي كان من السهل على المنافقين والمعادين للإسلام تبديل هويتهم، للتعرف على أخبار المسلمين وللكيد لهم؟ وهو ما نبّه إليه رب العالمين في قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [آل عمران:٧٢]. فقد كان بعض اليهود يتظاهرون بالإسلام لإغواء المؤمنين ولبث الفتنة بينهم.

والسؤال الآخر:

هل الأصلح لهذه المجموعة عقوبته بما يقطع الأمل في رجوعه إلى هذه المجموعة، أو عقوبته بما يترك له الفرصة للتوبة، وينجيه من النار في الحياة الأبدية؟ وما هو القرار الذي يتسق مع ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦]؟ ومع عظم رحمة الله وحرصه على عدم إلقاء عبده في النار؟ ومع شدة فرح الله بتوبة عبده؟

---

(١) السرخسي، المبسوط ج ١٠ ص ١٠٩.

لعل الإجابة على هذا السؤال يخضع للواقع وملابساته، مثل كون المرتد مواطن للدولة الإسلامية حقا، قبل نشأة الدولة المحددة أو بعدها، مقيم، زائر، مستقل تماما أو مرتبط بآخرين يستطيعون إقناعه، إمكانية إزالة سبب أو أسباب ارتداده ومعالجتها، ولاسيما إذا كان بعض المسلمين هم السبب الرئيس...

هذا، والله أعلم.

سعيد صيني

١٣ / ١٠/ ١٤٣١

فهرس محتويات الجزء الأول

المقدمة ٣

الدعوة وأساليبها ٥

ولكن "لا يدخلون جنة المسلمين" ٥

الإجابة المناسبة، في وجهة نظري ٧

أخي محمد معذرة إذا تجرأ أخ لك ١٠

فالعذر منكم فما قصدت أبدا الإساءة ١١

أسرتني شجاعتك التي يندر من يتحلى بها ١٢

يدل هذا على حسن خلقك ١٢

الابن الكريم لا يزال يحمل شيئا في نفسه ١٣

هل يجيز الإسلام الكذب في المخاصمة؟ ١٦

نصرك الله بالمضمون الحق وبالأسلوب الحق ١٨

الجهاد وعلاقته بالدعوة ٢٢

الجهاد والدعوة بالحكمة ٢٤

الابن خالد كيف نقرأ؟ ٢٨

المبتعث وفرصة الاستثمار للحياة الأبدية ٣٠

لكل مقام مقال في الدعوة ٣٤

رسالة القسيس لناشر كندي مسلم ٣٦

ماذا يستفيد المسلمون من سب الأموات؟ ٣٨

شكرا أيها المحتسب من الرياض ٤١

هل الجامعة الإسلامية لتحفيظ المعلومات فحسب؟ ٤١

العلم والمسجد أيهما أعظم أجرا؟ ٥٠

من وسائل نصرة الله، وهو الغني ٥١
بناء مسجد أم مساندة التعليم؟ ٥٣
أسباب الفكر" الإرهابي" ٥٨
هل من المنطق تعطيل السلاح المجاني لدينا؟ ٦٠
التعامل عبر الأديان ٦٧
الخطاب الإسلامي بين الرفض والتسليم ٦٧
صحيح أكثر الناس لن يهتدوا وإن اجتهدنا ٦٨
وماذا سنفعل بنصوص (جهاد الغزو؟) ٦٩
جهاد الطلب يتعارض مع النص والعقل ٧٤
الكاتب المغمور ووظيفة الجهاد ٧٧
نقاش حول وظيفة الجهاد؟ ٧٧
كيف نفرق بين الإرعاب العدواني والدفاعي؟ ٨١
الابنة الكريمة ليلى وعلاقة المسلمين بغيرهم ٨٣
جهاد الطلب عند الشيخ البراك وأبو هاجر ٨٦
الأدلة من سورة التوبة ٨٧
التعليق على سورة التوبة ٨٨
التعليق على حديث أمرت أن أقاتل الناس ٩٠
التعليق إذا لقيت عدوك من المشركين ٩٢
ترديد أبي هاجر لجهاد الطلب ٩٣
أبو هاجر لماذا الإصرار؟ ٩٧
جهاد الطلب وحماس أخينا إبراهيم ٩٩
حيا الله الدكتور صالح، أنا لا أتبع إلا خاتم النبيين ١٠٢
جهاد إزالة الحواجز والدكتور محمد ١٠٨
الجهاد لضمان حرية الدعوة ١٠٩
الدكتور محمد وتهمة الصحابة لا يفهمون ١١٥
المناهج التوثيقية ١١٧

منهج المحدثين والنصوص المعصومة ١١٨
منهج المؤرخين ١١٩
ضرورة التفريق ١١٩
المستفيد من "قاتلوهم حتى لا تكون فتنة" ١٢١
أشرف العفيصان وتهديد سليمان بغزو اليمن ١٢١
دفاع المهندس الوفي عن الدكتور محمد ١٢٣
أشكر أخي الدكتور صالح على تنبيهه القيِّم ١٢٥
جهاد الطلب على قيد الحياة ١٢٧
مستميت في إثبات تهمة انتشار الإسلام بالسيف ١٢٨
آية السيف والنسخ المزعوم ١٣٦
جزاك الله خيرا يا أبا أسيد ١٣٦
عبد الوهاب والدعاء على الكافرين ١٣٧
سعيد تعليق على الزقيل والولاء والبراء والسلام ١٤٢
الدكتور أحمد والجمع بين المتناقضين ١٤٥
ودعني أبدا بما نتفق عليه. ١٤٦
الخلاصة في العلاقة بين المسلمين وغيرهم ١٤٩
دكتور أحمد. على رِسلك. إذا غضبت للحق ١٥٢
ثلاث غاضبون أخيهم سعيد صيني ١٥٤
الخطأ المتأصل في فهم "الولاء" ١٥٨
قول ابن تيمية والكافر تجب معاداته وإن أعطاك ١٦١
الفهد والولاء والبراء ١٦٣
تعليق المعمر على الماجد ١٦٥
هل اقتصر رب العالمين على وصف اليهود والنصارى..؟ ١٧٠
وقفات مع مقالة أبي عمر حول الولاء والبراء ١٧٢
أقول لأخي الدكتور بندر خيرا ١٧٣

شكرا لشيخنا على وتعريف البراءة ١٧٦
أخوة الإنسانية وأبو طارق..... ١٨٠
التهنئة بالسنة الجديدة ١٨٢
تهنئة غير المسلمين بأعيادهم ١٨٧
"توفير الظروف الودية ١٨٧
هل ورد نص على أفضلية استعمال "كافر"؟..... ١٨٩
اختلاف الثقافة أو الدين وقادة الفكر ١٩٥
اختلاف الثقافة أو الدين..... ١٩٥
اختلاف الدين والوطن الواحد..... ١٩٨
الفرق الدينية والوطن الواحد ١٩٩
دور قادة الفكر والسياسة..... ٢٠٣
هل خطر الحكم الإسلامي كخطر الحكم المسيحي في أسبانيا..... ٢٠٤
أولا: الأسس المشتركة الخاصة ٢٠٥
ثانيا: العقبات الخاصة والعامة ٢٠٧
ثالثا: الحلول مع حسن التطبيق للتعاليم الدينية ٢٠٩
من أسباب الحركات الإرهابية..... ٢١١
ما هو البديل للحد من الإساءة إلى الإسلام؟ ٢١٣
الإسلام المعتدل والكاثوليكية المتطرفة..... ٢١٥
موقف الكتاب والسنة من أهل الكتاب..... ٢١٦
عصر اختلاط الحابل بالنابل..... ٢١٩
الخلط بين الأسلمة والخضوع للاكتشافات العلمية..... ٢٢٣
اختلاط "الخلافة الإسلامية" بالمؤامرات الدولية..... ٢٢٤
اختلاط القرارات الأساسية بالثانوية ٢٢٥
عدم التحرج من الثناء على غير المسلمين ٢٢٨
الاستغفار لغير المسلم وشكره إذا أحسن إلينا وإلى البشرية..... ٢٢٩

البغض تلخيص في استبانة أي الرأيين ترجح؟..... ٢٣٠
مقدمة الاستبانة المقترحة ٢٣٤
استبانة أي الرأيين ترجح؟..... ٢٣٥
قتل المرتد أهون من السجن المؤبد..... ٢٥٠
مشاركات استفدت منها حول حكم المرتد، ولكن... ..... ٢٥١
تعريف صفة "عالم" ٢٥١
الموقف ممن يخالفنا..... ٢٥٢
طبيعة العلاقة بين أجزاء التشريع الرباني ٢٥٣
التفريق بين أصل الحكم وبين تطبيقه في الواقع ٢٥٤
الأصل في حكم المرتد..... ٢٥٥
أدلة قتل المرتد ومدلوتها ٢٥٥
هناك أقوال معارضة بدرجات متفاوتة..... ٢٥٦
المعارضون لقتل المرتد لارتداده فقط ٢٥٧
القاعدة العامة..... ٢٥٧
التطبيق النبوي لأمره عليه الصلاة والسلام ٢٥٩
اختلاف علماء المسلمين ومجتهديهم..... ٢٦١
خلاصة الرأي في حكم المرتد ٢٦٣
فهرس محتويات الجزء الأول..... ٢٦٥